

مطالعات

في سفر التكوين

.....

اختمرت الفكرة بعد طول التمعن والاستبصار، وكثرة التأمل والبحث، وعمدت أن أكتب في مطالعات استخلصها نقداً وتحليلاً من سفر التكوين . وأردت أن أحل في مطالعاتي الأولى شخصيتين كبيرتين ليهوديين من أبناء إبراهيم ، بل ولدى عم أحدهما زعيم سياسي والآخر زعيم اجتماعي ، اسبغت عليهما روايات سفر التكوين ثوباً من القداسة وخصتهما برسالة من الله يؤديانها لأهل الأرض . أما الأول فالصديق يوسف . وأما الثاني فكليم الله موسى .

ولم أكد أبداً بتنفيذ عزمي حتى وصلني من الأستاذ الكبير جبر ضومط ، استاذ البيان بالجامعة الأمريكية ببيروت كتاب خص الكلام فيه بنقد تحليلي في سفر التكوين (١) فلم اشأ أن أطالع الكتاب قبل أن أكمل مقالتي هذا محذراً أن يكون للفكرات التي بثها الأستاذ فيه أثر في تحويل مجرى الفكرة التي اختمرت في رأسي من قبل ، وفضلت أن لا اكب على مطالعة الكتاب إلا بعد الفراغ من كتابة ما جال في خاطري من الفكرات ، وبذلك أكون أكثر قدرة على الاحتفاظ بحرية رأيي واستقلال فكري من جهة ، وأكون ابين خطة أزام نقد ما كتب الأستاذ من جهة أخرى . ولعلني أستطيع أن أنقد الكتاب في هذا العدد فإكون قد أديت واجباً وأرضيت ضميري . اعتقدت منذ زمان طويل أن أكثر الأسفار المقدسة لم تكن إلا ادعوات سياسية اجتماعية قصد واضعوها إلى أغراض اختفت وراء ثوب القداسة التي أسبغ عليها . واعتقدت فوق ذلك أن عجزنا عن تحديد الزمان الذي كتبت فيه أكثر هذه الأسفار والشك الذي يساور الباحثين في حقيقة الأشخاص الذين كتبوها أو جمعوها ، أو المنابع

(١) « سفر التكوين » بحث نظري فلسفي تشريحي لبيان من هو كاتب هذا السفر؟ الذي هو أقدم سفر تاريخي في العالم والغاية من كتابته - تأليف الأستاذ جبر ضومط - ظهر حديثاً ببيروت أخرجته مطابع قوزما

التي استقوا منها بعض المعلومات أو القصص التي بثت فيها ، هي أكبر الحوائل التي تحول دون درس هذه الأسفار درساً تحليلياً عميقاً يمكن من طريقه أن نستشف حقيقة الدعوات السياسية أو وجوه الإصلاح الاجتماعي التي رعى إليها أولئك المصالحون

خذ لذلك مثلاً بسيطاً في خروج ابراهيم من أور الكلدان ! فمن ذا الذي يستطيع إن يدعى القدرة على معرفة السبب الحقيقي في خروجه ؟ أن سفر التكوين لا يعرفنا عن ذلك شيئاً على وجه التقريب فهو على أن الله أمر ابراهيم أن يخرج من أور الى أرض كنعان من غير أن يحاول أبداء أى سبب سياسى أو اجتماعى معروف . على أنى أرجح أن ابراهيم لم يخرج من أور الكلدان ويهبط أرض كنعان إلا هارباً مضطهداً كما هرب موسى من أرض مصر وكما تجول عيسى في أرض فلسطين وسوريا يختفى عن الانظار زماناً، وكما هاجر محمد من مكة إلى المدينة . ولعل السبب الأوحى الذي يمكننا أن نعزو اليه هجرة ابراهيم راجع الى الاختلاف على قصة الخلق والطوفان . فان النزعة الدينية العبرانية التي تتجلى في نفسية بطارقة اليهود العظام والتي ورثوها بالضرورة عن جدهم الاعظم ابراهيم . إنما تدل ترجيحاً على أن السبب في هجرة ابراهيم يرجع الى خلاف دينى . فاذا قارنت قصة الخلق الكلدانية الآشورية وقصة الطوفان بالروايتين الشرعيتين اللتين وردتا في سفر التكوين ، وهى روايات لا بد من أن تكون قد تنوقلت على مدى أزمان طويلة بين العبرانيين وتلاقحوها بعضهم عن بعض ، فانك تجد خلافاً يسيراً في الوقائع والاسماء ، هو في الراجع السبب في خروج ابراهيم مضطهداً من أور الكلدان . فان «أوت نابشتم» الذي ضمته الآلهة إلى مصافهم وهو إنسان ، والسبب في الطوفان الذي أهلك أهل الأرض وأحياءها ، وبناء الفلك ، كل هذا له في سفر التكوين ما يناظره مع اختلاف في الاسماء والنسبة العصبية فان «أوت» استبدل «بنوح» ، وهنا يجب أن نلاحظ الوزن اللفظي ، ثم صار جدا لابراهيم من طريق أولاده حام وسام ويافت . تم يترك سفر التكوين حاماً ويافتا ويمضى في روايات الجد الأكبر لليهود «سام» الذي اليه ينسب الساميون . فلو أننا استطعنا أن نعرف سبباً من الظروف السياسية والاجتماعية التي حوطت ابراهيم ، إذن يكون في مقدورنا أن تثبت حقيقة الدعوة التي ذهب إليها ابراهيم وكانت على الأرجح السبب في هجرته إلى أرض كنعان ، وإذن يمكننا أن نحلل الروايات

المقدسة تحليلاً سياسياً اجتماعياً ونخلع عنها ثوب القداسة الذى أسبغ عليها لأغراض
لاتخفى على الباحث الخبير .

وتبدأ قصة الطوفان البابلية بأن نذيره قد غشى « أوت » (نوح البابلى) فى حلم
من الاحلام ، إذ سمع صوت الآله يقول :

« أنت يارجل « شوريباق » يابن « أوبارا توتو » حطم بيتك وأغفل متاعك
وملكك وانج بحياتك . أترك امتعتك ونج حياتك واجمع من كل بزة حية من كل
نوع وادخل بها فى الفلك »

أما السبب فى سفر التكوين فغضب الله على أبناء الارض وتخليصاً لأبناء الله منهم ،
وان الله أراد أن لا يدين روحه فى الانسان الى الابد بعد أن تناسل أبناء الله من
بنات البشر . وفى القصة البابلية إشارات كثيرة إلى مثل هذا الزعم الغريب . وفيما عدا
ذلك تتفق القستان اتفاقاً غريباً فى **بناء الفلك** وفى تحديد مقاييسه وفى حمل الاحياء فيه
وإرسال الطيور من الفلك لترى ان كانت المياه قد انحسرت عن رؤوس الجبال وفى
الطوفان وتهطل المطر إلى غير ذلك . فالراجح من كل هذا ان ابراهيم الذى نقل نواة
هذه الأقاصيص البابلية معه من أور الكلدان إلى أرض كنعان لم يحمل على الهجرة الا
لخلاف دينى أضطره إلى الهرب بعد أن اعتبر هرطوقا عند أهل بابل . وإذا صحت
روايات سفر التكوين ، لامن جهة الواقع بل من جهة رواية الأقاصيص كما كانت شائعة
فى عهد كتابة السفر ، صح عندنا هذا الرأى ، وعلى الأخص إذا تذكرنا أنه بعد ذكر
أولاد نوح ونسبة ابراهيم إلى سام ، لاتخلص من السفر بشئ إلا بتاريخ أولاد ابراهيم
إلى آخر زمان يوسف الصديق فى أرض مصر

كل هذا يحملنا على أن نعتبر سفر التكوين أخطر الأسفار التاريخية التى وصلت
الىنا عن القدماء وان فيه من الشخصيات التى مثلها بطارقة العبرانيين على توالى الازمان
ما يجدر بنا أن ندرسه درساً قيمياً فى نور الأساليب الحديثة ، وأتألم نكون أصح رأياً
أو أوضح طريقة منا إذا عمدنا إلى درس الحالات التى قامت من حول كل منهم وبيئاتهم
والازمان التى أظلمت والحالات الاجتماعية التى خضعوا لها وعملوا على أن يدمغوها
بالطابع الذى قام فى أذهانهم أو أن يصوروها بالصورة التى ظنوا أنها جديرة بالانسانية .

بعد هذه المقدمات لا نرى من موجب لزيادة الشرح والبيان عما يحول بخاطرنا من الأفكار حول هجرة ابراهيم من أور الكلدان. غير أنه لا يجدر بنا أن نغفل في هذا البحث أمراً آخر يدور حول ابراهيم وحول معتقده الديني. وهذا الأمر على اختصار القول ينحصر في أن ابراهيم كان موحداً، في حين كان الكلدانيون من المكثرين. إن قصة الخلق البابلية وكذلك قصة الطوفان، ككتاهما تدلان على أن البابليين والكلدانيين كانوا من المكثرين. كانوا يحرون على نفس القاعدة التي جرى عليها اليونان والرومان في معتقداتهم الدينية، بل جروا على نفس القاعدة التي جرت عليها كل الأمم القديمة التي وصل إلينا طرف من أخبارهم وأديانهم. ولا جرم أن الذي يقول لا إله إلا الله، في بيئة ما عرفت من الله إلا أنه رئيس آلهة كثيرة، يعتبر هو طوقاً. ولعل هذا هو السبب في هجرة ابراهيم من أور الكلدان إلى أرض كنعان والدليل القاطع على هذا أن الرب تجلى عدة مرات لابراهيم وهو الذي أمره أن يغادر أور الكلدان إلى أرض كنعان. كذلك نجد أن الله تجلى مرة أخرى لابراهيم بعد أن انفصل عنه لوطاً وسكن أرض سدوم، وأن الله وعد ابراهيم، خليله ووصفيه، بأن يهبه ونسله كل الأرض، وأن نسله سيكون بعدد الحصى والتراب.

ثم نجد من بعد ذلك سفر التكوين وقد حصر رئاسة العبرانيين سياسياً ودينياً في اسحق، باعتباره وارث ابراهيم أبيه، دون اسماعيل. ذلك لأن اسماعيل كان ابن أمة هي هاجر، وأن اسحق كان بن أميرة هي ساراي أو سارة. إذن كان ابراهيم رئيساً دينياً وسياسياً معاً، وأنه أورث هذه الرئاسة ابنه اسحق. وإذن كان ابراهيم أحد بطارقة العبرانيين الكبار. فهل يمكن أن يكون لرجل موحد مقام في أرض تكثير من غير أن يكون ذلك الأمر سبباً في الاحتكاك الفكري؟ ذلك بعيد كل البعد، لاسيما إذا تذكرنا أن ابراهيم كان دامنأزع دينية، وأنه كان يحكم وجوده ذات رئاسة دينية، وأنه كان من الذين يتجلى لهم الله.

خذ بعد ذلك كل القصص الكلدانية التي حشيت في سفر التكوين، تجد أن هذا السفر قد اتحل كل ما كان لدى البابليين من المعتقدات في الخلق والطوفان وما يليهما، ماعداً أمر واحد، هو التوحيد. إذن فالدين اليهودي عبارة عن اقاصيص بابل منسوبة

إلى الله الواحد الاحد ، دون بعل وشركاه . وإذن يكون ما بقي بعد ذلك من العبارات التاريخية كناية عن تاريخ كامل لقبائل العبرانيين واصلهم وتفرعهم .

يوسف الصديق أحد الاسباط الاثني عشر أولاد يعقوب — اسرائيل — وأصغرهم سناً وكان ابن سبع عشرة سنة يرعى الغنم وهو غلام عند بني بلهة وبني زلفة امرأتى أبيه . وكانت نمائم تنم ووشايات يوشى بها على غير علم من يعقوب، فأتاه بها يوسف وأطلعها عليها . وكان اسرائيل — يعقوب — يحب يوسف حباً جماً لأنه فضلاً عن صغرسنه وأنه ابن شيخوخته، كان صادق القول كبير النفس فيه كل الصفات التي تؤهل به إلى زعامة سياسية اجتماعية عليا ، وكان من فرط حبه ليوسف أن صنع له قميصاً ملوناً بألوان ، فأصبح هذا الأمر دليلاً عند اخوته على أن يعقوب يحب يوسف أكثر من اخوته فأبغضوه وبيتوا له على ضغينة .

والظاهر كل الظهور أن يوسف من طينة العبرانيين خالص من كل شائبة . فإن أحلامه التي كان يحلمها والتفسيرات التي كانت تفسر بها، تنم على أن العبرانيين حتى عهد يوسف، لم يخلصوا من الوراثة البابلية الكلدانية . فإن كل ألواح بابل وكل الأقاصيص التي تنص فيها إنما تقوم على أحلام أو تبدأ بأحلام هي عندهم بمثابة الوحي الهابط من سماء الغيب ، وسفر التكوين ينص على أن يوسف حلم حلمين ، ترك القرآن أحدهما واثبت الآخر. أما الحلم الأول فعلى أنه حلم أنه واخوته يحزمون حزماني الحقل فاتصبت حزمته وسجدت لها بقية حزم اخوته . فقالوا له — أملك تملك علينا ملكاً أو تتسلط علينا تسلطاً . وهذا لم يثبت القرآن ، ثم حلم مرة أخرى فرأى أن الشمس والقمر واحد عشر كوكباً قد خروا له ساجدين ، وهذا ما أثبت القرآن وبه تبدأ قصة يوسف فيه . على أن أباه قد انتهره وقال له — « هل نأتى أنا وأهلك واخوتك لنسجد لك إلى الأرض »

ينص القرآن على أن أخوة يوسف احتالوا على أبيهم ليرسل معهم يوسف يرتع ويلعب وأنهم له لحافظون ، فتردد يعقوب حذر أن يأكله الذئب وهم عنه غافلون . قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذن لخاسرون . أما سفر التكوين فينص على

أن يعقوب ارسل يوسف وراء أخوته يقتص خبرهم وهم يرعون الغنم — وكانوا قد هبطوا ناحية يقال لها شكيم ، فذهب اليهم من وطاء حبرون حتى إذا أتى شكيم ضل في الحقول سعياً وراء أخوته حتى أرشده مرشد الى حيث نزلوا بعد ارتحالهم من تلك الأرض ، فذهب اليهم في ناحية يقال لها دوثان . فلما أبصروه قالوا « هوذا صاحب الأحلام قادم » وأجمعوا أمرهم على أن يقتلوه وأن يقولوا لآبيه أن وحشاً أكله . فلما سمع رأو بين أحد أخوته هذا الرأي صرفهم عنه وقال لهم لا تسفكوا دماً ، بل ألقوه في البئر « التي في البرية » فلما جاءهم خلعوا عنه قميصه الملون وطرحوه في البئر .

ثم جلسوا ليأكلوا وإذا قافلة من الاسماعيليين قادمة تقصد مصر بم تجارتها . وهنا اقترح يهوذا أخوهم بأن يبيعه إلى الاسماعيليين ، فأخرجوه من البئر وباعوه بعشرين من الفضة . وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين . ثم أخذوا قميص يوسف وذبخوا تيساً وغمسوا القميص في الدم ثم أحضروه إلى أبيهم وقالوا له حقق أهذا قميص ابنك أم غيره . فلما حقق أنه قميص يوسف حزن حزناً عميقاً إذ اعتقد بأن وحشاً أكله .

أما رواية القرآن فتقول

« وجاءوا أباهم عشاء يكون قالوا يا أبانا إن ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين » على أن رواية أنهم جاؤوا على قميصه بدم كذب متفقة في كلا السفرين : القرآن وسفر التكوين . أما المديانيون — الاسماعيليون — أي أهل مدين الذين ورد ذكرهم في قصة موسى — فبعد أن نزلوا مصر باعوا يوسف إلى فوطيفار خصي فرعون ورئيس الشرطة في ذلك الحين .

غير أن القرآن لا يعين إسم من اشترى يوسف في مصر ولا مركزه الاجتماعي ولا يعين إن كان خصياً أو غير خصي ولعل في الترجمة العربية اختلافاً عن الأصل العبراني ، في تعيين أنه خصي لأنك لا تلبث على روايه سفر التكوين غير قليل حتى تجد أن البركة حلت بيت المصري بسبب نزول يوسف فيه وأن المصري ترك كل أمره ليوسف ،

حقه وبيته، وأن امرأة سيده» رفعت عينها إلى يوسف وقالت اضطجع معي فأبى وقال لامرأة سيده هو ذا سيدى لا يعرف معي ما فى البيت وكل ماله قد رفعه إلى يدى. ليس هو فى هذا البيت أعظم منى ولم يمسك عني شيئاً غيرك لأنك امرأتى. فكيف أصنع هذا الشر وأخطئ إلى الله. وكان إذ كلمت يوسف يوماً فيوماً أن لم يسمع لها أن يضطجع بجانبها ليكون معها (١)

ورواية القرآن تتفق مع رواية سفر التكوين فى هذا — « وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواى إنه لا يفلح الظالمون » — على أن سفر التكوين ينفى نفيّاً باتاً أن يوسف مال إليها ، فى حين يقول القرآن — « ولقد هممت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين »

ثم رواية القميص . تجد أن سفر التكوين قد نص على أن يوسف دخل البيت ليقتضى أمراً فأمسكت به زوجة فوطيفار ليضطجع معها . فترك ثوبه فى يدها وهرب فنادت أهل بيتها وقالت — « أنظروا . قد جاء إلينا برجل عبرانى ليداعبنا . دخل إلى ليضطجع معي فصرخت بصوت عظيم . وكان لما سمع أنى رفعت صوتى وصرخت أنه ترك ثوبه بجانبى وهرب وخرج إلى خارج . فوضعت ثوبه بجانبها حتى جاء سيده إلى بيته . فكلّمته بمثل هذا الكلام قائلة دخل إلى العبد العبرانى الذى جئت به إلينا ليداعبني وكان لما رفعت صوتى وخرجت أنه ترك ثوبه بجانبى وهرب إلى خارج » (٢)

واليك رواية القرآن مسوقة من غير انقطاع — « واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر . وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم . قال هى راودتنى عن نفسى وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين . وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين . فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم . يوسف أعرض عن هذا واستغفر لذنبك إنك كنت من الخاطئين »

« ١ » تك إ ص ٣٩ : ٧ إلى ١٠ .

« ٢ » تك إ ص ٣٩ : ١٤ إلى ١٨ .

أما سفر التكوين فيغفل قد القميص وشهادة الشاهد ويغفل اقتناع سيدها ببرهان الشاهد، ويرسل يوسف إلى السجن ليلقى جزاء ما قدمت يداه . على أن رواية القرآن قاطعة في اقتناع السيد بخطأ زوجته . ولذا لا تجد في روايته أى مسوغ لسجن يوسف فيما بعد .

ويسوق القرآن رواية أخرى لا تجد لها في سفر التكوين من أثر أو إشارة تلك هي رواية النسوة اللاتي تكلمن في أمرها وأمر يوسف — «وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً أنا نراها في ضلال مبين . فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن واعتدت لهن متكاً وآتت كل واحدة منهن سكيناً وقالت أخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشراً ان هذا إلا ملك كريم . قالت فذلكم الذى لم تثنى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونن من الصاغرین» (١)

ولا شك عندى مطلقاً في أن رواية القميص وشهادة الشاهد على الصورة التى سيقت في القرآن لم يكن لها من موضع إلا أن يصح التعقيب عليها برواية النسوة والمائدة . وإلا فلماذا يستحق يوسف السجن حتى بعد اعتراف زوجة فوطيفار بأنها راودته عن نفسه وأنه استعصم . والدليل القاطع على هذا أن القرآن يقول — «ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين» (٢)

كذلك تتفق رواية القرآن وسفر التكوين في أنه دخل معه السجن فتيان ساقى ملك مصر والآخر خبازة وأن أولهما حلم أنه يسقى ربه خمراً إلا بعض تفاصيل في أنه رأى الكرم والعنقود وأنه عصر العنقود وسقى فرعون ، وقد أهملها القرآن . وأن الثانى رأى انه يحمل فوق رأسه خبزاً تأكل الطير منه ، مع بعض تفاصيل أهملها القرآن كذلك — وقد فسر يوسف الحلمين فقال للأول أنه يعود إلى سقاية فرعون ، وقال للثانى أنه سيصلب فياً كل الطير منه . وكذلك تتفق الروايتان في أن يوسف طلب إلى الساقى أن يذكره عند فرعون ، وأنه نسي أن يذكره ، أما القرآن فينص

على أنه نسي بضع سنين ، في حين أن سفر التكوين ينص على أنه نسي من غير أن يحدد كم لبث في السجن من بعد ذلك (١) غير أنه يعود في أول الاصحاح الحادى والأربعين يحدد الزمان بسنتين اثنتين تعييناً فيقول — « وحدث من بعد سنتين من الزمان أن فرعون رأى حليماً » (٢)

« وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وآخر يابسات » (٣) ويتذكر رئيس السقاة يوسف ويفسر يوسف الحلم بأن مصر سيصيبها سبع سنين من القحط تتقدمها سبع سنين من الخصب والخير الكثير ، وأنه يجب أن يكون على خزائن الأرض قوى أمين يخزن لسنين القحط من سنين الخصب . وكان أن الملك اختار يوسف ليكون على خزائنه — « قال أجعلنى على خزائن الأرض انى حفيظ عليم . وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء ، نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين (٤)

إلى هنا تنتهى رواية يوسف باعتبارها ترجمة عن حياته وتبدأ روايته باعتباره وزيراً ملكياً متفانياً فى حب الملكية ، حتى لقد بلغ منه حب الملكية واعتقاده بأنها أصلح صور الحكم أن عمل على أن تكون كل ملكية الأرضى من حق الملك وأن يكون له الناس عبيداً يسخرون لأمره يزرعون ويحصدون ويجمعون ويخزنون . على أننا لا يحسن بنا أن نسوق الكلام فى هذا الأمر من غير أن نرجع إلى سفر التكوين نقل منه فقرات سوف نحتاج إلى أن نذكر بها القارىء فى سياق بحثنا هذا . جاء فى سفر التكوين (٥)

« ولم يكن خبز فى كل الأرض . لأن الجوع كان شديداً جداً ، فخورت أرض مصر وأرض كنعان من أجل الجوع ، فجمع يوسف كل الفضة الموجودة فى أرض

(١) القرآن — « وقال للذى ظن انه ناج منهما أذكرنى عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين — « سفر التكوين — « ولكن لم يذكر رئيس السقاة يوسف بل نسيه ٤ : ٤٠ : ٢٣ » (٢) يلاحظ أن بضع سنين أكثر من سنتين .

«٣» يوسف : جزء ١٣ .

«٤» يوسف : جزء ١٣ .

«٥» تساق الرواية هنا بعد هبوط يعقوب أبيه وأخوته وكل أهله مصر وبعد أن مرت سننى الشيع فى أرض مصر

مصر وفي أرض كنعان بالقمح الذي اشترؤا ، وجاء يوسف بالفضة إلى بيت فرعون ، فلما فرغت الفضة من أرض مصر ومن أرض كنعان أتى جميع المصريين إلى يوسف قائلين أعطنا خبزاً ، فلماذا نموت قدامك لأنه ليس فضة أيضاً فقال يوسف هاتوا مواشيكم فأعطيكم بمواشيكم إذ لم يكن فضة أيضاً . فجاءوا بمواشيتهم إلى يوسف . فأعطاهم يوسف خبزاً بالخيول وبمواشي الغنم ، والبقر والحمر . فقاتهم بالخبز تلك السنة بدل جميع مواشيتهم » (١)

« ولما تمت تلك السنة أتوا إليه في السنة الثانية وقالوا له لا نخفى عن سيدي إذ قد فرغت الفضة ومواشي البهائم عند سيدي لم يبق قدام سيدي إلا أجسادنا وأرضنا (٢) لماذا نموت أمام عينيك نحن وأرضنا جميعاً . اشترنا وأرضنا بالخبز فنصير نحن وأرضنا عبيداً لفرعون . واعط بذاراً لنحيا ولا نموت ولا نصير أرضنا فقراً » (٣)

« فاشتري يوسف كل أرض مصر لفرعون . إذ باع المصريون كل واحد حقله لأن الجوع اشتد عليهم فصارت الأرض لفرعون . وأما الشعب فنقلهم إلى المدن من أقصى حد مصر إلى أقصاه (٤) إلا أن أرض الكهنة لم يشتريها . إذ كانت للكهنة فريضة من قبل فرعون . فأكلوا فريضتهم التي أعطاهم فرعون . لذلك لم يبيعوا أرضهم (٥) » فقال يوسف للشعب إني اشتريتكم اليوم وأرضكم لفرعون . هوذا لكم بذار فتزرعون الأرض . ويكون عند الغلة أنكم تعطون خمساً لفرعون . والأربعة الأجزاء تكون لكم بذاراً للحقل وطعاماً لكم وللمن في بيوتكم وطعاماً لأولادكم . فقالوا أحييتنا ليتنا نجد نعمة في عين سيدي فنكون عبيداً لفرعون . فجعلها يوسف فرضاً على أرض مصر إلى هذا اليوم (٦) لفرعون الخمس . إلا أن أرض الكهنة وحدهم لم تصر لفرعون ،

ليس لنا أن نشك في أن فرعون قد حلم وأنه رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع

«١» يلاحظ هنا أن سياسة يوسف كانت ترمي إلى تقوية الملكية . فبعد أن أخذ الفضة وجمع المواشي إلى بيت فرعون أخذ من الأهالي الأرض أيضاً لتكون من حق الملك .

«٢» إشارة إلى أن الأرض كانت ملكاً للالهالي قبل أن يبدأ يوسف بتنفيذ سياسته الاجتماعية .

«٣» تعبير صادق عن حقيقة السياسة التي اتبعها يوسف .

«٤» يلاحظ هنا أن التجديد اعتباري صرف

«٥» ظاهر جداً أن يوسف استعان بسلطة الكهنة الدينية على إخضاع الشعب .

«٦» إشارة إلى أن سفر التكوين قد كتب في تلك الأيام أو بعدها بقليل .

عجاف ، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات . ولكن الذى لنا أن نشك فيه هو أن سني الشعب وسنى القحط قد وقعت كما تنض عليه رواية سفر التكوين . لهذا نعتقد اعتقاد تغليب أن حلى فرعون قد اتخذها يوسف ذريعة سياسية استغلها ليخرج الأرض والأموال من يد الشعب إلى يد الملك . ولدينا على ترجيح هذه الفكرة مبرران الأول تفانى يوسف فى سياسته الملكية واعتقاده أن الملك يجب أن يكون ملكاً إلى آخر ما يمكن أن يذهب معنى الملكية فيكون صاحب الأرض وصاحب الفضة وصاحب القوت ، والناس له عبيد يستغلهم كيف يشاء وعلى الوجه الذى يريد . والثانى أن يوسف أراد بذلك أن يستعبد الأهالى (المصريين) لملك اجنبى يريد من طريق استعبادهم أن يسخرهم فى المحافظة على عرشه الذى أخذه من ملوك مصر اغتصاباً . فإذا جمعت بين السببين ، اعتقاد يوسف السياسى ، والحاجات التى قامت فى ذلك العصر خرجت من ذلك بفكرة عامة تؤيد ما نذهب إليه من رأى .

وهنا يجب علينا أن نأتى على بعض حقائق تاريخية نستخلصها من تاريخ ذلك العصر الذى حكم فيه يوسف مصر (١) فالمعروف أن الأسرة الثالثة عشرة قد انتهى عهد حكمها فى مصر وسطاً اضطرابات أهلية كبيرة كما دل حكم ملوك الأسرة التى تلتها وقصر مداه على أن روح الفراعنة كانت قد أخذت تضعف وتضعف . لذلك انتهى الأمر بأن تقلص ظلمهم وباد مكلمهم . لهذا عاثت قبائل اسبوية فى أرض مصر فساداً بعد أن استقوت على أهلها . ويعرف هؤلاء بالهكسوس أو الرعاة وكان أكثرهم من العنصر السامى أصلاً . ولقد حكم هؤلاء بلاد مصر أكثر من ٦٦٩ سنة و حكموا وادى النيل فى ثلاثة أسر تربعت على عرش مصر تباعاً . ولقد كان لاستبدادهم وتخريبهم أثر ظل ثابتاً فى عقلية المصريين ولم يمح منها أبداً . فقد بدؤوا حكمهم بالتعطيم والتحريق والسرقة والنهب ، ثم تربعوا من بعد ذلك فى ممفيس وسان ومن هنالك امتدت سلطتهم إلى أرض مصر جميعها . غير أن هؤلاء الغزاة لم يلبثوا أن خضعوا لمقتضيات الحضارة المصرية فاصطبغوا بالثقافة الفرعونية القديمة ، حتى لقد أصبح المغزوب بالقوة غازياً بالتسلط الأدبى ، فأصبح الرعاة فراعنة بالاسم دون

الفعل . فاتحلوا عن المصريين عاداتهم وطرق معيشتهم والقابهم الملكية والأميرية ،
ومع الزمن اخذوا طريقة التعليم والكتابة . وكان بلاطهم مملوء بالموظفين المصريين ،
وأعيد بناء المدن والهياكل ، وأصبحوا القوامين على الآداب والثقافة المصرية البحتة .
والدليل على هذا أن المقالة الرياضية الوحيدة التي وصلت إلينا عن المصريين القدماء
قد أهديت إلى ملك هكسوسى عنواناً على أنه من حماة العلم . على هذا نجدان المصريين
قد استقوا على ملوكهم الأجانب من الناحية الأدبية ، ماعداً امرأ واحداً هو الدين ،
فانهم بقوا على دين أجدادهم ، كما بقي الهكسوس على معتقداتهم القديمة التي أتوا بها من
جوف آسيا . فقد ظلوا يعبدون آلهة سامياً شبيهاً « بعل » الكلداني ، أسبغوا عليه
اسماً انتحلوه عن الحثيين فسموه « سوتخ » — Sutekh — وحاول أحد ملوكهم أن يلزم
المصريين عبادته غصباً فكان ذلك سبباً في بدء حرب الاستقلال التي انتهت بطردهم
من مصر . فقد أرسل الملك أبوفيس الثالث — Apophis — من ملوك الأسرة
السابعة عشرة إلى « اسكتن رع » أمير طيبة يأمره بأن يقلع عن عبادة « آمون » آله
طيبة وان يدين بعبادة الآلهة الذي يعبد المملك . فقاوم الأمير هذه الأرادة ، وكان ذلك
بدء حرب استقلال طويلة دامت أكثر من خمسة أجيال (١٥٠ سنة) وكانت النتيجة
أن انتصر المصريون على غزاتهم وبذلك عاد الهكسوس إلى آسيا ، واعترف بعد
ذلك بأمر طيبة فرعوناً على مصر المتحدة سنة ١٦٠٠ ق . م .

وحدث في زمان حكم الهكسوس أن زار ابراهيم شمال مصر (الدلتا) ، عندما
كانت مدينة « صان » مقر حكمهم بالقرب من الحدود الآسيوية ، كما كان لهم على الحدود
نفسها قلعة حصينة تدعى أفاريس — Avaris — وكانت اقامتها حيث هي لتكون دريعة
لغزوات الآشوريين من آسيا وسيفاً مسلولاً على رأس المصريين في أفريقية .

والراجح جداً أن فرعون يوسف الصديق هو أبوفيس الثالث بعينه الذي بدأت
في زمانه الحرب الاستقلالية ، فكان الوزير العبراني قد شهد بدء الحرب وقدر لها
نتائج كانت سياسته نتيجة لتقديراته .

الهكسوس غزاة فاتحون . ومهما جرى عليهم الزمن في أرض مصر فانهم ولا
شك كانوا أقلية تحكم أكثرية بالقوة . فاذا قامت حرب استقلالية وعلى الاخص اذا

كان لهذه الحرب علاقة بالدين و بآمون كبير آلهة مصر كان لها أثرها الكبير في زعزعة الملك وهز العرش من أساسه. فاذا تذكرنا أن سلطة الهكسوس لم تكن من القوة والقدرة البالغة بقدر ما كانت في شمالي مصر، وأنها كانت ضعيفة في صعيدها، عرفنا لماذا بدأت الحرب من الجنوب ولم تبدأ من الشمال. أضف الى ذلك أن نظام الحكم في مصر القديمة كان نظاماً كهنوتياً أولاً وقبل كل شيء. وكثير ما نرى أن الكهنة استطاعوا أن يخضعوا الملوك وأن يخلعوا ملوكاً عن عروشهم. من هنا نستطيع أن نعين على وجه التقريب مركز الهكسوس أزاء شعب كالشعب المصري أريد به أن يعلب على أمره حتى في أمر دينه وسط نظام قائم على الساطة الكهنوتية منذ أبعاد الأزمان.

ثم يجب علينا أن نتذكر ان بين الهكسوس وبين العبرانيين علاقة المزاج على الأقل (١) فهما عنصران اسيويان ساميان. ولا يبعد أن يكون بين مقتعداتهما الدينية من القرب بقدر ما كان بين مزاجهما التكويني. لهذا لا يكون من البعيد عقلاً ان يتخذ ملك هكسوسى (أبو فيس) وزيراً عبرانياً (يوسف) ليتعاوناً في وقت شدة على اخضاع شعب كلاهما عنه غريب، بل أن في اخضاعه كل ما يمكن أن يتطلعا اليه في الحياة، لاسيما اذا اجتمعت المطامع الملكية من نفس الملك، مع المطامع الاصلاحية في نفس الوزير.

ويحلم الملك الهكسوسى أنه رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات (٢) ثم يولى يوسف على خزائن الأرض ويجمع كل الحبوب في مخازن الملك ويذر الحب في سنبله إلا ما احتاج اليه. ويحتاج المصريون إلى حب للبذار فلا يجدون إلا في مخازن الملك. ويظل يوسف يعطيهم الحب للبذار سبع سنين ويجمع ما تخرج الأرض سبع سنين. فاذا منع عنهم حب البذار في أول السنة الثامنة فهناك ولا شك القحط وهناك ولا شك الدمار والخراب. ومخازن الملك مملوءة بما يكفيه ويكفى الناس، ثم يجمع الفضة ويجمع المواشى ثم يشتري الأرض للملك. لماذا؟ سياسة معقولة في زمن انتفاض وقتة يقصد بها الاستقلال التام. يصبح المصريون عبيداً للملك يسخرهم كيف يشاء فيجعلهم مستفاحين أو جنداء باللقمة. من صاحب منهم

١- من رأى بعض ثقافة الباحثين أن الهكسوس عنصر عبراني بالفعل

٢- ولا يبعد أن يكون ذلك حادثاً مفتعل إذا دعاه يوسف ليستغله سياسياً وان كان العقل يمكن أن يسلم

بان فرعون من المحتمل أن يكون قد حلم ذلك الحلم.

لأفلاح الأرض فلها ومن صلح منهم للجندية فيساق إلى جند أمير طيبة يدافع رغم
أنفه عن ملكه الهكسوسى ووزيره العبرانى.

بقى أمامنا شيء واحد هو أن الحرب الاستقلالية كانت في بدء شيوها عندما
استوزر الملك الهكسوسى (بن عمه) النيل العبرانى. ولا جرم أن السياسة التى
اتبعا يوسف لسياسة هى من اجدر السياسات برجل يزن الظروف القائمة من حوله
وينظر الى أبعد اطراف المستقبل ويقدر اسوأ التقديرات.

هذا مانرى فى قصة يوسف وفى احتمالاتها التاريخية. وسنعود فى العدد القادم
الى الكلام فى هبوط العبرانيين الى مصر وخروجهم منها، لنستخلص من قصة موسى
شخصية اخرى هي شخصية الزعيم السياسى. والراجح ان هذه الشخصية لم تظهر
الا بعد أن خرج الهكسوس من مصر. لانه لا يعقل ان يستبد هكسوسى بعبرانى
بل أن الاستبداد بالعبرانيين لم يبدأ الا بعد ان حكم مصر اهلها انتقاماً من الهكسوس
ومن وزيرهم الذى استطاع ان يطيل مدة الحرب الاستقلالية خمسة اجيال متتابعة
اسماعيل مظهر

اطلب من دار العصور للطبع والنشر
ومن جميع المكاتب المعروفة

نزع الفكر الأوروبى

شعر التصوير

القصر الحزيب

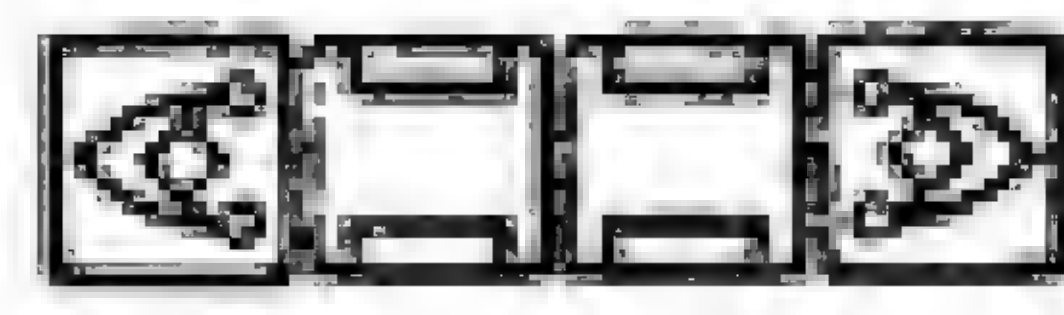
في جيرة سيدى بشر

عن الجزء الأول من ديوان « وحى العام » للدكتور أبى شادى
الذى سوف تصدره « دار العصور »

[SPOON]

على ربوة من شاطئ البحر قد بدا
حزيناً عليه من شحوب المنى وجد
وفي قرْبِهِ الأمواج بين تلاطم
وبين اصطدام حوله النحس والسوء !
وقد نضر العشب الذى فى فنائه
ولكنه ذكر من الأوس يمدد
وقد اغلق الكشك الذى كان مؤثلاً
لحارسه منذ صار يحرسه المجد !
تأملته فى صورة منك نقشها
يجمده منذ فاته الحظ والجِد
ويا حسن هذا اللطف فى وقفة الرضى
وتنشيك ألواناً يحن لها الورد
خلفت عليه من ملاحيتك الحلى
أشعة حسن كنّا حوله عبء
وقلت : كفى أنى بك يعتد !
خطوطها جم المعانى التى حوت
حياة وسحراً لا يقاس به الحمد
تمجّلت فى تكوينها مثل خالق
فما فاتها الاتقان لو نالها النقد !
وما قدر شعري فى بيان وزينة
وتنشك هذا الفن والنور والخلد
فما صغته يغنى غناء بقدره
عن الشعر ، لا يحبوا ولا هو ينهد

فيا ليتني (القصرُ الحزينُ) ، فعندها
 حفظت له في لوحة الفن عُمره
 وشابته في شهرة وتماسه
 وأسمع وعداً عن غرامى بجنة
 وكلُّ إله ذو عودٍ جميلة
 اذا زلتُ لم يُحسب كفقدي فقد !
 وعُمرى - مهاجل - غايته اللحد
 فأدركه عطفٌ وما جاءني بعدُ
 فتنثُرُ الأحلامُ حولي والوعد !
 وليست وعودٌ منك يحصرها العد !



اطلبوا من دار العصور للطبع والنشر بشارع الخليج المصري

ARCHIVE

http://Archivebeta.Sakhril.com

الضحية

وروايات وأبحاث أخرى

تأليف

طاغور الشاعر الالهى المعروف

بقلم

اسماعيل مظهر

على السيفود

عباس محمود العقاد

- ١ -

يقول جول لمتز الناقد الفرنسي المعروف : « لا أكاد أفرغ من كتاب أقرأه حتى يذهب بي الاتفعال مذاهبه حزناً وفرحاً، وقد اضطرب من شدة السرور وكأنما خالطني ذلك في اللحم والدم »

احذف هذا الشعور النيل القائم على الفهم والحق وعلى القلب والعقل، وضع في مكانه ألام شعور وأخزاه يخرج لك عباس العقاد الجلف الأسواني قائلاً : « لا أكاد أفرغ من قراءة كلمة طيبة لأحد من خلق الله حتى أمتلىء حقداً وغماً وأراني أشعلت النار في لحمي ودمي »

إن لم يقل هذا المفرور ذلك فقد قالته أفعاله في ألام لغة وأخس طبيعة، وهو دائب منذ عشرين سنة لا يعمل إلا بهذه القاعدة ولا تعمل فيه إلا هذه القاعدة و كان يظن أن الناس يهابونه ولكنه لما طرد أخيراً من جريدة البلاغ رأى حيطان الشوارع نفسها تكاد تشتمه وأيقن أنه أهون وأسقط من أن يعاب به أحد، وعلم أن الاحترام كان لمنزلة جريدة البلاغ لا لمنزلته هو .

وماذا كان يعمل في جريدة البلاغ ولماذا طرد منها ؟ كان الوفد يحتاج إلى سفيه أحق يسافه عنه جرياً على القاعدة الحكيمة القائلة : إن الكريم لا يحسن به أن يكون سفيهاً فيجب أن يتخذ له من يسافه عنه إذا شتم، فلم يروا أ كفاً من العقاد وقاحة وجهه وبذاءة لسان وموت ضمير وحقاً أ كبر من الحق الانساني ولؤم نفس بقدر مجموع كل ذلك وما تقول في كاتب يناقش الدكتور هيكل رئيس تحرير السياسة والكاتب الذكي والانسان الرقيق فيكتب في صدر جريدة البلاغ كتب الولد المسطول !!! ويناقش خليل بك ثابت رئيس تحرير المقطم وهو كاتب سياسي محنك دقيق الفكر وقد زعم في بعض

المسائل أنها مسألة إقتصادية فيقول له العقاد في صدر البلاغ : إقتصادية ماذا يامغفل فلما جاءت الوزارة الأخيرة وأخذت في السياسة بالنزعة الأخلاقية وجعلت تنذر الصحف وتقف لها خاف صاحب البلاغ أن تجنى على أهلها براقش فاذا نبحت جرت عليهم الموت فلم يجد للعقاد معنى فطرده إذا أصبحت السفاهة معاقبا عليها فكان ختامه زفت ولكن هل لهذا العقاد قيمة حقيقة ؟ وهل يخشاه أحد من الأدباء كما يظن هو أو كما يخيل إلى بعض الناس في خارج مصر ؟

أما أنا فأذكر للقراء أحدث دليل وقع من أيام فقط . وذلك ما بلغني من أن أديبا كبيرا أراد العقاد أن يواجهه بلومه في مجلس رئيس تحرير مجله من أكبر المجلات فنار فيه الأديب وقال له في وجهه بالحرف الواحد . أنت وقح سافل وأنا أحتقرك ولا أعرفك . هذه هي منزلة الرجل . وماذا تظنه فعل حين سمع هذا ؟ قال له دمه في داخل ضميره : صحيح صحيح !! فسكت وقام وكاد الباب يصبق في وجهه .

الامر كله وهم وخداع ، كالخمار يلبس جلد الأسد . فلما رأى القراء هذا العقاد لا يكتب إلا سبابا وحقدآ ولومآ وتطاولا على الناس ودعاوى فارغة وتضليلا وإيهاما بإيراد آراء الفلاسفة وزعمه مناقشتهم . ظنوا من تتابع كل هذا ما لا بد أن يظنه الضعفاء ويتأثروا به من عمل التكرار . وقد قيل ان الذئب إذا واثب إنسانا ضال حواسه فجعل يشب بغاية السرعة أمامه وخلفه ويمينه وشماله وفوقه لينخيل اليه من تتابع هذه الحركة السريعة انه ذئب كثيرة لاذئب واحد ، وبعبارة أخرى ليدير أهام عينيه « فلم » ذئاب سينماوغرافي كاذب لاحقيقة له وهكذا يفعل هذا الذئب البشرى العقاد .

ومن أين كل هذا وما سببه ، نحن لا نجري إلا على أحدث قواعد النقد ، وهذه القواعد تقضى بأن الأفكار راجعة إلى أحوال عصبية وأن ما في داخل الانسان هو الذي يصنع ما في خارجه ، وكذلك الكاتب في كتابته . فلا تصل إلى حقيقتها إلا بعد أن تقف على حقيقة مشاعره وأخلاقه وطباعه وأصله وفصله هي وحدها تفسيره وتفسير ما يكتب وما يعمل .

على هذا الأصل يجب أن يعرف الناس هذا المخلوق المسحى العقاد . والذين قرؤا ما كتبه عنه جريدة الاخبار وعن مولده !! يعرفون أن مثل هذا المخلوق ظال العالم

كله في نظره كالشارع الذي يلقي فيه اللقيط فهو لا يرى له مكاناً ولا سكاناً والعالم وأهله في ناحية وهو وحده في ناحية أخرى فهو يكره الوجود من نفسه ويكره نفسه من أجل الوجود .

سل الأطباء ما الذي يؤثر في الجنين أشد تأثيراً ويخرجه شرساً حقوداً لثياباً الغريزة ؟ انهم يجيبونك إن هذا يحدث حتماً مقضياً إذا كانت الأم في أشهر حملها لا تفكر مثلاً إلا في الحقد على رجل غدر بها والغيط من لؤمه الخ فيجيب الجنين مصنوعاً في هذا المعمل ؟؟ ولن يفلح فيه بعد ذلك أدب ولا تهذيب ولا علم

لو كان العقاد يرضى أن يقال عنه إنه مترجم لأنصف نفسه وأراحها ولكنه يزعم - في وقاحة أهل الشوارع - أن لا عبقرى غيره . فإذا ذهبت تقرأ كتبه رأيت أحسن ما يكتبه هو أحسن ما يسرقه وهذا أمر يجمع عليه ومع ذلك لا يريد الاصر إلا أن يعد من أرباب الأملاك !!!

تأمل أسماء كتبه : ساعات بين الكتب مراجعات ، في الأدب والفنون . مطالعات في الكتب والحياة ، ما هذا ؟ هل هي إلا اللصوصية الأدبية تسمى نفسها من حيث لا يشعر الأحمق ؟

و إذا ذهب كل إنسان يقرأ الكتب التي تعد بالملايين ويلخص كل كتاب في مقالة أو مقالات فهل يعجز عن هذا العمل أحد وهل يكون كل الناس عباقرة لأنهم قرؤا وفهموا وسرقوا ولخصوا ؟ لقد هانت العبقرية وأصبح خمسة آلاف من طلبة البكالوريا في هذه السنة وحدها خمسة آلاف عبقرى أنجبتهم مصر في عام

ويدعى العقاد أنه إمام في الأدب فخذ معنا في تحليله ، أما اللغة فهو من أجهل الناس بها وبعلمها وفي مقالاته في مقتطف شهر يونيو الماضي تراه يجيء مرتين في موضعين مختلفين بكلمة « الاثنى عشر » منصوبة من حيث لا يجوز الارتفاع بها ، وقلما تخلو مقالة له من لحن ، وأسلوبه الكتابي أحق مثله فهو مضطرب مخل لا بلاغة فيه وليست له قيمة وهو يقر بذلك ولكنه يعلم أنه لا يريد غيره فقمهم نحن أنه لا يمكنه غيره هو من جهة اللغة والبيان ساقط لا يكابر في هذا ، أمسك هذه المقدمة أولاً ثم خذ

منه نتيجتها . نتيجتها أنه شاعر عبقرى أهبه نزل عليه الوحي فما قيمة ذلك إذا كان لا يجيء إلا فى أسلوب سخيـف ؟

للعرية سرها فى تركيبها وبيانها فإذا أهملناه صارت العرية (كلام جرائد) يصلح لشيء . ولا يصلح لشيء آخر ؛ يصلح ليقرا ويلقى ولا يمكن أن يصلح للغد والاحتفاظ به .

وأنت تقرأ شعر العقاد فتجد فيه شيئين متباينين — بل متناقضين — الأول بعض آيات حسنة لا بأس بها والثانى ألوف من الآيات السخيفة المخزية التى لا قيمة لها ، لا فى المعنى ولا فى الفن ولا فى البيان فعلام يدلك هذا ؟ يدلك بلا شك أن الآيات الحسنة مسروقة جاءت من قريحة أخرى وطبيعة أخرى غير هذه الذى تعصف بالغبار والأقدار فإن الشاعر القوى لا بد أن يتسق كلامه فى الجملة ، وإذا نزل بعض كلامه لعارض ما لم ينزل إلا طبقة — واحدة أو ما دونها . إما العقاد فيترشح من مائة درجة عندما يسمو ، يعنى يسرق فى بيت أو بيتين .

نحن نفتح الآن ديوان هذا السخيف كما يتفق ونخرج . مما صارفه ، وكز . واثقا أنك لن تفتح صفحة دون أن تقع على سخافات كثيرة . انظر قوله صفحة ٢٠ . لسان الجمال :

يا من الى البعد يدعونى ويهجرنى * أسكت لسانا الى لقياك يدعونى

أسكت لسان جمال فيك أسمع * فى كل يوم بأن ألتاك يغربنى

هذان البيتان لا بأس بهما ثم يتدحرج بعدهما نازلان . وفى الشطر الاول غلط ككلام الجرائد والروايات السخيفة حين تقول (دعاه الى ان يتعد) ولا معنى لكم دعاه هنا لأنها لا تفيد إلا الاقبال وهو يريد ضده . وكان الأفضل أن يقول فيهجرنى ليكون الهجر مرتبا على رغبة صاحبه فى ابعاده فيصور اجزاء المعنى بألوانها . والبيت الثانى تكرار لنصف البيت الاول . وقد تجوز العرب فى قولهم : نطقـت الحال بكذا لأن المنظر كالمنطق فالجهاز قريب شائع . ولكن البرود كله ان يقول سمعت وجهك يقول كذا او سمعت لسان جمالك يقول كذا فن هذا يقتضى نطقا حقيقيا فيما لا ينطق إلا بمجازا وبهذا ينحط المعنى .

وإذا كان للجمال في هذا الحبيب الذي ماظنه بربريا أسوانيا — لسان، فلا يعقل ان يكون اما للسان في غير فم خصوصا بعد ما قال « أسمع » وإذن صار الحبيب حيواناً عجيباً في ظاهر أعضائه أعضاء، وما معنى قوله أسمع في كل يوم . اذا كان لسان الجمال ناطقا أبدا فالصواب في كل حين أو في كل وقت وإذا كان أخرس لا ينطق الا مرة في اليوم فيكون تعبيره حينئذ صحيحا وهذا غير ما يريد המשاعر هل تريد الآن أن تعرف اصل المعنى على أدق وأجمل ما يتأتى في الشعر . انظر قول العباس بن الأحنف

أريد لأدعو غيرها فيجرني لسانى اليها باسمها كالمغالب

فقلب המשاعر المعنى وجعل الذى يغالبه لسان الجمال وبذلك سقط الشعر لان ابن الأحنف أراد أن الحبيبة هي غالبه على ارادته فيجره لسانه إلى اسمها إذا أراد أن يبتعد عنه . والعقاد جعل لسان الجمال يدعو فقط لا يجره جراً إذا أراد الحبيب أن يبعده عنه .

وقد عبر أبو تمام أحسن تعبير عن هذا المعنى بقوله

هي الشمس يغنيها تودد وجهها إلى كل من لاقت وان لم تودد

وتأمل قوله « يغنيها تودد وجهها » فهي كلمة بالعقاد وكل شعره :

نحن نعبث بهذا המשاعر ونفسح له مهربا كمهرب الفأر بين أظافر المهر لا يرسله يمينا إلا ليضربه شمالا . وانما سرق המשاعر من قول النخائل :

تكلفني هجرانها بلسانها ويدعو اليها حسنها بلسان

وهذا معنى كثير فاش تجده في الغزل وفي المديح أيضاً وهو في الشعر الأوروبي

أكثر منه في الشعر العربي

بجانب هذه القطعة قطعة أخرى معربة عن شكسبير يقول في البيت الثالث منها :

ومالت على أذنيه حتى كأنه لسمع منها شجوها والتدما

فما هذه اللام في « لسمع » ؟ لام عقادية ولا شك ، أى سخافة و تخليط ، ان هذه

اللام لا تأتي إلا زيادة في التوكيد، وهنا كأن للتشبيه لا للتوكيد أى لم يقع بل كأنه

فلا توكيد في الكلام ولا محل لتلك اللام مطلقا إلا أنها من جهل המשاعر ويقول فيها :

تهدقوى الثبت المريعة من جوى فتعرقه إلا مشاشا وأعظما
 فسر « تعرقه » بقوله : عرق اللحم كشطه وأبقى العظام ، فإذا كان هكذا فعنى
 البيت (تكشط اللحم وتبقى العظام إلا العظام !!!) أهذا يان أم هذيان ؟ وتفتح
 صفحة ٣ ، فإذا قطعة في العقاب الهرم يقول فيها :

ويثقله حمل الجناحين بعدما أقلاه وهو الكاسر المتفحم
 يريد بالكاسر مثل قول الجرائد التى يتعلم فيها (حيوان كاسر وأسد كاسر)
 وهو خطأ لأن هذه الكلمة لاتقال إلا للطائر حين يكسر جناحيه للوقوع ويقول
 بعد هذا البيت :

جناحين لو طارت لنصت قدومت شماريخ رضوى واستقل يللم
 قال فى الشرح : التدويم تحويم الطائر فى الفضاء والشماريخ القلال والمعنى أن خاصة
 (كذا) الطيران سلبت من جناحيه فأصبحتا (كذا) هما والجبال سواء . ما الذى
 فهمت أيها القارىء من هذا الشرح ومن سخافة النظم ؟ يريد المتشاعر أن جناحي
 العقاب الهرم جدا فلا يطيران فلو هما طارا لطارت فى الجو شماريخ جبل رضوى
 وقام جبل يللم بطير فانظر أى اضطراب وأى حمق وأى سخافة ولماذا رضوى ويللم
 دون حملايا والألب ؟ ويقول

لعينيك يا شيخ الطيور مهابة يفر بغاث الطير عنها ويهزم
 بغاث الطير ضعافها وما لا يصيد منها، ومنه قولهم (ان البغاث بأرضنا يستنسر)
 يريدون ان البغاث مع كونه ذليلا عاجزا- لو نزل بأرضنا لاقرب نسرا . فأية قيمة
 للمهابة التى تفر منها ضعاف الطير ؟ أو ليس المعنى الطبيعى الشعرى هو قول
 ابن حجاج

وكل باز يمسسه هرم ترى على رأسه العصافير

وفى صفحة ٣٢ الليل والبحر يقول :

ضل هادى العيون واحلوك الليل فلا فرق بين أعمى وهر !!!

ولهذا الظلام خير من النور اذا كنت لا ترى وجه حر

هنا تظهر سخافة هذا العقاد بأجلى مظاهرها فكلامه لثيم وأسلوبه لثيم وسرقاته

لثيمة . يريد أنك ما دمت لا ترى وجه حر من الناس فالظلام خير من النور .
 ما الأما ما الأما . ألا يغور هذا المتشاعر في الأرض وهو يعرف أنه يسرق الأمان سرقة.
 من قول القائل

أتمنى على الزمان محالا أن ترى مقلتاى طلعة حر
 أعرفت الآن سخف العقاد ولؤم شعره وركا كتيانه المتهدم وأنه يمشى في الشعر
 على رجلين من الخشب !!!!

وفي صفحة ٣٧ يزعم المتشاعر انه يعارض ابن الرومي ولو بصق ابن الرومي.
 لفرق العقاد في بصقته . يقول

في كل روض قرى للزهر يعمرها يا حبذا هي آيات وسكان
 ولا أدل على جهل العقاد بالنحو والعربية من هذا فان (آيات وسكان) هنا في
 هذا التركيب يجب ان تكون منصوبة على التمييز وقد جعلها مرفوعة لأنه جاهل جهلا
 صريحا . ويقول فيها:

نفاه عن عرس الدنيا شواغله ان الحداد عن الأعراس شغلان
 من أى لغة جاء (بشغلان) ؟ من قول العامة : عاملها شغلانة !!!!
 ومن مضحكات هذه القصيدة

بالغصن شبهه من ليس يعرفه وانما هو للرائين بستان !!
 وهل نما قط في غصن على شجر آس وورد ونسرين وسوسان؟
 اذن هذا الحبيب أشجار مختلفة . اما تشبيهه قده بالغصن فخطأ في رأى المتشاعر
 ويجب أن يشبه قده بالحقل !!! أليس هذا الخلط أسقط ما يمكن أن تعثر بمثله في.
 أسخف الشعر في أحط الأزمنة ؟ ولكن العقاد مجدد !! مجدد ايه وهباب ايه !! انظر
 الأصل الذى سرق منه لابن الرومي

لاى أمر مراد بالفتى جمعت تلك الفنون فضمتن أفنان
 تجاوزت في غصون لسن من شجر لكن غصون لها وصل وهجران
 تلك الغصون اللواتي في أكتتها نعم وبؤس وفرح وأحزان
 ما أجمل هذا التصوير وأبدعه في جعل ثمار تلك الغصون الانسانية نعا وبؤسا

وأفراحا وآلاما لا كما صنع المغفل الذي جعلها آسا ووردا ونسرينا وسوسانا ولو كانت
القافية لامية لحسبناه يجعلها بصلا وثوما وكرائنا وفجلا !!! على أن المتنبى أشار إلى
ذلك المعنى إشارة رقيقة في قوله : مظلومة القدي تشبیهه غصنا . ولو كان في طبع المتنبى
الغزل لأبدع واستوفى المعنى ولكنه في الغزل ضعيف جدا يقلد غيره
ويقول العقاد

يا من يراني غريقا في محبته وجدا ، ويسألني هل أنت غصان ؟
يعنى إيه ؟ الغصان من به غصة وهي ما يعترض في الحلق فيساغ بالماء . فما معنى
ان يكون الغريق غصان ؟ الظاهر ان هذا العامى المتشاعر ظن أن الغصان معناه
الظمان والغريق لا يسأل هل أنت ظمان لان الماء يملأ حلقه وجوفه .
وانظر قول البحترى حين لاح له مثل هذا المعنى

كان يحى ميتا من ظمأ بعض ما أوبق ميتا من غرق
انظر الفرق بين الشاعر الحقيقي مثل البحترى والمتشاعر الدعى الغبى مثل
العقاد الذى يقول

إني إلى الرعي من عييك مفتقر يا ضوء قلبي فان القلب مدجان
فسر (مدجان) في الشرح بقوله : غائم !!! ومدجان مفعال صيغة مبالغة
فكيف تأتي صيغة المبالغة من الرباعى أى فعل أدجن ؟ والظاهر أن هذا
العامى فهم من معنى (الرعى) النظر، مع ان قولهم رعاه الله لا يكون الا بمعنى حفظه
فالمعنى انه مفتقر الى ان تحفظه عينا الحبيب !!! لان قلبه مدجان .

الحق ان الذى يقرأ هذه القصيدة ويقول ان العقاد شاعر وأنه يعرف العربية
لا يكون الا مغفلا بل من أشد المغفلين ، وزعم ناظمها أنه شاعر واتباعها في ديوانه هو
الدليل على انه مغفل، ودليل آخر على أنه مغفل قوله:

والشعر من نفس الرحمن مقتبس . والشاعر الفذ بين الناس رحمن !!!
لا تشير الى إلحاد هذا الدعى الزميم فهو يباهي به، ولكنه لما كان يدعى لنفسه انه شاعر
قد فكأنه في رأي نفسه اله !!! أغيثوه بطيب مستشفى المجانين أيها الناس
قالوا اين آدم من قرد فقلت لهم: كلا ولكن في النجر ثعبان

يعني في الأصل ، وهذا رد من العقاد . داروين وماتركه الى هذا المعنى الامن
لؤمه وأذاه وطوله

ونفتح الآن صفحة ٦٠ فقرأه يقول يصف امرأة في حمام البحر
البحر يغضب وهي ضاحكة • شتان بين السخط والسخر
وتميل من ظهر الى بطن • طوراً ومن بطن الى ظهر
هذا دليل جديد على جهل الرجل بالعروض فان آخر الشطر الاول من البيت الثاني
عروض حذاء مضمرة والاضمار مع الحذاء لا يقع الا في الضرب ، اى في آخر البيت
ومعنى هذا انه لا يجوز ان يقول في هذا الوزن (الى بطن) بسكون الطاء بل يجب
أن يكون في مكان الطاء حرف متحرك .

نخطأ في النحو وخطأ في اللغة وخطأ في العروض وسخافة في المعنى ولؤم في السرقة
وغباوة في الذوق . ماذا بقى منك ايها الدعي لتكون شاعراً به ؟ ، وفي صفحة ٦٥ :

فاكتب على هذا الزمان ذنوبه • انا تؤجله الحساب الى الغد
ومع سخافة المعنى عدى (أجل) الى مفعولين وهو لا يتعدى الا الى مفعول واحد
وقلب الآن صفحة ١٠٥ ضيق الأمل

شر ما يلقي الفتى أجلى • ضيق عن واسع الأمل
انظر غباوة اللص لتعرف أنه لص وقابل هذا البيت بقول القائل
أمل من دونه أجلى • فتى أفضى الى أمل ؟
أليس هذا هو الشعر وأليس كلام العقاد هو الهذيان . أعرفت الآن أن هذا
السخيف الأسواني لص يسرق من الجوهري ويبيع في سوق الكاتو !!! ؟
(. . .)

« العصور » فتحنا هذا الباب لأننا نعتقد بأن الصحف إنما وجدت لتكون ميدناً
تحرر فيه الافكار وتظهر فيه نزعات الكتاب على حقيقتها . لهذا نرحب بكل نقد ونفتح
هذا الباب على مصراعيه لكل كاتب سافراً كان أو مقنعاً

الزباء (زنوبيا)

نقلا عن جيون مؤرخ الرومان

الزباء هي ملكة تدمر وسيدة الشرق الشهيرة . وهي المرأة الوحيدة التي تغلبت مهارتها الفائقة على الاستكانة والخنول للذين طبعهما جو القارة الاسيوية وأخلاق أهلها على طبيعة نبات جنسها . وتفوقت بذلك — إذا استثنينا سميراميس — على جمع السيدات اللاتي أنجبتن أوربا الحديثة فيهرن العالم بحكمهن المجيد

والزباء من سلالة ملوك مصر المقدونيين (البطالسة) تحاكي سالفها كليو بطرة جمالا وحسنا، وان كانت تفضلها عفا وإقداما. فقد كانت الزباء تعتبر أبهى سيدات عصرها شكلا وأكثرهن شجاعة : كانت سمراء اللون . ذات أسنان منضدة كعقد من الدر أو زهرة من الأقحوان، وكان لعينها بريق غريب يمتزج بحلاوة جذابة . وكان صوتها مع شدته جميلا رخيم الحواشي، ومداركها العالية كان يثقفها البحث والاطلاع فلم تكن تجهل اللغة اللاتينية وكانت ملية باللسان الاغريقي واللغة السريانية، كما أنها كانت تجيد اللغة المصرية القديمة . وقد وضعت في تاريخ الشرق كتابا نفيسا ضارعت به هوميروس وأفلاطون .

تزوجت هذه المرأة الكاملة من أذينة (Odenathus) الذي ارتقى بنفسه من مركز عادي حتى تبوأ عرش الشرق . فأصبحت بزواجها هذا صديقة ورفيقة لاحد الأبطال . وكان زوجها يلهو — في الفترة بين الحروب — بالصيد وقصص أنواع الحيوان الضارية كالسباع والدباب شأن الملوك المهرة في الحروب . ولم تكن زنوبيا أقل منه مهارة في هذه التسلية الخطرة، وذلك لأن بنيتها لم تكن ليتسرب اليها الكلال وعزيمتها لا يطررها الملل . ومن عاداتها أنها طرحت جانبا الركوب في مركب مغطي : وكثيرا ما كانت تبدو على ظهر جوادها في حلة عسكرية أو تسير على قدميها أميالاعدة في مقدمة جيوشها .

وقد يرجع الفضل في نجاح زوجها أذينة نجاحا باهرا الى ما تحلت به من فطنة وقوة نادرتي المثال . فكانت انتصاراتها على الملك العظيم ، عاهل الرومان ، أساسا وطيدا لشهرتهما وسلطانهما المشتركين

قتل أذينة عام ٢٦٦ قبل الميلاد يدي ابن أخيه في حفلة صيد انتقاما منه لأهانة ألحقها به ، فأجهزت زنويا على قاتله بعد زمن قليل على مذبح ذكرى زوجها المحبوب وتربعت في دست العرش ما يزيد على خمس سنين جمعت فيها حولها أخلص أصدقاء زوجها تسترشد بأرائهم في حكم تدمر وسوريا والشرق . ورأى الرومان خطأ أن يسحبوا الامتيازات التي كان يتمتع بها أذينة بصفة خاصة أيام حياته فوجهوا اليها جيشا عرمرما كان نصيب فائدة التقهر المعيب مع فقدان رجاله وسوء سمعته ، وكانت مدة حكم الزباء المجيدة ممتازة بأرشد الوسائل السياسية . اذ كانت تكظم غيظها وتخفف من حدتها في مواطن العفو والغفران . وتسدل ستار السكوت الرهيب على عوامل الشفقة والرحمة في مواقف العقوبة والقصاص . وقد بلغ من شدة اقتصادها أن ربيت بالبخل والتقتير غير أنها كانت تبدى في ظروف عدة دلائل الكرم والسخاء . وكانت البلاد المجاورة لها كالعرب وأرمينا والفرس تخشى عداها وتخطب من وقت لآخر ودها . وأضافت زنويا الى ممتلكات زوجها - التي كانت تمتد من نهر الفرات الى بحر الأرخيل - الأقاليم المصرية الغنية بتربتها الآهلة بسكانها فاسترجعت بذلك تراثا ثميناً من تراث أجدادها واستحقت بعملها هذا احترام عاهل الرومان وتبجيله إياها على أن سلوك زنويا كان يشوبه بعض الإبهام . إذ أنها جمعت بين عادات أمراء الرومان المألوفة ونخامة الملوك الآسيويين . وربت أولادها الثلاثة تربية لاتينية . وكثيرا ما عرضتهم على جيوشها في الوشاح الأرجواني الامبراطوري شأن ملوك الرومان . في حين أنها حفظت لنفسها تاج الملك مع لقب «ملكة الشرق» العظيم ولقد كانت زنويا تفقد صيتها الذائع وشهرتها الواسعة لو تقاعدت فسمحت لامبراطور الغرب بأن يقترب مائة ميل من حاضرة ملكها ، على أن حظ الشرق كان قد تقرر في واقعيتين : أولا هما قرب انطاكية وثانيتهما نت ملكة تدمر تثير حماسة رجالها بوجودها في طليعتهم

وتبعث فيهم روح الاقدام بما كانت تبديه من ضروب الشجاعة والفروسية، وكانت قوات زنوبيا العظيمة مؤلفة من نشاين وفرسان مدرعين بملابسهم الحديدية، فلم يستطع فرسان أورليان الوقوف أمام هجماتها ففروا هاربين طوعاً أو كرهاً وتبعهم التدمريون، ثم عاد المتحاربون فاشتبكوا في وقائع فردية تغلب فيها جنود الإمبراطور ورأت زنوبيا أنها لا تقدر أن تحشد جيشاً آخر لانضمام الأمم التي كانت خاضعة لها إلى لواء خصمها المنتصر وأنفذ الإمبراطور أحد قواده لغزو مصر. وكانت تدمر آخر ملجأ لزوجة أذينة فانسحبت إلى داخل جدرانها وأعدت العدة لأشد مقاومة ثم أعلنت في شجاعة الأبطال أنها ستقرن آخر لحظة من أيام سؤدها وسلطانها بآخر نسمة من نسمات حياتها

وقصد الإمبراطور أورليان إلى تدمر فكان عرب الصحراء يهاجمونه من آن لآخر على غرة فسلبوا من جيشه كثيراً من المتاع والرجال ولكن هذا لم يثن من عزيمة الإمبراطور الذي كان يسير في مقدمة قواته برباطة جأش على الرغم من إصابته بنشاب صوبه إليه أحد أعدائه. وإليك بعض ما قاله عن هذه الحرب :

هذكر الرومان بامتهان هذه الحرب التي أشن غارتها على امرأة ولكنهم يجهلون حقيقة الزباء وقوتها، وأنه ليسر عليهم أن يحصوا معداتها الحربية من أحجار وسهام أو يعدوا كل أنواع المقنوفات والمنجنقات التي تحصن بها كل جزء من أسوار حاضرتها وإنهم ليسعّب عليهم أن يدر كواهل الآلات الحربية التي تقذف النيران والسوائل المفرقة الملتببة على مهاجميها، أجل لقد شدد خوف الزباء من العقاب عزميتها وأولاها شجاعة، فائقة تدافع بها دفاع المستيئس المستميت، على أني أعتمد في قهرها واذلالها على مساعدة آلهة رومية الذين شملونا برعايتهم في حروبنا السابقة،

غير أن العاهل — على الرغم من اعتقاده في معونة آلهته عرض على الملكة شروطاً حسنة للتسليم سمح فيها لها بتقهقر شريف، ووعد بأن يتمتع رعاياها بجميع امتيازاتهم القديمة. ولكن الزباء أصرت على رفض شروطه وقرنت رفضها بالازدراء والاحتقار

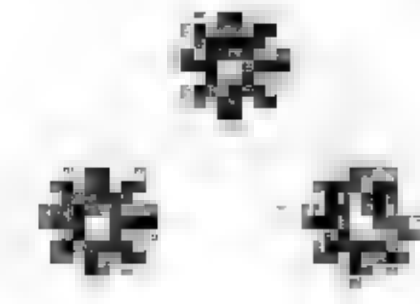
اجتياز الصحراء قافلين . ويشجعها عليه اعتقادها - بحق - ان ملوك الشرق وخاصة ملك العجم سيقفون مدافعين عن حليفهم الطبيعية، غير أن حظ اورليان ومثابرة تغلبا على كل عقبة في سبيله . إذ اتفق أن توفي (سابور) شاه العجم في هذا الوقت فار تبكت أحوال الفرس وبدد الامبراطور الجيوش الفارسية التي كانت معدة لنجدة تدمر أو اشترى ذمم قوادها . كما أنه عاد إلى صفوف الرومان ذلك الجيش الذي كان قد وجه لغزو مصر بعد أن نجح في استرجاعها إلى لواء الامبراطورية ، فتضاعف به عددها وزادت قوتها وقوى بطشها . كل هذا حمل الزباء على الفرار من وجه خصمها فامتطت أجود هجانها . وما كادت تصل به إلى شاطئ الفرات - على بعد ستة أميال من تدمر - حتى لحق بها فرسان الامبراطور وألقوا القبض عليها وأرجعوها أسيرة بين يديه . وسرعان ما سلمت حاجزتها بعد ذلك . ولكنها عوملت بسخاء لم يكن منتظرا ودخلت في حوزة الامبراطور جميع أسلحة تدمر وخيلها وإبلها وكل ما فيها من خزان الذهب والفضة والحريروكنوز الأحجار الكريمة . ثم ترك الامبراطور في تدمر حرسا من ستمائة شاب وعاد إلى أماسيه حيث أخذ في توزيع المكافآت وإزالة العقوبات بعد تلك الحرب الضروس التاريخية

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

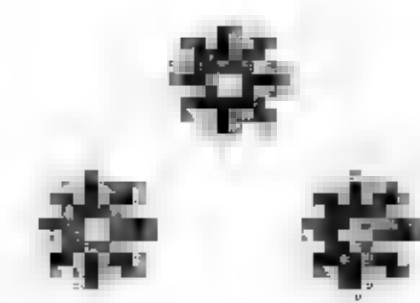
وحين مثلت الزباء بين يدي العاهل وسألها مؤنبا « كيف اجترأت على حمل السلاح في وجه ملوك الرومان » كان جوابها أنها تأنف أن تقيم وزنا لامثال « اريولاس » و « جاليناس » ولكنها في الوقت نفسه لا يسعها الا أن تعترف بأنها أسيرته وخاضعة لحكمه . ولما كانت قدرة الاحتمال عند النساء غير طبيعية فانها قل أن تكون ثابتة قوية لذلك فارقت الزباء شجاعتها في هذه الساعة الرهيبة وأخذت فرائصها ترتعد كلما صاح أحد الجنود طالبا اعدامها ، وسرعان ما غاب عن ذهنها سخاء كليوباتره - عند ياسها - تلك التي اتخذتها مثالا تحتذى حذوه - وسرعان ما دفعت لحياتها ثمنا غاليا من عظيم شهرتها وأرواح أصدقائها فنسبت إلى مشورتهم وأثرها في نفسها الضعيفة جريمة مقاومتها العنيفة، وصبت على رموسهم جام غضب اورليان العاقى وأنزلت على هاماتهم شر انتقامه القاسي

وما كاد اورليان يجتاز المضيق الواقع بين آسيا وأوربا حتى علم أن التدمريين قتلوا الخاكم وأعدمو الحراس الذين تركهم خلفه . وأنهم رفعوا راية العصيان وشقوا

عصا الطاعة فولى وجهه شطرهم على الفور وأنزل بالمدينة التعسة أشد صنوف العقاب . فاستحال ذلك المركز الكبير — مركز التجارة الواسعة والفنون الجميلة . مركز الزبائ العظيمة — الى بلد صغير ف حصن مجرد عن وسائل الدفاع فقريه حقيرة . وأصبحت مساكن الثلاثين أو الأربعين أسرة الباقية من سكان تدمر عبارة عن أكواخ من الطين داخل سور أحد معابدها القديمة الفخمة .



ولم يبق بعد ذلك أمام أورليان ذى العزيمة الحديدية الا أن يجمع فتنة فى وادى النيل أثارها أحد الخارجين عليه أيام ثورة تدمر . وكان هذا يدعى المسمى فرماس (Firmus) يفخر بصداقته لاذينه وزنوبيا وكان تاجرا مصريا ثريا نشأت بسبب تجارتها مع الهند صلات وثيقة بينه وبين العرب وقبائل البلة القاطنين على جانبي البحر الأحمر وصعيد مصر . وقد سمي «فرماس» المصريين بنيل حريتهم فاذا كفى فى نفوسهم نيران الثورة . ثم سار على رأس جموعهم المتحمسة حتى دخل مدينة الاسكندرية حيث ارتدى الوشاح الأرجوانى الامبراطورى وصك النقود باسمه وأصدر اللوائح والقوانين ونظم جيشا عظيما زعم أنه يستطيع الانفاق عليه من تجارة الورق التى كان يحترفها ، ولكن هذا الجيش لم يكن يصلح للدفاع أمام أورليان فانهمزم «فرماس» ووقع أسيرا فى قبضة أعدائه الذين شدوا وثاقه على آلات التعذيب الجهنمية حتى فارقت الحياة ، وحق لأورليان بعد هذا أن يبنى مجلس الشيوخ ويبنى الشعب ويبنى نفسه بأنه وطد دعائم السكينة والنظام فى أرجاء العالم الرومانى فى مدة لا تتجاوز ثلاث سنوات



ولم يكن بين القواد الرومان من هوأحق من أورليان بالفخار والحفاوة . ولم تشهد روما منذ نشأتها — استقبالا أنفر وأبهى من استقبال هذا البطل العظيم : كان فى مقدمة الموكب عشرون فيلا وأربعة نمره ملكية وما ينيف على مائتى حيوان غريب من الأقطار الشمالية والشرقية والجنوبية ، وكان يتبع هؤلاء كنوز آسيا وخزائن ملكة الشام . ثم سار ممثلو الممالك القاصية كاثيوبيا والعرب والفرس وتركستان والهند والصين ، كل فى لباسه الثمين المزركش ، فزادت بمشهدهم شهرة ملك الرومان ونفوذه ، وبعده هؤلاء عرضت

الهدايا التي قدمت الى الامبراطور، وكان أبهرها للعيون وأجذبها للالباب مجموعة من التيجان الذهبية. ثم جاء دور الأسرى العديدين من الأقاليم المختلفة فكانوا يسرون مكرهين في صفوف طويلة كل طائفة منها يميزها عليها. وكانت زنوبيا ملكة الشرق بين الأسرى الذين اتجهت اليهم الابصار وأشرأت لرؤيتهم الاغناق، كان شخصها الجميل مكبلا بالأغلال العسجدية يكاد قوامها البديع الشبيه بغصن البان ينهبع بعبد الاحجار الكريمة المحلاة بها ملابسها وهي تمشي على قدميها أمام مركبها الفخم الذي طالما تاقته نفسها الى الدخول به غالبية من أبواب روما، وكان خلف مركبها آخران، أحدهما لاذينه والثاني لملك العجم. أما مركب انتصار أو رليان فكان يجره في هذا الموكب أربعة ظباء يعقبه عظماء الشيوخ وكبار الشعب وقواد الجيش.

على أن أورليان عامل أسراه ومنافسيه معاملة رحيمة قل أن تصدر من الغازين الأقدمين فأمرأوه الذين اخفقوا في الدفاع عن عروشهم أو حريتهم شنقوا غالبا في السجون عقب احتفال الحفاوة بمقدم الامبراطور والمغتصبون الذين غلبوا على أمرهم بسبب خيانة أحد إتباعهم عفا عنهم وسمح لهم بعيشة رغدة وحياة هادئة طيبة أما زنوبيا فقد وهبها الامبراطور قصرا بديعاً في «تيفولي» على بعد نحو عشرين ميلا من الحاضرة الرومانية حيث تمتعت بحياة سعيدة راضية وزوجت بناتها من أسرات نبيلة وظلت شجرة ذريتها باسقة الأغصان حتى القرن الخامس بعد الميلاد.

احمد ابراهيم
مدير التعليم بأسسوط

(العصور) نشكر للاستاذ المربي الكبير أحمد بك ابراهيم موافاته لنا بهذا المقال التاريخي المفيد، وبهذه المناسبة نذكر أن زميلتنا مجلة (الاضاء) نشرت في عددي مايو ويونيو مقالا ممتعا للاستاذ على محمد البحر اوى نقد به الاويرا الرائعة (الزباء) التي نظمها الاستاذ الكبير الدكتور أبو شادي وأصدرتها المطبعة السلفية بالقاهرة منذ سنتين

نظرات في تاريخ الإسلام للقائمة دوزي مترجمة بقلم الأستاذ كامل كيدرني

« وأشترط على نفسي أن لا أتعرض
لذكر ما أعتمد به ، فيما أجده مخالفاً لما أعتقده
فان التقرير غير الرد ، والتفسير غير النقد ،
« نخر الدين الرازي »

(٢)

زد على ذلك ، أن الإسلام — وان لم يلق معارضة قوية أثناء فتوحاته المتوالية المظفرة —
فان سراً مكة وطبقة الأرسقراطية العربية لم يغفروا لأصحاب هذا الدين الجديد ومؤسسيه
هذا الفوز الذي أحرزوه ، ولم يرضوا عن ذلك السلطان الذي أراد الموحدون
أن يبسطوا ظله عليهم .

ولقد كانت تقوم المنازعات والشغب على مسألة من المسائل ظاهر أمرها
أنها شخصية لا علاقة لها بمبدأ أو عقيدة ، وهي في حقيقتها وجوهرها غير ذلك
فقد كان يتخذ النزاع غرضاً يحوم حوله ومبدأ يناضل عنه ليتخذ منه نكأة يبرر بها
غايته من الشغب .

وقد بدأ ذلك بحادث عثمان ، ثالث الخلفاء ، حين تولى الخلافة بعد وفاة عمر (٦٤٤ م)
وكانت سن عثمان حينئذ سبعين عاماً ، وكان حلماً لين العريكة ، ضعيف الإرادة أمام
أسرته وأعيان مكة وسرايتها ورجال بني أمية . أي أنه كان ضعيف الإرادة أمام كل
من ناصبوا محمداً العداء عشرين عاماً ، فلما أسلبوا كان في إسلامهم مجال واسع للظنون

والحذر، ولقد نالوا بفضل « عثمان » أرفع المناصب وانتهت المأساة الكبرى بقتل المسلمين خليفتهم الشيخ المسن « عثمان »

ثم ولي الخلافة من بعده « علي » ابن عم « محمد » ولكن لم يتم الاعتراف به في كل مكان ، فقد هبت سوريا متحمسة إلى امتشاق الحسام — وعلى رأسها واليها معاوية بن أبي سفيان . وكان انتصاره حينئذ انتصار جمهرة المعادين للإسلام ، الذين كانوا يناوئونه من صميم قلوبهم ، على أن المسلمين حقاً لم يخضعوا لهم ، فقد أشعلوا نيران الحرب من جديد في زمن « يزيد الأول » ابن معاوية الذي ولي الخلافة من بعده . ولقد قام « الحسين » وهو الابن الأصغر لعلي ، يطالب بالخلافة ، ولكنه صرع — وهو وقتئذ القليلة التي كانت تنصره في موقعة كربلاء (١)

ومن ثم قام « عبد الله بن الزبير » — وهو ابن صحابي من صحابة الرسول — إلى مكة رافعاً علم الثورة ، وظل سنة كاملة لا يحفل به الخليفة . ولا يلتفت إليه استصغاراً لشأنه . ذلك أنه لم يغادر مكة إلى غيرها من البلدان فلم ير له الخليفة خطراً يستحق أن يناوئه من أجله . ورأى أن من الحزامة أن يتركه وشأنه ، حتى لا يثير عليه حفيظة المسلمين أكثر مما أثار من قبل بلا حاجة ، فلم تكن ثمة ضرورة قاهرة تضطره إلى أراقة الدماء في بقاع كانت — حتى في زمن الوثنية — حرماً مقدساً لا يمسه أحد بسوء .

ولكن لكل شيء حدا . فقد صبر يزيد حتى عيل صبره ، فلما لم يبق في قوس الصبر منزع طلب إلى عبد الله بن الزبير — للمرة الأخيرة — أن يبايعه ، فلما رفض امتزج الخليفة بالغضب وأقسم أنه لن يقبل من هذا التأثير طاعة حتى يوثق به بين يديه مكبلاً بالأغلال . ولما هدأت ثائرة الخليفة ندم على قسمه — وكان طيب السريرة — ، ففكر في وسيلة يبر بها في قسمه دون أن يمس كبرياء « عبد الله » ، ثم استقر على أن

(١) وفي ذلك يقول الكمي :

يحلثن من ماء الفرات وظله حسينا ، ولم يشهر عليهم منصل
كأن حسينا والبهليل حوله لأسيا فهم ما يختلي المتبعل !
« المترجم »

يرسل اليه غلا من الفضة ومعه حلة فاخرة ليخفيه تحتها اذا شاء ، وبعث اليه برسل يحملون معهم هدايا ثمينة ، فساروا من مقر ملكه « دمشق » حتى بلغوا « مكة » ولكن عبد الله رفض — بطبعه — أن يقبل تلك الهدايا ، وعثا حول الرسل أن يتوصلوا إلى اقناعه وانزاله عن رأيه . فقد أصر « عبد الله » على عناده لأنه كان يعتقد أن كائناً من كان لن يفكر — بحال ما — أن يلجأ إلى العنف والشدة معه وهو في تلك البقاع المقدسة . وكان هذا سرطمانيته، وقدأ كد له الرسل بصراحة أن الخليفة لن يعنف معه ولن يقدم على مثل ذلك العمل .

على أن « عبد الله » لم يكن أول من تعرض لغضب الخليفة ونقمته ، فقد سبقه إلى ذلك ثوار « المدينة » . وكانت روح الشر مهيمنة عليهم في ذلك الحين ، فقد وقعت بينهم وبين الوالى — حينئذ — خصومة بسبب النزاع على تملك بعض الأراضى ، وأراد الوالى إزالة أسباب الخلاف — وكان من أبناء خؤلة الخليفة يزيد — ، فنصح سرة المدينة وأعيانها أن يذهبوا إلى بلاط الخليفة ، فلما ذهبوا ، قابلهم الخليفة أحسن مقابلة وأكرم وفادتهم وتلطف معهم رغبة في أن يستميلهم اليه ، ولكن يزيد كان — رغم أدبه ونبله — غير مشبع بروح احترام الدين الذى كان يمثله وهو خليفة المسلمين الأعظم فبدرت منه آراء — عن غير قصد — صدمت بعض أصول الدين التى يقدها أهل المدينة ، فلما عادوا إلى بلادهم عادوا ساخطين وأخذوا يشهرون بالخليفة ويذمونهم عند مواطنهم متأثرين بعامل الغضب ، فقالوا لهم : « انه يشرب الخمر ويعزف على الأوتار ويصرف نهاره بين كلاب الصيد (وقد كان محمد يمقت ذلك أشد المقت) فاذا جن الليل جلس بين اللصوص وقطاع الطرق » — يعنون بذلك البدو والأعراب الذين نشأ بينهم يزيد وترعرع فلما كبر أدناهم من مجلسه

وزادوا على ذلك أنه لا يصل قط وأنه جاحد ، وعزوا إليه فوق هذه التهم التى بنوها على أساس — واه أو متين — تهما أخرى لا أساس لها ولا وجود ، وإن كان ذكرها مما يثير فى نفس خصومه من أهل المدينة حفاظ وأحقاقا بعيدة الأثر وكانوا يميلون إلى تصديق كل تهمة تلتصق بكل أموى

ومن ثم انقلب المسجد مسرحاً عجيباً تصب فيه اللعنات على يزيد وأتباع يزيد

واجتمع أهل المدينة قاطبة وهم صاخبون فشرع كل واحد منهم يتجرّد من شيء من ملابسه فيلقى به صائحاً — :

« إني أخلع يزيد كما أخلع قبائى هذا،

أو عمامتى »

أو نعلى »

ثم طردوا كل من فى المدينة من الأمويين ووقفوا عن تعيين خليفة جديد لهم فقد كان القرشيون الذين فى المدينة لا يحبون أن يعترفوا بأهلها ، كما كان أهلها كذلك لا يحبون أن يعترفوا بهم

فقر رأيهم على أن يترشوا فى تعيين الخليفة حتى يتم خلع يزيد ! واستحوز عليهم عداء جنونى لا يحدوه رشد فلم يتبصروا ، عواقب هذا الاندفاع وكيف تقف مدينة واحدة أمام جيوش الأمبراطورية الإسلامية العظيمة كلها ولقد حاول عبثاً أحد المدنيين — وكان قد عاش فى بلاط الخليفة ، ثم أوفده سيده إلى المدينة — أن يبين حقيقة الخطر لمواطنيه فقد أعماهم الغضب فأصبحوا لا يعيرون الناصحين التفاتاً ولا يصيخون إلى أية موعظة تقدم إليهم بحسن نية

وحينئذ رأى الخليفة أنه مضطر إلى الالتجاء إلى القوة فأرسل إليهم جيشاً عهد بقيادته إلى « مسلم » — وكان « مسلم » أقرب إلى الوثنية منه إلى الإسلام — فأمره أن يترك لأهل المدينة ثلاثة أيام يفكرون فيها ، فإذا أبوا أن يخضعوا — هاجمهم ودمر مدينتهم تدميراً فى ثلاثة أيام أخرى ، ثم ليأخذ على من فيها الموائيق بأنهم عبيد يزيد وليقسموا على ذلك فاذا رفض أحدهم أن يفعل قطعت رقبته

ولم يكذب يبلغ أهل المدينة رسالته حتى هبوا ثائرين أنفة من الخضوع وأعدوا عدتهم للقاء العدو وجاهد الفريقان بشدة وصبر نادرين (وكانت موقعة الحرة سنة ٦٨٣ م) وظهرت الخسائر من الفريقين متكافئة ، وكان أهل المدينة متحمسين نذكى فيهم الحرارة والقوة تعصبهم الشديد واعتقادهم الثابت أنهم المختارون وأن أعداءهم — من جيش سوريا — هم عند الله كالوثنيين سواء بسواء ، وكانوا على يقين

من أن خصومهم إذا ماتوا صبت عليهم اللعنات و باؤا بغضب من الله ، أمامهم فانهم
سا لكون - بلا شك - مسالك الشهداء والأبرار

وبقى مصير الحرب معلقا في كف الأقدار زمانا طويلا حتى كشفت الخيانة عنه،
فقد ارتشت أسيرة من المدنيين ففتحت أحد أبواب المدينة لفرقة من جيش العدو ،
فدخل السوريون وسمع أهل المدينة من خلفهم فجأة صيحات النصر من أفواه
السوريين، فضاع كل أمل لديهم في الفوز والغلبة، وأصبحت المدينة في قبضة العدو
وصار كل هجوم عبثا ومستحيلا، على أن جمهورتهم لم تفكر في الخطر المحدق بها فهجم
أهل المدينة على أعدائهم فرادى و باعوا حياتهم بأعلى ثمن استطاعوا أن يبيعوها به!
و كان من بين القتلى سبعمائة من حفظة القرآن وأربعة وعشرون من الصحابة، ولم
يكن أحد من الصحابة الذين حاربوا مع النبي قد حارب بعد أن نصره في حرب بدر
على المكين ، حتى شهدوا هذا اليوم المشؤم

ودخل « المدينة » فرسان سوريا فلما لم يجدوا مكانا يربطون فيه خيلهم ربطوها
في مسجد المدينة بين جدث النبي و كرسيه، أي في نفس المكان الذي طالما سماه النبي
نفسه جنة من جنات الفردوس

ثم نهبوا المدينة في ثلاثة أيام وسبوا كل من فيها من نساء وأطفال ، ولم ينج أحد ممن
بقي من أهلها - فقد فرأ أكثرهم - الا بعد أن أقسم أن يكون عبدا من عبيد يزيد
و هكذا أقسموا جميعا على أن يكون الخليفة سيدهم ومولاهم وأن يكون في حل
من التصرف فيهم بما شاء من عتق أو بيع ، كما أقسموا أن يكون له الحق في كل ما تملك
أيماهم من نساء وأولاد وأرواح

ولما رأى أبناء مؤسسى الاسلام أنهم مضطهدون معذبون و أن بنى أمية قد
أرهم إرهابا ، لم يجدوا أمامهم وسيلة غير المهاجرة ، فهاجر الكثيرون منهم إلى
حيث انضموا إلى جيش أفريقيا ، وقد انضم أغلبهم - فيما بعد - إلى جيش العرب في
إسبانيا .

وكان « مسلم » مكلفا أيضا بأخضاع مكة، ولكن الموت عاقه عن تحقيق إرثته : فأخذ
« الحسين » (وهو واحد رجال جيشه) على نفسه أن يحقق ذلك ، فتولى قيادة الجيش

بدأ يحاصر مكة و يقذف الكعبة بالحجارة والصخور حتى حطم عمدتها وقواعدها
ثم نجح أخيراً في إحراقها جملة، و لقي الحجر الأسود في هذه المرة أول نكبة حاقت
به لأنه لم يطق مقاومة النار فتحطم أربعة أجزاء :

على أن مكة لم يتم إخضاعها ، فقد حال دون ذلك موت يزيد و ما أعقبه
من الفوضى التي اضطرت الجيش إلى رفع الحصار و الرجوع بالجيش توا إلى سوريا
وبهذا استعاد «عبد الله بن الزبير» قوته واستتب لها أمر الخلافة في مكة و خارجها أيضاً
ولكن الأمور بين مالبثوا أن تم لهم الأمر من جديد بعد أن تولى الخلافة
«عبد الملك» : و خضعت البلاد كلها و لم تبق إلا مكة وحدها ثائرة وفيها «عبد الله بن
الزبير» فلما رأى «عبد الملك» ذلك و جه إليها جيشاً بقيادة الحجاج ، فذهب إلى تلك
البقاع المقدسة ، و حاصر المدينة و طفق يرمي الكعبة بالصخور والحجارة ليدكها دكا
و بينما كان يقذفها بالنار ذات يوم - هبت عاصفة شديدة فأحرقت النار اثني عشر جندياً
فرأى الجيش في ذلك عقاباً من الله على انتهاك حرمة ذلك المكان المقدس . فأحجم
رجال الحجاج وكفوا عن ذلك

فانتأظ الحجاج و خلع بعض ملابسه و تقدم إلى المنجنيق فأخذ بيده حجراً ووضع
فيه ، ثم حرك حباله بعد ذلك وهو يقول - : « لقد أخطأتم الفهم ، فليس معنى ما حدث
هو ما فهمتموه . ألا إنني لخير بطيعة هذه البلاد فقيها ولدت وقد رأيت لهذه العاصفة
أشباها لا يحصى لها عد ! »

و ظل يشدد الحصار عليها بقوة عدة أشهر ، ثم أخذت المدينة بعد أن مات عبد
الله بن الزبير (١) سنة ٩٦٢ م . « للكلام بقية »

(١) مصر ع. عبد الله بن الزبير

(١٧) جمادى الأولى سنة ٧٣ هـ)

جمع القرشيين في الليلة التي قتل في صبيحتها فقال لهم : « ماترون ؟ » ، فقال رجل منهم :
« والله لقد قاتلنا معك حتى ماتجد مقاتلاً

و الله لئن صبرنا معك ما نزيد على أن نموت معك إنما هو إحدى خصلتين

«إما أن تأذن لنا فنأخذ الأمان لأنفسنا ولك، وأما أن تأذن لنا فنخرج،

فقال عبد الله :

« قد كنت عاهدت الله أن لا يبايعني أحد ، فأقبله بيعته ، فقال رجل آخر :

« اكتب الى عبد الملك

فأجابه :

كنت أكتب اليه : « من عبد الله أمير المؤمنين ،

فوالله لا يقبل هذا مني أبدا

أو أكتب اليه : « لعبد الملك أمير المؤمنين ، من عبد الله بن الزبير ،

فوالله لأن تقع الخضراء على الغبراء ، أحب الى من ذلك»



قال عروة أخوه :

« يا أمير المؤمنين ، قد جعل الله لك أسوة »

فقال له : « من هو أسوتي » <http://Archivebeta.Sakhr1>

قال «الحسن بن علي بن أبي طالب ، خلع نفسه وبايع معاوية ،

قالوا: فرفع رجله وضرب «عروة» حتى القاه، ثم قال :

يا عروة! قلبي اذن مثل قلبك ، والله لو قبلت ماتقولون ، ما عشت الا قليلا وقد

أخذت الدنية ، وماضربة بسيف إلا مثل ضربة بسوط ، لا أقبل شيئا مما تقولون !»

فلما أصبح دخل على بعض نسائه ، فقال :

« اصنعي لي طعاما»

فصنعت له كبدا وسناما

فأخذ منها لقمة ، فلا كها ساعة ، ثم لم يسفها ، فرماها وقال : اسقوني لبنا

فأتى بلبن فشرب ثم قال : « صبرا ، على غسلا»

قالوا : فاغتسل ثم تحنط وتطيب

ثم تقلد سيفه ، وخرج وهو يقول .

ولا ألين بغير الحق أسأله حتى يلين لضرر الماضع الحجر

ثم دخل على أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق « وهى عمية من الكبر، قد بلغت من
السن مائة سنة »، قالوا « فدخل عليها وسلم، فقالت ! من هذا فقال « عبد الله » ثم قال
« ماترين ! قد خذلى الناس، وخذلى أهل بيتى » فقالت
« يا بنى ! لا يلعبن بك صبيان بنى أمية، عش كرىماومت كرىما فقال: ان الحجاج قد آمنى »
قالت « يا بنى ! لا ترض الدنيا، فان الموت لا بد منه »
قال: « إني أخاف أن يمثل بى »
قالت: « ان الكباش اذا ذبح لا يؤلمه السلخ »
قالوا: « فخرج فأسند ظهره إلى الكعبة ومعه نفر يسير فجعل يقاتل بهم أهل الشام
فهمهم وهو يقول :

« ويل أمه فتح لو كان له رجال »

فجعل الحجاج يناديه

« قد كان لك رجال ولكن ضيعتهم »

قالوا:

فجاءه حجر من حجارة المنجنيق وهو يمشى فأصاب قفاه فسقط »

فما درى أهل الشام أنه هو حتى سمعوا جارية تبكى وتقول « وا أمير المؤمنين

فاحتزوا رأسه فجاؤا به إلى الحجاج ثم بعث به إلى عبد الملك .

قالوا : وكان الحجاج قد رأى فى منامه كأنه يسأخ عبد الله بن الزبير فلما قص

ذلك على عبد الملك بن مروان قال له عبد الملك « أنت له فاخرج اليه » « المترجم »

اطلب كل ما تحتاجه

من مكتبة

مكتبة علي بن أبي طالب

بالأزهر الشريف

بالقاهرة

الوعظ الطائب

الباز والقلق



ARCHIVE

قصة الباز والقلق

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

قنصَ البازُ قُبْرَهُ وعلا البشرُ مَنْظَرَهُ
فأنبرى لقلقُ له ورمى البازُ بالشَّرَهُ
قال : « أطلقْ سراحها قات برا ومأثره
صوتها ساحر ، فلا تحرم الناس مصدَرَهُ
ضعفها ظاهر ، وفيه لك صيَالٌ ومقدَره
فاحبها نعمة الحيا ة جميلا فتشكُرهُ »

هزى البازُ قائلا : « سيدي ! ألف معذره !
غير أني تربيـني فعلةٌ منك مُنكره
ضفدع بين مخليـه لك تزجيـه كالكره

ضَعْفُهُ ظَاهِرٌ ، وَفِيكَ صِيَالٌ وَمَقْدَرَةٌ
 فَاحِبُهُ نِعْمَةٌ الْحَيَاةُ حِيلًا فَيُشْكِرُهُ
 « إِنَّ لِلْخَيْرِ إِنْ أَرَدَ تَطَرُّقًا طَرِيقًا مَيْسَرَةً
 فَافْعَلِ الْخَيْرَ بَادئًا ثُمَّ لُفْنِي عَلَى الشَّرِّ »

كَمْ خَطِيبٍ عَلَى الْمَكَاثِرِ قَدْ حَثَّ مَعَشَرَهُ
 إِنْ رَأَى نَاكِبًا عَنِ الْخَيْرِ رَحْلًا وَغَيْرَهُ
 هَنَاقَاتُ الْوَرَى يَرَاهَا ذُنُوبًا مَكْرَهُ
 ثُمَّ يُلْفِي ذُنُوبَهُ هَنَاقَاتٍ مُصَغَّرَهُ
 مِثْلُ هَذَا مُتَّفَقٌ جَعَلَ النَّصِيحَ مَتَجَرَهُ
 نَصِيحُهُ كُلُّهُ خَلْدًا عُنْ وَغَشَّ وَثَرَتُهُ

كامل كبيرتي

مضى الأمل

أَذْكُرُ — وَالْدُّنْيَا أُمَامِي مَاتَتْ —
 وَهَبَنِي ذَكَرْتُ الرِّاحَ — وَالسَّمَّ فِي فَمِي —
 مَضَى الْأَمَلُ بِالْقَلْبِ الَّذِي يَرْتَجِي الْمَنَى
 سَوَاءٌ لَدَيْهِ خَيْرُهُ وَضَرَارُهُ
 وَإِنْ غَدَا لَوْزَفَ — فَمَا يَزِفُهُ —
 لَا عَمَجَزُ أَنْ يُهْدَى إِلَى الْقَلْبِ مَلَاوَةٌ

عبدالله عبدالعزيز

على فراش الموت

On The Death Bed

للشاعر الانجليزى «هود» "Hood"

شاهدتها — والليل مأسسكونه وسجاً — نردد آخر الزفرات
نفس ضعيف هادىء ، وبصدرها لجج الحياة شديدة النزعات

أصواتنا خففت ، فهمس قولنا ، وسرى السكون وخفت الأقدام
كوددت لو أعطى لها قوتى نصفاً ، لترجعها لنا الأيام

http://Archivebeta.Sakhril.com

أمل يكذب خوفنا ، ومخاوف تطغى على الآمال فى ثوراتها
يا طالما نامت ، فخلناها قضت وقضت فخلناها النوم فى أجفانها

الصبح أقبل ، والقلوب حزينة والجو معتم تسح هوامره
وهنا انتهت أيامها ، وتبدلت صبحاً يبين صبحنا ويغاييره

سيد ابراهيم

التعاون طيبة في الخليقة

بقلم الأستاذ العالم الجليل

محمود خاطر بك مدير التعاون في وزارة الزراعة

من الأقوال البالغة المأثورة « أن الانسان مدني بالطبع » يعنى أنه « اجتماعي بالطبع » والاجتماع لا ينتظم إلا بالتآزر والتعاون فهو لذلك « تعاوني بالطبع » وليس من الصعب أن أذكرك المثل بعد المثل في التدليل على ذلك ولكن الصعب أن أهتدى إلى مثل واحد أدلل به على وجود كائن في الخلق غير مفتقر إلى سواه

روى أحد الفرنسيين في تعريفه فضل التعاون أن زارعا جاءه في منامه مغضبا وقال له: لن أزرع لك بعد اليوم فخذ أنت المحراث وهبىء به غداك . وجاء النساج قائلا له: لن أنسج لك بعد اليوم فاعمل وحدك ما تريده لنفسك من لباس وجاء البناء يقول له: لن أبنى لك بعد اليوم مسكناً فأعده أنت وحدك . وجاءه كذلك كل من في هذا المعنى ويزيد فاستيقظ الرجل مذعوراً من هول ما رأى ولكنه حين أبصر كل شيء حوله مستقرا في نصابه حمد الله وزال ما كان قد اعتراه من الروع في عالم الأوثان .

وقرأنا في كتب الطفولة حكاية الوالد المحتضر يضرب لأرلاوه مثل العصي المجتمعة لا يقوى على كسرها أحد فاذا ماتفرقت سهل على كل إنسان كسرها واحدة بعد أخرى . كما قرأنا حكاية الرجل الأعشى يحمل المقعد فيتولى المقعد إرشاد الأعشى إلى الطريق متعاونين بذلك على تيسير أسباب العيش لهما بعد أن كان كل منهما بمفرده عاجزاً عنها . إن كل فرد منافع ذاته مثل ناطق من أمثلة التعاون الصحيح . أليست الروح تدب في الجسد فتكون ثمة حياة بتعاونهما معا فاذا افترقا وبطل ما بينهما من تعاون مشترك زالت تلك الحياة وزال أثرها .

وهذا الجسم الانساني لو تأملته وجدته ينطوى على أمثلة من التعاون عدة فكم من عامل فيه يتعاون على إمداده بالقوة وتمكينه من البقاء . ولست أقف بك إلى تعاون الجسم الانساني في تركيبه بل أذهب بك إلى فضيلة التعاون

في الحيوان و النبات وتكون العناصر فهي كلها شاهدة بضرورته في الوجود .
انظر إلى جماعة النمل كيف تتعاون على بناء مساكنها لزمان الشتاء وكيف
انها تجمع إلى هذه المساكن من القوت ما يكفيها طوال أيامه و أنها لم تؤثر ولم
ترض أن يفرد كل واحد منها بشأه في ذلك . و انظر إلى جماعة النحل كيف تعطيك
في تعاونها من عسلها الشهي مالا تستطيعه الواحدة منها إذا عملت لحاجتك في معزل
عن جماعتها . فأنت أينما اتجهت وحيثما حللت لا تجد لهذه المخلوقات إلا الجماعات
تو الجماعات تعمل في تعمل في تعاون .

وتكون الحديقة تبهر النظر وتؤتي أطيب الثمر لا يكون إلا بتعاون الشجرة
مع الشجرة و الحيلة مع الحيلة كما تتعاون سنابل القمح على هيئة محصوله الوفير وكما
يتعاون الزراع و المدراس و المدراس والعجان و الخباز على تجهيز أرغفة الخبز لغدائنا
بعد أن تعاون و ن قباهم الصناع على إعداد بحر اشهم و نور جهم و مطحنهم و ما إلى
ذلك مما هو في حقيقته سلسلة من التعاون حلقاتها متصل بعضها ببعض .
وتلك هي الفطرات من الماء التي تمطرها السماء و إذا أنظن القطرة الواحدة
منها تفعل ما يفعله مجموعها في انحداره بالآودية و جريانه بالانهر فينعم به الانسان
والحيوان ويحيى ميت الارض .

و في أشعة الشمس عبرة كبرى للتعاون فانها وهي مشورة في الافق لاتفعل
فعلها إذا ما تجمعت بقوة العلم لتدير مختلف العدد و تشفي عاصي العلل .
و المقال الذي تقرأه الآن ألم يتعاون في سبيله كاتبه و مصححه و جامع حروفه
و طابعه بعد أن تعاون فيه قباهم كثيرون ممن أعدوا لهم آلات الطباعة و صنع الورق .
و داك التراث التعاوني الذي تنغى به في كل ناحية والذي ندعوذ اليه من كل
جانب كم امة وكم جيل تعاونوا على إظهاره لنا في أنظمتها الحاضرة .

وفي الكتاب الكريم : و تعاونوا على البر والتقوى و لا تعاونوا على الأثم و العدوان .
وفي الحديث الشريف : « الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » : وفي مأثور
القول عن سيدنا علي بن أبي طالب : « الناس بخير ما تعاونوا » .

التحنيط عند قدماء المصريين

-٢-

لقد وقفنا في العدد الماضي عند قولنا: أنهم يلفون الميت في اقشعة من الكتان الرفيع .
والآن نقول أن هذا الكتان لابد أن يكون مدهونا بالصمغ أو بالمواد الغروية
بعد وضع طلسم مرسوم عليه عين المعبود (هور) دلالة على المحافظة . وتكون إما
من المعادن ، أو الأحجار الكريمة ، أو من الخزف . ثم تلبس الجثة خاتما في أحد
الأصابع له فص بشكل الجعران . ثم يوضع جعران آخر مجنح على صدره من
الأحجار الثمينة ويربط بقلادة من الذهب . وهذا رمز للمعبود خيرا (الشمس)
وأىضا طلسم من الذهب يرسم عليه اسمه وغير ذلك . ثم يعرض عن محجر العينين
بحجر زجاجى بلورى . ثم يملأ الأنف والفم بقطع الكتان المدهونة بالطيب
ومزوجة بالعقاقير العطرية السابق ذكرها . وبعد كل هذا يشرعون في تقييط الجثة
كل عضو على حدة أولا ، مع رسم المعبود الحافظ لهذا العضو على اللقافة . وكتابة
فصول كتابية مقدسة مع تلاوة الفاظ القديس والدعاء لهذا المعبود للاستعانة به
وفي أثناء ذلك تقدم الكهنة ذوا الرتبة العالية والوسطى أدعية وصلوات وتقديسات
للآلهة اجماليا التي عليها حفظ الإنسان . وبعد هذا التقييط تقمط ثانية وثالثة بلقائف
عرضها شبر تقريبا . وبين كل قماط يفرش من مسحوق العقاقير والطيب طبقات
طبقات بين كل لفة والأخرى . ثم توضع الأوراق البردية والملفات الكتابية بين
أرجله وفي جوانبه وبها اسمه ولقبه وأسرته وتاريخه واحواله وأدعيته للآلهة
وما شاكل ذلك . ويوضع فوق الرجلين وتحتها وبينهما وسائد من الكتان لعدم
كسرها عند وقوف الجثة عليهما ، تلف رابعة وخامسة الى أن تبلغ نحو الألف ذراع
مع وضع الطيب والعقاقير واللغائف المخطوطة بفصول من كتابهم المقدس (السير
في النور) مع وضع الأحجبة الأخرى في العنق كالاستحوازة أو العروة المصنوعة
من العقيق الأحمر التي ترمز الى دم الآلهة اريس .

والعقاب الذى يرمز الى حمايتها . والطوق الذهب والكردان الذى يرمز الى تجدد الحياة .

والصليب علامة الحياة . والعين علامة . الصحة . والصفدع علامة الكثرة والنمو وتجديد الحياة . ورأس الأفعى علامة الملك والاقدار على فتح الفم والعينين فى الهاوية .

وبعد ذلك توضع الجثة داخل غلاف ثخين من الكتان المدهون ويوضع هذا داخل آخر أيضا وتحزم بأربعة . وبذا يتم التقييط وبعده توضع الجثة داخل ثلاثة صناديق مخروطية على حسب قياس المتوفى—واحد داخل الآخر—مع وضع الزهور داخلها من البشنيين والبردى وما شا كل ذلك بعد كتابتها وحليها بالحليات الذهبية من الداخل والخارج مع حفظ رسم المتوفى على أوجه الصناديق التى تضع لهذا الغرض ثم يوضع هكذا الصندوق المثلث داخل تابوت مخصوص من الحجر منقوش عليه اسم المتوفى وألقابه مع أدعية للآلهة .

أما المصارين فبعد غسلها بخمر البلح كما مر بك سابقا ودهنها بالمراهم وبلها بالطيب والعقاقير والمواد الصمغية توضع فى أربعة قدور من الحجر او الخشب رمزا للاربعة آلهة الممثلة لجهاث الأرض الأربع التى هى أربعة آلهة من آلهات (الهاوية) فالقدر الأول له رأس انسان وبه المعدة . والثانى له رأس قرد وبه الأمعاء .

والثالث له رأس ابن آوى وبه القلب .

والقدر الرابع له رأس (هور) وبه الكبد .

وبعد كل ذلك يعلن المخطون أهل المتوفى بانتهاء العملية فيأتون باحتفال ويأخذون الجثة إما الى منزلهم لتوضع غرفة فى معدة لذلك وتحضر معهم الأفراس والولائم كأنها حية . أو تدفن بأجلال فى مقبرة الأسرة بعد اجراء الرسوم الشرعية والدينية .

مرمى نظرية النسبية

إن الفلاسفة منذ أقدم العصور تعودوا أن يعرفوا الفضاء كشيء مستقل وأن كل تقدير للفسحة يرجع إلى قدر الكبير ، ولكن هذا الرأي قد تحول الآن لأن قدر الكبير ليس إلا قدراً مصطنعاً يظهر من حل المشكلة الآتية : لنفرض أن انساناً حلم في منامه أن شيطاناً يلعب أمامه دوراً غريباً من شأنه أن يزيد حجم الكرة الأرضية ويوسع الكون ، أليس من المعقول أن يهزأ من هذا الحلم عندما يصحو من منامه ؟؟ أن حالتنا قبل اعلان نظرية النسبية تشبه بوضعيتها حالة حلم هذا الرجل ، فامتارنا بقياساتنا مثلثة والغرفة التي نأكل بها تحتوي نفس عدد جمع القياسات الذي للمدينة ولكن هل كل هذه لها وقت واحد ؟؟ لا . إذن فالوقت له مقامه وهو ماتكلم عنه آينشتين وحدد به الفضاء من ناحية ميكانيكية صرفة ، فالكل يتغير من جراء هذا الوقت بدون أن نشعر ، والفضاء أظهر مظاهر هذا التغير .

إننا لو افترضنا ما كان قد افترضه بوانكاره من أن الفضاء كالزمان يمكن تمديده بدون نهاية كخيوط من الكاوتشوك ، فإن قدر الكبير الذي نقيسه يكون نسبياً والنسبة التي لاحظها علماء أواخر القرن الماضي ومنهم آينشتين ، ليست وهمية لأن كل ما نلاحظه يرجع إلى أهمية الزمان والمكان ، فجميع القياسات المطلوبة دفعة واحدة يحتوي دائماً تفصيل هذا الجمع في الكبير المقدر ، وعندما يتفق اثنان على تحديد دقائق الوقت والزمان في ساعتهمما يجدان معاً أن ساعة الوقت تحتوي على ٦٠ دقيقة ، ولكن آينشتين يقول كيف حدد هذان وقت ساعتهمما ؟ ، طبعاً في مطابقة عقري سطحيهما ، وهذا العمل سهل عند ما تكون كل ساعات الدنيا في موضع واحد ، وفي هذه الحال تكون الساعة الأولى التي تحدت عليها بقية الساعات قد دقت الظهر تماماً بينما البقية لم تدق بعد ، مع أنها مطابقة لها في الدقائق . فمن هذا ندخل في باب بحث المطابقة « Simultaneité » لنرى سبب هذا الشذوذ .

عند ماتقع حادثة من الحوادث الفجائية كإطلاق شرارة كهربائية أو غيرها ، فإن الوقت الذي تحدده الساعة يبين لنا وقت الحادثة ، والحادثة هنا هي الانطلاق الفجائي

فالانطلاق ووقت الساعة هما مظهر عقربى الساعة ومن هذا يظهر أن الحادثة التى هى الانطلاق الفجائى و وقت الساعة عملان متطابقان، وعندما تكون الحادثة لاعلاقة لها بالساعة يكون حل المشكلة أبسط، فإذا وقف إنسان فى وسط خط مستقيم ووقف آخران فى طرفى هذا الخط وأرسلوا إليه نوراً — لا فى وقت واحد — فإن ذلك الواقف فى الوسط يعرف من فرق الوقت عند ما يصل إليه النور أن وقت مصدره ليس متطابقاً، أما إذا وصل إليه فى وقت واحد، فإنه يتأكد من أن وقت مصدره واحد أيضاً لأن المسافة التى تفصل بينه وبين الواحد، هى نفسها التى تفصل بينه وبين الآخر. ولما كان النور يقطع المسافتين بسرعة واحدة فإن وقت مصدره يكون واحداً إذا وصل إليه فى وقت واحد، وبالعكس إذا لم يصل إليه فى نفس الوقت. ولكى نوضح البحث نقول: أن رجلاً واقفاً فى وسط خط مستقيم فى الموضع «م»، حيث: أ — أم — تعادل — ب م — فإذا وصل النور إلى هذا الرجل فى وقت واحد من الجهتين فإنه يعرف أنه خرج فى وقت واحد، وإذن فهو مطابق بالمعادلة. ولكن لو وقف رجل آخر فى الموضع «م أ»، أى فيما يقابل الواقف فى الموضع «م»، حيث أن «م أ» هو الخط العمودى من «م» وكان عندهما آلة لقياس الزمان محددة تماماً، فإن النور الذى يرسله اليهما الواقفان فى طرفى الخط يصل إلى الواقف فى الموضع «م» فى وقت يختلف عن الوقت الذى يصل به إلى الواقف فى الموضع «م أ» ومع هذا الاختلاف فإن فى النهاية يتفقان على أن النور مطابق بالمعادلة وقت مصدره، لأنه إذا كان يقطع المسافة — ام — أو — ب م — فى «هـ» ثانية ويقطع المسافة — ب م أ — أو — ام أ — فى «هـ» ثانية فإن الذى يكون فى الموضع — م — يصل إليه بوقت هو «هـ» ثانية. ومن هذا يقول إنه مطابق بالمعادلة فى وقت مصدره، والذى يكون فى الموضع — م أ — يصل إليه فى وقت هو «هـ» ثانية. ومن هذا نقول إنه مطابق بالمعادلة فى وقت مصدره أيضاً، فإذا لم يرتكب الخطأ أحدهما أثناء قيامه بالعمل، فإنهما يكونان فى مظهر واحد من الوقت، ولكنهما يكونان فى حالة واحدة تريهما الحوادث فى وقت واحد. إذن يوجد من هذا مطابقة موضوعية (Objective) هى التى لا ترى أعمال الحوادث فيها فى وقت عملها، ومطابقة

ذاتية (Subjective) مستقلة عن الحادثة نفسها، ولكنها خاضعة للحالة التي تعملها حيث أنها تظهر من الفسحة التي تقع فيها الحادثة . فإذا كانت المطابقة الموضوعية موجودة ولا نشك فيها حتى نظريا ، فحين نرى بالعكس أن وضعية المطابقة الذاتية تنتج حالة مجردة ، وهذا أهم ما تركز عليه نظرية النسبية، إذ أن المطابقة الموضوعية لا قيمة لها تجاه المطابقة الذاتية ، والمطابقة الذاتية لا توجد إذا وجدت المطابقة الموضوعية كما أن الانسان واصله لا يجتمعان في مكان وزمان واحد، وقد يكون أيضا أن حادثين تقعان في وقت واحد وهما ليستا متطابقتين بالمعادلة الموضوعية من حيث أن عدم ادراك السر في المطابقة الذاتية التي حدثت منذ وقت طويل يجعل الابهام يسود على المطابقة الموضوعية التي تنتج على الدوام حالات راجعة الى أصل المطابقة. وقد يسوغ لنا أن نقول من جراء هذا أن كل تصورات الانسان الماضية خرافية، وإن الفلاسفة القدماء كانوا يفكرون كالأولاد وأن رجلا هو نبي العلم جاء لكي يحدد معقولاتنا ويطرح جانبا كل ما عند البشر من الاعتقادات السخيفة، كآسرا الاصنام الغالية، التي ورثناها عن الاجداد. وهاتان الحادستان تظهران من حل المشكلة الآتية :

بدل من أن يقف المرء في الموضع « م » من العمل الذي شرحناه قبلا ليقف في الموضع « د » من الشكل « ١ » في حالة تكون أقرب الى الموضع « ب » من الموضع « ا » ولنفرض أن النور يقطع المسافة « د ب » في ٣٥ ثانية والمسافة « ا د » ٥٥ ثانية فإذا أشع النور من الجهتين — ا — ب — في وقت واحد فإنه يصل الى الواقف في الموضع « م » في وقت يبلغ ٤٠ ثانية دائما، ولهذا انواقف في هذا الموضع تكون المطابقة مطابقة موضوعية من حيث أنها معلولة، وذاتية من حيث أنها توصل النور اليه بذات الوقت، ولكن للواقف في الموضع « د » يظهر الامر بالعكس لان الاشعاع الذي يصل اليه من الموضع « ب » يكون قد قطع من الوقت ما يبلغ ٣٥ ثانية بينما الذي يصل من الموضع « ا » يكون قد قطع ٥٥ ثانية، فعند هذا لا يوجد مطابقة ذاتية، لانه لا يقدر أن يحقق من المطابقة الموضوعية مبلغ المساحة التي يقطعها النور من كل من الجهتين، ولهذا تقدر ان تقول أن حادثين تعملان في وقت واحد قد يمكن الاتعادلان في المطابقة الموضوعية من حيث وضعية الانسان المحقق وبكامة أصح ان حادثين تعملان في نقطتين مختلفتين

و بوقت واحد في الفضاء ، لا يمكن ان تظهر متعادلتين بالمطابقة لكل الناس . هذه .
 الملاحظة في الظواهر الراجعة الى اشعاع النور الغير الفجائي لا تعد حديثة لان كل
 فلكي يقدر أن يتحققها عند ما يتأمل في السماء ، فلو وجه نظره الى نجمة القطب يرى
 في الحال ما أرسلته هذه النجمة منذ سبع وأربعين سنة «ن» وقد تسير هذه النجمة مدة
 نصف قرن ، ونحن أيضا بدون أن يتغير موضعها في نظرنا ، وهكذا لو نظر الى النسر
 الطائر الذي يصل إلينا نوره في مدة لا تقل عن ١٤ سنة «ن» فلو كنا في موضع غير
 موضعنا الحالي فر بما كنا نرى نجمة القطب والنسر الطائر في حالتين مختلفتين اما من جهة
 الفضاء وإما الوقت . وقد لا يدرك البعض ما نرمى اليه في هذا المثل من التفريق بين
 الموضوعي والذاتي ولهذا نقول ! ان انسانا واقف في محطة للسكة الحديدية وقطار سريع
 داخل الى هذه المحطة فلكي ينبه السائق هذا الانسان فانه يصفر بشدة لكي يهرب من
 طريقه وقد يكون من جراء شدة الصوت ان طبله اذنه تتأثر وتدعه يظن ان صوت
 القطار يشبه صوت « لا » في الموسيقى فكيف نعالل هذا ؟ ؟ .

اننا نسوق كل هذه الأمثال كيما نبين ان كل المحسوسات في الكون ترجع الى
 الوقت والفضاء وأنها تسود عليها طائفة من النواميس المحدودة تقدر أن ندركها فيما
 لو تأملناها تأملا صحيحا . وما تكلمنا عنه من المطابقة الموضوعية للحادثات يوضح
 لنا مبلغ أهمية هذا البحث الذي سنتوصل منه الى معرفة اصل كل الظواهر ومصدر
 كل هذه المحسوسات

لنضرب مثلا آخر . أثنان حددا وقت ساعتيهما وبقي واحد منهما في مكانه بينما
 الآخر سار بسرعة عظيمة . فمن جراء السرعة هذه قد تغير وقت الساعتين اذ مع أن
 الذي سار إنما وقت ساعته مطابق لوقت ساعة رفيقه فان منذ أول ساعة يقطعها في سيره
 إذا أراد أن يرى عن بعد وقت ساعة رفيقه يلاحظ فرقا بينه وبين وقت ساعته لأن
 صورة حالة وقت ساعة رفيقه يلزمها من الوقت كيما تصل اليه ما يجعلها تختلف عن صورة
 حالة وقت ساعته القريبة منه « أرجو الانتباه جيدا إلى هذا البحث لان عليه يتوقف فهم
 ناحية مهمة من نواحي نظرية النسبية ، فلو كان يوجد اشعاع فجائي فر بما كان يرى صورة
 حالة وقت ساعته رفيقه كما هي أي مطابقة لصورة حالة وقت ساعته . إنما الكون الاشعاع

الحال يسير مع الوقت فان الاختلاف بين وقت الساعتين واقع لا محالة فاذا أراد هذا السائر أن يحدد وقت ساعته من جديد حسب الصورة التي يراها لوقت ساعة رفيقه يكون قد سبق ساعته وأخر ساعة رفيقه من حيث لا يدري. ولزيادة الايضاح نقول: إن اثنين واقفان أمام ساعة محطة من محطات سكة الحديد يحددان وقت ساعتين عليهما والوقت هو الظهر وواحد من هذين الاثنين سار بعدما انتهيا من عملهما بسرعة تعادل عشر سرعة النور، فبعد مضي ساعة من الوقت يكون هذا الذي سار قد بلغ نقطة من الفضاء يصلها النور في ست دقائق. فلو نظر هذا إلى وقت ساعة المحطة — ولنفرض أنه قد أن يرى هذه الساعة — لرأى أن وقت هذه الساعة قد تأخر عن وقت ساعته ٦ دقائق. وهذا التأخير هو فرق الوقت الذي يقطعه النور كما يصل اليه وهكذا لنظر الى وقت ساعة رفيقه، مع أن التأخير لا يرجع للساعتين اللتين يراها لفرق الوقت الذي يقطعه النور لا يصل صورتي وقتيهما اليه. فلكي يرى هاتين الساعتين مطابقتين بوقتيهما لساعته عليه أن يؤخر وقت ساعته قليلا كلما خطا خطوة. ولكن هذا التأخير لا يكون من عمل الوقت بل من عمله هو. فوقت الساعة ذاته لا علاقة له بالتأخير. ثم لنفرض أن هذا السائر يسير بسرعة النور مع صورة وجه ساعة المحطة، أي عندما يتحرك بمقرب هذه الساعة ثانية واحدة تكون صورته قد قطعت مسافة ١٨٦,٠٠٠ كيلو متر مع هذا السائر، وبهذه الحالة يكون رائيا دائما ساعة سفره، أي ان الوقت هو الظهر اين كان فساعته هنا قد تكون العاشرة. بينما تلك لم تزل بنظره كما تركها. وقد يقطع من المسافات ملايين السنين النورية وصورة ساعة المحطة مازالت تتراى له واقفة على الوقت الذي سافر به مع أنها تسير كمساعته وتحدد الأوقات كما تحدد ساعتها. ولكي نوضح البحث نقول لنفرض أن هذا السائر ترك الأرض بسرعة تبلغ عشرين جزءا من الألف من سرعة النور، فبعدما يقطع مسافة سنة يكون قد أضطر لقطع مسافة سنة أخرى كما يصل الى الأرض راجعا من النقطة التي كان قد وصل اليها. وهذا الوقت قد حدده على موجب ساعته. ولكن عندما يصل الى الأرض يرى أن أمر الوقت بخلاف ما تصور إذ أن الوقت الحقيقي هو ٢٠٠ سنة لان موقفه موقف نسبي تجاه الوقت. فهو يعترض قائلا: إن الوقت الحقيقي هو الذي حددته ساعتى؟؟ ولكن هنا يظهر سر المسألة فهو بابتعاده بسرعة عظيمة قد أضطر لتأخير ساعته بدون

أن يدري، والاقوات التي كانت تحددها هذه الساعة لم تكن هي نفسها الاوقات التي تحددها ساعات سكان الارض. فهو في اثناء سيره وتحديد الوقت لا يكون متفقاً مع سكان الارض على ذات الوقت للزمان . وهذا سر الاختلاف . فلو أردنا أن نجعل الوقت واحداً في الساعتين الساكنة والمتحركة — لوجب علينا أن نعرف ماهية الحركة، وما هذه الحركة؟ هي المشكلة القديمة في النشاط الذي يبدو مرة بعد أخرى وينتهي دائماً بفوره معادلاً السرعة . وعندما يكون الاثنان سائرين بسرعة مختلفة في جهات مختلفة أيضاً فإن ساعتيهما تحددان الوقت حسب سرعتيهما ولا يمكن للواحد أن يعرف الآخر حقيقة الوقت عنده. فإذا وجد ملاحظان في الكون مختلفان في الموضع، فانهما يحددان وقت ساعتيهما حسب تنوع الفسحة من جراء الاشعاع الذي يأتيهما وفي هذه الحالة لا يكونان قادرين على معرفة السكون لأن الاشعاع الذي عليه يحددان أوقاتهما يتطلب حركة، والحركة تتطلب فسحة والفسحة هي الحد الفاصل بينهما. فلو وجد ملاحظ واحد فقط في موضع واحد، لما وجد فسحة واشعاعاً وزماناً، لأن الفسحة والزمان من لوازم الاشعاع والاشعاع هو الحركة والحركة، سر النشاط الذي يظهر في الكون في أدق أجزائه وأعظمها .

هذا فيما يختص بالسرعة والابعاد ولكن الأمر المهم هو معرفة — الموجود أبدأ — لأن على معرفته تتوقف معرفة كل الاشياء . نحن حول الارض والارض تدور حول الشمس، والشمس تسير نحو النسر الواقع، وكل النجوم تتحرك بحركة خاصة أسرع من حركتنا. وهكذا المجرة نفسها من حيث لا يوجد حولنا نقطة محدودة . فلم ترجع هذه الحركة ؟؟ وكيف يقدر الفلكيون في كل الكون على تحديد وقت الساعات بالنسبة إلى نقطة محدودة، ومحور ساكن، واشعاع فجائي ؟؟ هذا ما يجعلنا نتابع بحثنا في كيفية المطابقة لكي نتوصل إلى حل هذه المشكلة .

أن جعل الوقت، من جملة قياساتنا أمر مهم من حيث أن « الحادث الفجائي، لا وجود له في الكون، ولهذا فنحن مضطرون مع من ينظر إلينا من سيار آخر لاتباع وقت نسبي دعاه لورنتز الوقت الموضوعي . ولما كانت سرعة النور هي الأساس الذي نبنى عليه قياساتنا من جهة الوقت والفراغ، فإن نظرية النسبية ترمي إلى تعريف هذه السرعة كما تكون واسطة لإظهار هذا السر .

كان ولورنتز، قد أعلن أن اقدار الكبر تزيد من جراء حركة الارض، وان هذه الزيادة تشمل أيضاً الوقت الموضوعي، ولكن مع هذا كان يعتقد بوجود وقت مستقل مجرد وأن الزيادة ليست سوى مظهر معلول من علة راجعة الى هذا الوقت وقد أثبتت نظرية النسبية اعتقاده هذا من حيث أن هذه الزيادة في اقدار الكبر ترجع إلى نسبة السرعة بين ملاحظين سائرين . فلو وقف رجل في الموضع — م — من الشكل «٤» أى ضمن عربة قطار سائر حيث أنه يتبع حركة مستقيمة محدودة متجهة الى الموضع — ب — وكان رجل آخر واقفاً في الموضع — م — على الارض وهما على اتفاق في أن حركة ميكانيكية ستطلق شرارتين كهربائيتين في نفس الوقت عندما يمر القطار من الموضع — أ — وهكذا عند ما يمر من الموضع — ب — ولنفرض أن الموضعين — أ — ب — هما زالا بعيدين عن مواجهة الموضعين — أ — ب — فعند ما تتوازي الحالتين في الموضعين وتنطلق الشرارتين فإن الذي يكون واقفاً في الموضع — م — على الارض يرى أن الاشعاع الذي حصل من الموضعين — أ — ب — متعادل بالمطابقة حسب قواعده . ولكن الواقف في الموضع — م — من القطار السائر، يرى الأمر بالعكس لأن قدر الكبر في الجهة — أ — ب — قد ازداد من جراء السرعة فهو يرى أن السرعة — أ — ب — أكبر من الجهة — ب — أ — ولو نظر الى الاشعاع الذي حدث في الموضعين — أ — ب — لرأى أن الاشعاع من الناحية — ب — قد وصل اليه قبل الاشعاع الذي حصل من الناحية — أ — ومن جراء هذا يظهر له القطار أكبر من الخط السائر عليه مع أنه متعادل معه لو كان ساكناً . فنحن سكان الارض نشبه هذا الواقف في الموضع — م — من القطار السائر بالنسبة إلى الاجرام السماوية، والنور الذي ترسله إلينا . وقد يكون كبر قياساتنا راجع إلى هذا المظهر، مظهر التضخم من جراء السرعة مع أن لا حقيقة ذاتية له، كما بين ولورنتز . والمهم في هذا البحث هو كيفية تحديدنا الأشياء بالنسبة إلى وضعيتنا وفهمنا الاحجام التي تنتج من السرعة .

إنجاء زراعية عليه

خاصية قوة امتصاص الأرض للماء

خاصية قوة امتصاص الأرض للماء متى أصابها، وحفظها له بعد تشربه من أهم الخواص. فبالأولى يتعلق جذب الأرض للماء من أسفل، وبالثانية يتعلق إمساك الأرض للماء ضد الجذب الأرضي العام. وهاتان الخاصيتان مرتبطتان بتركيب الأرض. فان كانت ناعمة زادت قوة امتصاصها الماء وحفظه، وان كانت حديثة العهد بغمر المياه لها كان المهم في ذلك قوة حفظها له، كما أن قوة الجذب من أسفل إلى أعلى هي الأهم في حالة الجفاف. والحالة الأخيرة هي عبارة عن الامتصاص بخاصية القوة الشعرية للأرض ويمكن قياسها بأن نأخذ أنابيب نملؤها من تربة الأرض وننكسها في إناء به ماء ثم تقدر الماء الذي تمتصه الأنابيب بالنسبة لوزن التربة وحجمه. ووجود الدبال والمادة اللازمة في الأرض يزيد قوة امتصاصها الماء، وكذلك عملية التوطيد أي (المندلة) الثقيل يزيد فيها هذه القوة. كما سيأتي ذلك عند الكلام على الخاصية الشعرية.

والنبات يمتص المياه اللازمة له من حجم مخصوص من الأرض، ولذا كان توضيح خاصية امتصاص الأرض للماء بالنسبة لحجمها أحسن.

خاصية ضمور الأرض عند الجفاف

ضمور الأرض عبارة عن صغر حجمها إذا فقد منها الماء، ومن ذلك يلاحظ أنه كلما كانت الأرض أنعم، كان الضمور أعظم. فالأرض الرملية قلما يتغير حجمها بعد الجفاف بخلاف الأرض السوداء فانها تنضمر جدا. وما سبب ذلك إلا أن المادة اللازمة يصغر حجمها عند جفافها وخاوها من الماء. والري لا يرددها لحجمها الأصلي إلا بعد زمن، لأن من ضمورها يكون سببه تداخل بعض الجزيئات في بعضها وتماسكها، وهذا هو السبب في تحمل الأرض أثقل المباني.

وضمور الأرض يكون رأسيا أو أفقيا في آن واحد، وان فمتى جف سطحها بسرعة تنقبض وتبقى الطبقات السفلى راية فيتشقق السطح. ومن هذا التشقق ينشأ ضرر عظيم لانه يقطع جذور النباتات ويتلف نموها في الأرض التي هي بها، فضلا عن أن

مجموع هذه الشقوق في سطح مساحة كبيرة يتبخر منها الماء بسرعة، إلا أن لهذا التشقق فائدة كبرى من وجهة أخرى، وهى تهوية الأرض، ولذا تقل هذه التهوية جداً في الأرض الصماء. ولمنع سرعة الجفاف وما ينتج عنه من التشقق في سطح الأرض، يجب موالاة الأرض السوداء بالغرق وكلما غزر رى الأرض زاد التمدد الوقتى، وكانت الشقوق أوسع وأعمق. ويقال: إن الأرض قابلة لنفوذ الماء إذا غاض فيها بسهولة، والتي على عكسها تسمى صماء. ولا يلزم أن تكون كل أرض مسامية قابلة لنفوذ الماء فيها، لأن المسام—وإن تكن عديدة—فربما كانت ضيقة بحيث تمنع سريانها. أما ذات المسام الواسعة نوعاً، ولو كانت مسامها قليلة العدد فهى أسهل من الأرض السوداء في التصفية ونفوذ الماء. والصمم في الأرض السوداء ينتج من صغر المسافات التي بين جزئياتها من جهة، ومن جهة أخرى من وجود الطين الدسم الذي يتجمد فيفسد هذه المسافات، ويمكن إرخاء الأرض الصماء بإضافة الدبال أو الرمل أو الجير إليها، لأن هذه المواد تجمد الطين الدسم فلا يتعدد في المسافات المذكورة ويسددها. وإذا تساوت جزئيات الأرض كانت أكثر مساماً من أرض اختلفت جزئياتها حجماً، لأن الجزئيات الصغيرة تشغل المسافات التي بين الجزئيات الكبرى فتكون الأرض أكثر اندماجاً.

والخدمة تزيد في الأرض خاصة سريان الماء فيها بتجفيفها وتحت الأرض إذا كان أضخم كان عادة أقل مسامية من الأرض، إلا إذا كان كثير الرمل مثلاً وعلى العموم فصمم الأرض وسريان الماء فيها دائماً متعاكسان. كلما قل أحدهما زاد الآخر، وأغلب الأملاح تقوى سريان الماء في الأرض كأنها تجمد الجزئيات الطينية الدقيقة، ولكن الأملاح القلوية مثل كربونات الصودا مثلاً تزيد التماسك وتضعف نفوذ الماء.

الأراضي الرملية الكثيرة المسام تجف بسرعة زائدة، ومن الصعب حفظ رطوبة بها تكون كافية لنمو أكثر النباتات. كما أن كثرة رى مثل هذه الأراضي تضع كمية كبيرة من غذاء النبات في مياه الصرف، ودورة الماء في الأرض الصماء رديئة وتهويتها غير كافية فلا ينمو النبات فيها إلا نكداً.

وفائدة التصفية لمثل هذه الأرض قليلة فالطريقة الوحيدة لإصلاح الخواص.

الطبيعية لمثل هذه الاراضى ، انما هى خلطها بكمية كبيرة من الرمل ، وان كانت هذه الطريقة ربما تقتضى نفقات كبيرة إلا أن فائدتها مستمرة وحركة الماء فى الارض تتعلق بالصفات العمومية التى ذكرت سابقا . فان جذور النبات انما تمتص المياه التى فى الاماكن المجاورة لها ومن الاماكن البعيدة عنها ، ولذا نجد مياه الارض تتجه نحو الجذور بحركة بطيئة مستمرة ، وسنشرح هذا وافيا فيما بعد

خاصية قوة نفاذ الماء وحركته فى الأرض

وللماء - غير ما تقدم - حركات عظيمة أخرى فى الارض - مزروعة كانت أو غير مزروعة - وهذه الحركات أما أن تكون من أسفل إلى أعلى أو من أعلى إلى أسفل أو أفقية . وسنشرحها عند الكلام على الخاصية الشعرية والصرف والرشح وتسمى كل هذه الحركات « بدورة الماء العمومية فى الارض » ، الصرف أو حركة الماء من أعلى إلى أسفل ينسب لخاصية الجذب الأرضى الذى يحصل فى اتجاه مركز الارض ، ومن المعلوم ان السقوط طبيعة فى الماء ، الا اذا وجد مانع له بقوة مضادة لجذب الارض تعادله أو تزيد عنه ، فيمنع الماء من السقوط ، ففي الارض السوداء تكون هذه الحركة بطيئة أو معدومة بسبب مقاومة الجزيئات الدقيقة الأرضية للماء ، حال تساقطه فى خلالها ، فضلا عن أن فى الجذب السطحى لهذا الماء ، قوة ناتجة من احتكاك الماء تزيد عن جذب الارض

على ان هذا الجذب السطحى يكون مهما حين لا يوجد ماء كثير ، وعلى ذلك فالاراضى الصفراء والرملية يحصل فيها بعض الفيض بعد كل سقيه ، وكلما زاد ارتفاع المياه على وجه الأرض كثر الضغط من أعلى إلى أسفل ، وزادت كمية المياه الفائضة فينتج من ذلك ان الارض السوداء الصماء تحتاج لرى غزير تزيد به قوة مرور الماء عند مقاومة الجزيئات

السطحية

مستوى الماء الأرضى - اذا لم يوجد صرف تراكت بقايا النبات والأملاح وصيرت الارض غير خصبة ، فالصرف وان ضيع بعض الغذاء النباتى إلا أن الضائع منه يكون أقل بكثير من الفائدة الجيدة التى تدركها بازاله مما لا تحتاج اليه من المواد ، فمستوى الماء الأرضى يرتفع بماء

الفيض وينخفض بازدياد التبخر ، بوجود مفيض خافض للماء . وفيض الماء من الأنهر والترع والاراضى المرتفعة (النز) مستمد عظيم لمياه تحت الارض ، (والنز) في مصر كثيرا ما يرفع مستوى الماء الأرضى الى قرب السطح ، والتبخر بعد التصريف ينشأ منه تملح الأراضى فى الأراضى المنحطة ، والطريقة الوحيدة المحكمة لخفض مستوى الماء الأرضى وضياع ملوحتها إنما هى الصرف ، وهو يحصل إما بصرف الماء من الأرض أو بإزالة ماء الرشح من الأراضى المجاورة المرتفعة بواسطة عمل رشاحات . ويتعلق انخفاض مستوى الماء الأرضى بخاصية نفوذ الماء فيها . ففي الأراضى الرملية التى تقل مقاومتها لمرور الماء يحصل الصرف فيها بسهولة ونجاح . وأما فى الأراضى السوداء التى فيها مقاومة عظيمة كما سبق ، فإن مستوى الماء الأرضى فى منتصف المسافة بين المصارف يكون مرتفعا كثيرا ، اذا كانت المصارف ، متقاربا بعضها من بعض تقاربا كافيا ، وليس يزداد من الصرف فى القطر المصرى تخفيض مستوى الماء الأرضى فقط بل الأهم منه أبعاد غور الأملاح فى الأرض لدرجة توافق نمو النبات . وكون المصارف عميقة ومتباعدة بعضها عن بعض أفضل من كونها عميقة متقاربة فى تخفيض مستوى الماء الأرضى . وتحصل حركة الماء الأفقية فى الأرض بتأثير الجذب الأرضى والضغط الخارجى معاً ، وهذه الحركة تماثل الصرف لأن ثقل الماء هو العامل المحرك له . ويمكن اعتبار (النز) طريقة صرف مخصوصة فى الأراضى ، حيث لا يجد الماء الغائر منفذ الى اسفل فيتجه اتجاهاً أفقياً و يترشح فى لأراضى المجاورة ، والترشيح ايضا يسهل حركة الماء الصعدية التى تنتج الضغط الجانبي للماء ، فهو يشمل حركة الماء الرأسية من جهة ، والأفقية من جهة أخرى

(النز) ينتج عادة من مياه آتية من ترع مرتفعة مارة فى الأراضى المجاورة لمكانه ففى أول الأمر يفيض بعض المياه فى الأرض من الترعى فيرفع مستوى الماء الأرضى بالتدريج . ونظرا لارتفاع الماء الخارجى يطرد الماء الأمامى . وعواقب النز تكون أرباً كلما ارتفع مستوى الماء الأرضى ، ومع ذلك فقد يكون المستوى المذكور منخفضا ولكن بضعف نفوذه فى الأرض بتزايد الاعماق تزيد المقاومة فى ترشيحه . وإذا فالمياه التى تندفع من الترعى تنتشر فى اتجاه أفقى . وبهذا تكون الأراضى المعرضة للرشح فى بلل مستمر .

ولا يشترط في ذلك ان يكون مستوى الماء الارضى مرتفعاً. والضرر الناشئ من الترشيح ناتج من تشبع الارض بماء راكد خال من الهواء واستخراج هذا الماء يبقى الملح في الارض. ومن المعلوم ان الارض التي فوق مستوى الماء تكون رطبة، ومن المهم ان نعرف الطريقة التي بها ارتفع الماء فيها وكيف بقي بها.

ولتوضيح ذلك نتكلم على خاصية التماسك السطحي للسوائل التي منها الماء، ويمكن توضيحها بما يأتي :-

أولاً - اذا غمر جسم صغير في الماء وأخرج منه، يرى مغطى بطبقة رقيقة من الماء وتبقى عند سطحه. فلماذا لا يسقط جميع الماء منه

فالسبب في ذلك أن هناك قوة مؤثرة في سطح هذا الجسم تعادل وزن طبقة الماء.

ثانياً - أنه اذا لامس هذا الجسم جسماً آخر تنتشر طبقة الماء على الجسمين

ثالثاً - إذا كان الجسمان مختلفي الحجم، يكون سمك هذه الطبقة المائية على الجسم الأصغر أكثر منه على الجسم الأكبر.

و بتطبيق هذه النظرية على الأرض نرى أنها تمسك الماء بسطوح جزئياتها.

ومن حيث أن مساحة سطوح الجزئيات في الأرض الناعمة تكون أعظم، فيكون

سمك هذه الطبقة المائية على الجزئيات الناعمة أكبر. فتحفظ الأرض الناعمة رطوبة

أكثر من الأرض الخشنة، وهذا مطابق لما نشاهده عملياً فالأرض السوداء تمسك الماء

أكثر من الأرض الرملية الخشنة، وانتشار هذه الطبقة المائية من جزء لآخر يحصل

في جميع الاتجاهات حتى يحصل فيها التوازن. وإذا تغير سمك هذه الطبقة في نقطة حصل

في طبقة السائل كلها تدافع نحو هذه النقطة لحفظ الموازنة.

ومن ذلك نعرف سبب ارتفاع الماء في الأرض، لأن الجزئيات العليا تمس سطوح

الجزئيات السفلى فينقسم الماء بينهما وينجذب إلى أعلى جذباً مستمراً، وان قيل لماذا

لا يصل الماء إلى نهاية سطح الأرض في كل الأحوال، فالجواب أن القوى في

سطح الطبقة المائية محدودة فلا يمكنها إلا حمل وزن معين فقط. فهي تحمل دون الماء

المرتفع، ومتى وصل إلى النهاية العظمى المساوية للقوة يحصل التوازن في توارد

هذا الماء إلى أعلى الأرض. وينسب هذا عادة إلى الخاصية الشعرية. وهذه

الكلمة تستعمل لهذا المعنى عند ما نتكلم على علم الطبيعة بالنسبة للأرض .
 إذا أمكن ارتفاع الماء من مستوى الماء الأرضى إلى السطح وحصل هناك تبخر فيه، نحصل على مجرى مستمر من الماء يصعد فى الأرض من أسفل إلى أعلى، وعلى العموم فكما كانت جزئيات الأرض صغيرة كان ارتفاع الماء بالخاصية الشعرية أعظم ، إلا أنه أبطأ . لأن صغر الجزئيات ينشأ عنه أيضاً صغر المسافات بينها فتكون المقاومة على الماء فى مروره أعظم . وقوة امساك الأرض للماء هو نتيجة تماسكها السطحي والخاصية الشعرية . أى رفع الماء من مستواه الأرضى إذا ارتفع أو ماء النزل، وهو السبب عادة فى ملوحة الأرض واغداقها . وتأثير الخاصية الشعرية فى الأرض المفلكة قليل جداً لتباعد بعض الجزئيات عن بعضها فيها .

أما الأرض المندمجة كثيراً فإن المسام تكون رقيقة والجزئيات متقاربة بعضها من بعض . فالماء يرتفع فيها ارتفاعاً عظيماً وإذا فالقصد من توطيد الأرض ازدياد الخاصية الشعرية وقوة امساكها الماء . أما العزق فهو لتقليل هذه الخاصية ومنع ارتفاع الماء إلى السطح ارتفاعاً عاماً .
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

تبخر الماء من سطح الأرض — إن تبخر الماء من سطح الأرض يتعلق بجفاف الهواء وكمية الماء الموجودة فيها . وعلى النسبة التى بها يعوض الخاصية الشعرية الماء المتبخر من السطح بغيره من أسفل والتبخر يجفف الأرض ويبردها فيضيع الماء منها وتشقق . وكذلك بسبب تجمع الاملاح الذائبة فى ماء الأرض على سطحها، ويحدث دورة مستمرة للماء فى الأرض باختلال التوازن بين تماسك السطح والجذب الأرضى . وفى الأرض المزروعة يكون اتجاه هذه الدورة الى جذور النبات أكثر من اتجاهه الى السطح ، لأن النبات يمنع التبخر من سطح الأرض وهى تفقد كثيراً من الماء بواسطة التبخر النباتى ولكن التبخر فى نفس هذه الأرض يكون أقل منه فى الأرض العارية:

المرأة الساحرة

تلخيص وتعليق

(تمهيد)

كانت الأميرة (سيرسية) مصدراً من مصادر الوحي والالهام لكثير من شعراء اليونان القدماء وكثيراً ما افتتوا في اطراء هذه الساحرة التي خلبت عقول عاشقها بجمالها الفاتن وحسنها الباهر، وقد عزت اليها الخرافات اليونانية ونحلتها الأساطير الاغريقية كثيراً من المميزات، فروت عنها روايات غريبة نسقها التواتر وأبدعا الافتنان وروعة الخيال حتى جعلها مضرباً من مضارب الامثال بما شهرتها به من قوة تأثيرها على العقول وشدة سلطانها في استهوائها النفوس، حتى زعموا أنه لم يكن في عصرها من يستطيع الثبات أمام جمالها الفاتن، مهما أوتي من قوة الارادة ومضاء العزيمة. فقد كان حب البطل الكمي أو المتمرّد الطاغى أن تسدد إلى قلبه نظرة واحدة من نظراتها الساحرة، فتخور قواه وينقلب عزمه تردداً وقوته ضعفاً وقد لا تقف معه عندهذا الحد بل تجعله حيواناً ذلولاً بعد أن تسلب منه قوة ارادته وكثيراً ما سحرت عاشقها والمفتونين بها خنازير بعد أن ردتهم أسرى شهواتهم وعبيد لذاتهم .

وقد كان جنود (عولس) ملك (ايتاك) من بين ضحاياها ، فقد سحرتهم خنازير — كما سحرت غيرهم — من قبل. أما (عولس) فتحدثنا عنه الاساطير أنه الشخص الوحيد الذي قاومها ففجح في مقاومته وعجزت عن أن تنال منه بفنون سحرها ومكرها ، أو تلاحق به أذى، وقد سجلت له الاساطير الاغريقية هذا الفوز الخالد

ملخص القصة

ذلك ما تحدثنا به الخرافات في غاية الزمان وتبيننا بحدوثه في أقدم العصور . ولما كان التاريخ — كما يقولون يعيد نفسه — والايام لا تفتأ تكرر الحوادث المتماثلة

بين حين وآخر — والمثل العربي يقول : ما أشبه الليلة بالبارحة! ولا أمر ما قال القائل :
 ما مر في دنياك أمر معجب إلا أرتك لما مضى تمثالا
 وقال في مكان آخر :

..... وهذه الليالي كلها أخوات

فلا تطلبن من عند يوم وليلة خلاف الذي مرت به السنوات

حدث أن فتاة بارعة الحسن رائعة الجمال من بنات العصر الحالي ، طابق اسمها
 اسم (سيرسيه) ساحرة العصر الغابر ، ولم تكن لتقل عنها مقدرة واقتناناً ،
 ولا كان سحرها أقل من سحر تلك أترأ في نفوس العاشقين

كانت (سيرسيه) بطلة قصتنا الحديثة آية من آيات الابداع وسراً من أسرار
 الجمال ودمية فريدة من دمي الحسن ، يحار المتأمل في جمالها ، ويتملك عليه كل نفسه
 فينسى كل شيء ، غارقاً في تأمل محاسنها التي لا تنفد

في هوى مثلها يخف حليم راجح حليه ويقوى رشيد
 غادة زانها من الغصن قد ومن الظبي مقلتان وجيد
 وزهاها من قرعها ومن الحد ين ذاك السواد والتوريد
 فهي برد بنحدها وسلام وهي للعاشقين جهد جهيد
 ما لما تصطليه ومن وجنتها غير ترشاف ريقها تبريد
 مثل ذلك الرضاب أطفأ ذاك ال وجد ؟ لولا الأباء والتصريد

كذلك كانت (سيرسيه) الحديثة مصدر سحر وفتنة لمحبيها وعشاقها الكثيرين
 الذين كانوا لا يترددون لحظة في تلبية كل رغباتها سباقين إلى تنفيذ أية اشارة من اشاراتها
 طلائعين فرحين ، فلو أمرتهم أن يلقوا بنفوسهم في البحر لفعلوا أو يطارحوا بها في
 هاوية لما أحجموا ؛ ولقد كانت ابتسامة من (سيرسيه) لعاشق كافية لاستموائه وانزعاج
 ثروته — بل روحه — لو شامت ، وكانت محاسنها متجددة ، وجمالها الفائز يزداد
 سحره ويقوى سلطانه يوماً بعد يوم

ليت شعري إذا أدام إليها كرة الطرف مبدى ومعيد

أهـى شـيء لا تسأم العين منه أم لها في كل ساعة تجديد

بل هـى العين لا يزال متى استعـ رض يـملى غرائبـا ويفيد

على أنها كانت — مع كل هذا — تحافظ على نفسها محافظة نادرة ولا تسمح لواحد من محبيها أبـا كانت منزلته أن ينال منها أربـا ، أو يقضى منها لبـانة ، فقد كانت تـضن على أعز عزيز فيهم بـقبلة واحدة يطفئ بها أوراها أو ينقع بها غلته

وكان من بين أصدقائها ومحبيها الجراح (فان مرتيب) وهو طبيب فاضل ومثال نادر من أمثلة النزاهة والجد ونموذج فذ من نماذج الاستقامة والشرف ، يقيم على مقربة من بيتها بحيث يستطيع بأدنى نظر أن يرى كل ما يحدث في منزلها في أكثر الأيام من حفلات الاستقبال الشائقة ومغازلات العاشقين ورقصهم المـزرى .

ولقد كان يحب في تلك الفتاة الجميلة قـدها المشوق وحسنها الساحر ومحاسنها التي افنت في اظهارها وأبدعت في تنسيقها القوة الإلهية، ولكنه كان — إلى هذا — يكره منها ذلك الاسفاف الشائن ويمقت فيها ذلك الاستهتار المزى الذى تنحط اليه، وكثيرا ما أمضه وأقلق باله أنها لا تصون جمالها عن الدنس وانها تسيء إلى حسنـها فلا تنزهه عن تلك الأرجاس التي انغمست فيها، فقد كان يرى أن مثل جمالها الرائع جدير أن يتخذ وسيلة لتـهذيب النفوس والتـحليق بها في أجواء الطهر والعفة، لا أن يتخذ وسيلة لأخط الدرك وأدنا الغايات !

كان إذن يقدس جمالها بمقدار ما يسخط على حقارة نفسها وتـدليها في هذه الهوة السحيقة . كان يرى فيها صورة ملاك ونفس شيطان! كان يرى أمامه جمالا علوياً ونفسا سفلية مغمورة في القذارات والأرجاس فيتحمر ويحزن ويتألم

كان الدكتور جراحا منصرفاً إلى عمله معنيا بشئون مرضاه، وكان إلى ذلك يزور (سيرسية) أحيانا وربما تأخر عن زيارتها بسبب ما تتطلبه مهنته من الإهتمام بمرضاه والانصراف إلى شئونهم، وكانت (سيرسية) تشعر بانعطاف اليه ، وتخصه باحترام نادر — من بين عشاقها الكثيرين — فتلهب قلوبهم حسداً له وغيرة منه، وكثيرا ما رأوا فيه منافساً خطراً، فنفسوا عليه ما له من الخطوة ورمقه بأعين شرر ، ولم لا وهى تميل

إليه دون أن يتقرب إليها وتفضله على خلانها وفيهم من جن بعشقتها جنونا ، وفيهم من غمرها بهداياه الثمينة ، ومنهم من يشتري لها أنفوس الحلى وينتقى لها أغلى الجواهر رغبة في بلوغ رضاها ، ولكن أحدا منهم - رغم هذه الجهود - لم يبلغ شأو هذا الطبيب ولا استطاع اللحاق به في هذا المضمار ، على أن (سيرسيه) نفسها لم تكن تخلو من نقمة على هذا الطبيب ، فقد كان يؤلمها أيضا ما تراه فيه من قلة الاكتراث بها وعدم الاهتمام بأمرها مع ما تبذله من الجهد في سبيل التأثير عليه ، وكانت لا تتي تستهويه بحماها غير تاركة فرصة تسنح دون أن تنهزها لعلها تصل إلى قلبه وتحرك بواعث الحب الكامنة في نفسه

وفي ذات ليلة جمعتهما المائدة في إحدى حفلاتها - وكان كرسيها إلى جانب كرسيه - فأمسكت بطرف رغي فثم سأله أن يجذبه من طرفه الآخر فكان من قسمته الجزء الأكبر منه ، فالتفت إليه باسمه وقالت : « أرى أن الجانب الأكبر من الرغي وقع في قسمتك ومعنى هذا في لغة العرافة والتنجيم أنك ستحمل بسببي هماً كثيراً ، فلم يجبه الطبيب بأكثر من ابتسامة الساخر الهازي الذي لا يعتقد بأمثال هذه الخرافات

<http://Archivebelasakhril.com>

٥٥٤

انتهى العشاء وقامت ترقص مع خلانها الذين تسابقوا متنافسين في اظهار حبهم لها بما قدموه بين يديها من الهدايا الفاخرة والحلى الثمينة ، ولقد كادوا يصطدمون معا في ألف عراك ، كلما نظرت إلى هذا أغضبت ذاك ، وكلها ابتسمت لأحد عشاقها التهب قلب منافسه غيظا واشتعل فؤاده حقدا على ما ناله منافسه من فوز ، وهي لا تفتأ تلطف من حقدهم بمهارتها ورشاقة حركاتها ملائمة بين أهوائهم المصطدمة بقوة ودهاء ولطف حيلة ، كما يلاثم الملاح الماهر بين قوى الرياح المتنافرة ويتخذ منها جميعا وسيلة إلى تسير مركبه بين الزعازع والعواصف الهوجاء . ثم لم تلبث أن التفت اليهم باسمه وقالت : « من أحبني منكم فليتبغني » ولم تكدهم هذه الجملة حتى اندفعت إلى بركة من الماء كانت على مقربة منها فتبعها المتنافسون مندفعين الى البركة جميعا - إلا الطبيب - غير آبهين للملابسهم ولا ملوئين على شيء في سبيل ارضائها والرضوخ لآشارتها ، ووصل إليها عاشقان في وقت واحد وحاولا تقبيلها معا فلكرز أحدهما الآخر بقوة

فألقاه في الماء، وكرت الفتاة منفلتة بمثل سرعة البرق فافلتت من عشاقها هاربة، وحانت منها التفاتة فرأت الطبيب واقفاً إلى جانب الباب منتحياً وعليه سياء الجدو أمارات الوقار فحيت به بإشارة خفيفة من عينها وهو واقف وقفة التأمل الهازي ثم سأله لم لا يشارك عاشقها في لهوهم ومرحهم، فأجابها ساخرآ: إنه أرفع من أن يشركهم في مثل هذه الحماقات وأسمى من أن يقترب معهم هذه الدنيات، مؤكداً لها أنه يحقر (سيرسيه) ويمقت ألعابها أشد المقت—وانما أراد بذلك أن يشير إلى (سيرسيه) الساحرة اليونانية من طرف خفي، فلم تدع (سيرسيه) بطله قصتنا الحديثة هذه الفرصة تمر دون أن تنتفع بها فاجابته قائلة: «ولكن حذار أن تنسى أن سطوة (سيرسيه) قد حولت رقصاء «عواس» خنازير» فيجيبها شامخاً بأنفه «يد أنها عجزت أخيراً عن «عولس» نفسه لما أظهره من الحزامة والحكمة النادرة»

وهنا يفترقان

وتجلس (سيرسيه) في مخدعها مفكرة مهمومة مستعيدة خلاصة مامر بها من الحوار مع الطبيب الجراح، ثم يعن لها أن تتجمل بملابس بسيطة تعتقد أنها تعجبه لميله إلى البعد عن التكلف، ولكنها تبدأ بمحادثته في المسرة (الليفون) بعد أن تطلب خادمها النمرة المطلوبة، ولا تكاد تبدأ الكلام مع الطبيب حتى يشتد بينهما اللجاج، وتلقى بالساعة مغضبة حائرة. أما حوارهما فقد كان مقتضباً جافاً غاية في الإيجاز: — أليس من عادة أهل طبقتكم الرفيعة أن يحبوا الحاضرين قبل مغادرتهم؟ ثم لماذا هربت ياسيدى الطبيب بمثل تلك السرعة؟ لعلك خفت الانهزام؟

— ربما كان ذلك

— ولكن قل لي لم هذا التجانف والكبر؟

— لا أتى لأستطيع فهم أمثالك من النساء!

هنا ألقى بالساعة مغضبة وظل قلبها يخفق خفقاناً شديداً متداركاً ونبض نبضات قوية، وظلت تردد قول الطبيب متأثرة قائلة «أمثالي من النساء» «لا يفهم أمثالي من النساء» «يا لله وهل أنا بدع في هذا العالم!»

وإنها لتستسلم لهذه الأفكار العابسة إذ تأخذ نظرها مذكرة حياتها اليومية التي

أهملت تدوين الحوادث فيها منذ من بعيد ، تناولها يد مثاقلة ، ولا يكاد يقع نظرها عليها حتى تستعيد ذكرى حياتها الأولى ، فتقرأ فيها قصيدة محزنة تدعو إلى العبرة والعظة ، ترى نفسها وهي فتاة واقفة أمام الدير معجبة برؤية الراهبات فرحة بمنظرهن البهيج — وهن سائرات إلى حديقة الدير — فلا ترى أمنية وقتذاك أشهى ولا طلبة أعذب من أن يمن الله عليها فتصبح في عدادهن وتندمج في سلكهن ، ولا تلبث أن تلتفت إليها إحدى الراهبات مبتسمة ابتسامة المشجع لها على تنفيذ ما يساور رأسها من الأمنى والأحلام ، ثم تتبع أخواتها إلى الدير ، وإن فتاتنا لغارقة في تصوراتها أمام باب الدير إذ لمحها شقى من أشقياء الانس — في بدء العقد الثالث أو نهاية العقد الثانى من سنيه — يحمل على رأسه سلة خبز ، بهر لبه جمال ساقها العاريين فوقف يتأمل محاسنها ملياً ثم تلفت يمنة ويسرة فلم ير في الطريق أحداً ، فشجعه ذلك على الاسترسال في فكرته الخبيثة التى سولتها له نفسه ، فتقدم نحوها بخطوات ثابتة حتى أدناها ثم أمسك بذراعها يحاول تقيلها وهو يقول لها ، ليس هذا الدير لمثل جمالك ، فهللي أيتها الملاك فتبلىنى ، فدفعته عنها بعنف وشدة — بسبب الذعر الذى تملكها — فهوت سلة الخبز من فوق رأسه إلى الأرض وولت الفتاة هاربة ، فأسرع إلى اللحاق بها ، ثم أمسك يديها بقوة شديدة وجذب الفتاة نحوه فأنجذبت مرغمة ، ثم أمسك بصدغها بين يديه واعتصب منها قبلة — لمع لها جبينه وقطب لها جبين الفتاة — وعاد أدراجه وهو يترنح من الفوز ، وعادت الفتاة متخاذلة مثاقلة إلى بيتها ، فارتمت في أحضان أمها حزينة كثيبة تأس موضع العار من شفتيها ، كأنما تحاول أن تزيل ما علق بفيها من آثار القبلة !

وتظل قلب أوراق مذكراتها فتري في ثايات صفحاتها ضعفها الشديد عن تحقيق أمنياتها وتقرأ ما سجلته على نفسها من اخفاقها التام في الاندماج في سلك الراهبات . وتقرأ صحيفة أخرى فتتمثل نفسها وهي تعمل في حانوت قصاب وإنها لتحسب دخل المحل إذ حانت من صاحبه التفاتة — وهو منهمك في عمله والعرق يتصبب على جبينه ويتساقط من كل أنحاء وجهه — فرأى جمال الكاتبة فوقف يتولى بحسنها برهة ، ثم

عن له مثل ما عن لصبي الفرات من قبل ، فذهب ناحيتها حتى داناها ثم أمسك بذراعها اليسرى باحدى يديه — بينما كانت مستغرقة في عملها — وقدم لها دجاجة بيده الأخرى ، وحاول أن يقبلها اغتصابا فدفعته عنها مغضبة وشم تملكه الغضب فكشर لها عن أنيابه وانقلب سحنة وجهه ودمدم غيظا وحنقا ثم تركها قائلا : « لك أن تغادري العمل إذا كنت لأروقك » فخرجت من حانوته تتعثر في أذيال الحية — وقد ظهرت آثار أصابع القصاب المتسخة على ذراعها اليسرى واضحة جليلة — وشم تلقى مذكراتها من يدها آسفة على ماجرته عليها الحياة من ويلات لم يكن لها قبل بدفعها ، ثم لا تلبث أن يتسرب العزاء إلى نفسها فتقول — إن الحياة خدعة وأهلوها أشرار والمرأة بينهم ضحية ولست جديرة أن أناضل الناس بغير سلاحهم أو أعاملهم بغير معاملتهم ! »

ونرى — في منظر آخر — الطبيب الجراح بين مرضاه في حديقة القصر الذي اتخذه مصيفاله وهو يواسي هذا ويطمئن ذاك ويشرك صغارهم في ألعابهم ليرفه عنهم كثيرا من آلامهم ، وربما زالت قدمه فعضأوا اصطدم ببعض الصبية فبذل كل ما في وسعه لترضيه وإزالة مالحقه بسببه من الألم ، ثم لا يدعه حتى يرى ثغره باسماء ووجهه متهللا ، وإنه كذلك إذ تدخل (سيرسيه) متكرة باسم غير اسمها فتنبه الخادم أن سيدة مريضة بالباب تريد لقاءه فيأمر بإدخالها حجرة الاستراحة ، ولا يكاد يدخل حتى يجد (سيرسيه) أمامه فيغضب أشد الغضب إذ يتبينها ويعرف أنها هي ، ويسألها مستفسرا : « ماذا دعاك أيتها السيدة إلى الدخول عندي متكرة ؟ ألم يكن الأجدر بك أن تكوني صريحة وأن لا تلجئ إلى مثل هذه المواربة الممقوتة ؟ » فتجيبه : « ولكنني أراك تتربمني دائما ، وإني لعللي يقين من أنك كنت ترفض مقابلتي ممتعاً كل الامتناع عن لقائي لو صرحت للخادم باسمي الحقيقي ، ومع ذلك فأتانا مريضة أيها الطبيب ، نعم مريضة جديرة بعنايتك لعللي أشفي من علتي » فيجيبها : « لا بل أنت تمارضين ، وهنا تلوح منها التفاته فترى على طاولة الطبيب إطارا فيه صورة فتاة جميلة فيلب قلبها غيرة وحقدا ، وتسأله : « أهذه هي معشوقتك أيها السيد ، فيقول : « نعم هي خطيبتي وقد كنا على

وشك الاقتران يوم اختطفها الموت مني» فلا تسمع الشطر الأول من جوابه حتى تكاد تصعق لو لم يتداكها الله برحمته ويسرى عن نفسها تمة الجواب فيزول من على صدرها كابوس ثقل، إذ تعلم أن منافستها قد انتقلت إلى العالم الثاني.

ويبدأ الطبيب بفحصها ولا يكاد يلمس يدها وصدرها حتى تشعر (سيرسيه) كأنما كهرباء الحب قد ألهمت جسمها إلهاباً فتتهدتهد العاشقة المولهة وتلمس هاتين الناحيتين من جسمها اللتين لمسهما الطبيب يده فيلتفت إليهما مغضبا ويقول: «ثقي أيتها المرأة المستهترّة أن هذه الحياة البليدة ستودي بك بعد قليل من الزمن» فإذا رأت ضراعتها له غير مجدية وألفت آمالها غير محققة عاودها الآباء والشمم فأجابته شاحخة بأنفها: «ألا تعرف بماذا أجابت (سيرسيه) حبيبها (عولس) حين رفض حبها واحتقر عشقها، لقد قالت له «وداعا»

تعود إدراجها صاحبة متأججة القلب حقدا وغيظا عاقدة العزم على نسيانه — كلفها ذلك ما كلفها — وشم نراها في حفلتها الراقصة التي أعدتها في منزلها ودعت إليها أصدقاءها وعاشقها وافتنّت في استحضار جالبات السرور إليها، فأصبحت ردهة البيت حانة نادرة المثال وبدأت تعرف الموسيقى وتدور الأقداح وتترنح الأعطاف، ويستمر الرقص فإذا ثمل أحد عاشقها حاول الدنو منها فأقصته عنها أقصاء — بعد أن لكزته يدها الكزة حطمت بهاكل آماله — ثم تلعب الخمرة بالرءوس ويحمى وطيس الرقص فتلهب النفوس حتى يخرج الحاضرون عن أطوارهم وينسوا أدنى واجبات الحشمة وأقل مستلزمات الوقار فتركب «سيرسيه» واحدا من عشاقها — بعد أن وضع على وجهه وجه وحش أقرب إلى أن يكون وجه خنزير — ويظلون كذلك منهمكين في رقصهم غارقين في لهوهم، حتى إذا لفتت هذه الجليلة الطبيب القريب من بيتها فتح نافذة طنفه، فأطلّ منها على هذا المنظر الغريب فرأى «سيرسيه» المستهترّة، فإذا لاحظت منها التفاتة إليه زادت انهماكا وأسرفت إسرافا لا حد له في لهوها، وظلت ترقص رقصاً عنيفا متداركا وقد وضعت على رأسها قبعة من قبعات الرجال، فلم يقابل الطبيب هذه الحركات الطائشة بأكثر من إغلاق باب الطنف ليضع حدا لرؤية هذه المساخر

هنا تشتعل نار الألم في نفسها وتصهر جسمها من اليأس والفشل؛ فتمنّى في الرقص ويمعن معها عاشقها في الرقص فتتلاشى ذواتهم في غمر اللهو الجارف؛ وتخور ذواتها فتترنم على شاب

وضىء الوجه من عشاقها المدلهين فيحاول تقييلها فتمنعه ، فإذا شفه الوجد وشكا إليها حبه وهيامه هزئت به ساخرة ، فإذا قال لها : « إني أعبدك وأراك أملى الخلو في هذه الحياة فكوني لي ، أجابته » مه فليس يروقي هذا الهراء ولا يعجبني منك هذا الفصل البارد الذي تقوم تمثيله بين يدي الآن » فيصعق قلب العاشق ويهم بالانتحار فتلوح من سيرسيه التفاتة فتري عشاقها يلعبون القمار

وتسمع أحدهم يقول : « أراهن على ألف ريال » فتسرع إلى مشاركتهم في المقامرة وتطلب إلى العم جون أن يعطيها حوالة لتقامر بها ، فيقول لها المحامي العاشق : « بل أنا أثق بكلامه فلا حاجة إلى كتابة الحوالة »

تبدأ في المقامرة فتكسب في الدور الأول ثم يحدوها الطمع إلى الاستمرار فتخسر ما كسبته ، فتتحمس لاستعاضة الخسارة التي لحقتها فتضاعف همتها وتشتد خسارتها فيزيدها ذلك تحمساً فتقامر على خمسين ألف ريال فتخسرهما صفقة واحد فيجن جنونها فتضع أمامها كل حلاها مقامرة عليها فيأبى نخس نجمها إلا أن تخسرهما جميعاً ، فتقول للمحامي قولة اليأس الذي أخرجه اليأس عن رشاده فأفساه ما يقول : « أقامر على منزلي فإذا نجحت استعرت منك كل ما فقدته وإن أخفقت أضفت منزلي إلى ما خسرت » ويأبى سوء الحظ إلا ملازمته إلى النهاية فتخسر في المقامرة بيتها بعد أن خسرت قبله كل شيء .

طاحت أحلام (سيرسيه) في الثروة كما طاحت آمالها في الحب ، لقد كانت تبحث عن وسيلة لنسيان ما لحقها من الخسارة والاختفاق في الحب وتستعوض بها عن يأسها الشنيع في استمالة حبيبها ، فأبى لها الشقاء إلا أن تخسر إلى ما خسرت كل ما كانت تملك — من مال وحق وعقار — بيد أنها هزئت في هذه المرة بضربات الدهر القاسية بعد أن توالى عليها ، ووصلت إلى الحال التي عناها المتنبي بقوله

تكاثرت النصال على حتى فوادي في غشاء من نبال

فصرت - إذا أصابني سهام - تكسرت النصال على النصال

فلجأت إلى الصبر معتصمة برزانة اليأس فقد كل شيء فلم يعد يبكي على شيء . واستبدلت قلوبها — مخفية ما أصابها من الكمد — بابتسامة انفرجت عنها شفاتها ولكنها

تتم عن بائس قاتل ، ثم التفتت إلى الراج قائلة : « لقد أصبحت الآن مالك ثروتي كلها ولم يعد لي فيها شيء ، فهل تتفضل بدعوتنا إلى العشاء في هذه الليلة احتفاء بما نلته من فوز وابتهاجاً بما أحرزته من نجاح ، فأجابه المحامي ملياً طلبها الذي لم يكن يرى أشهى إلى نفسه وأعذب إلى قلبه من تليته ، ثم نصبت المائدة واصطفت الكؤوس وبدأ المحامي يقدم لها الكأس الأولى مبتسماً لها ابتسامة تجمع معاني شتى أهمها الفوز على عشيقته من طريق الثروة بعد أن هزمته أمامها في طريق الحب . وفي ابتسامته معنى من معاني الشعور بالغبطة والرضى بما أوصله إليه جده السعيد فأصبح أقدر من ذي قبل على تقديم الهدايا الفاخرة إليها وهي في هذه الظروف القاسية، بل لقد صار في مكنته أن يكشف عنها ويزيل ما بها من الضنك المالى بعد أن كانت في بجوحة الرخاء :

تناولت « سيرسيه » الكأس التي قدمها إليها، وردت على ابتسامته بابتسامة الكمد المتكلفة فأسرع يسارها بقوله: « ثقي أن ثروتك لم تضع بعد ، وأن في تناول بك أن تسترد بها إذا شئت بأيسر الأثمان ، بمن زهيد جداً لا يكلفك شيئاً يذكر » ولكنها لا تجيبه بشيء ، بل ترفع الكأس إلى شفيتها فتحس منها قليلاً ثم تضغط على زجاجها بعنف فتحطم الكأس في يمينها تحطياً وتدخل شظاياها في راحة يدها فيسيل منها الدم غزيراً وهنا يتجمع حولها العشاق واجمين مستفسرين عن جليلة الخطب ، ويسرع العم (جون) يستدعاه الطبيب الجراح فيحضر على عجل فاذا رأى الطبيب جرحها سألهما : « أليس في البيت أحد من النساء ؟ » فتجيبه : « كلا ليس في البيت إلا خنازير (عريس) فبقول لها إنما وجهت إليك هذا السؤال لأنني ساخطر إلى إيلا مك فتحملي آلام العلاج بصبر ، و جلد فتجيبه رابطة الجأش غير مبالية بشيء : « هون عليك يادكتور ولا تقولن ذلك فلقد طالما تألمت وما كانت حياتي الاسلسلة مفرغة الحلقات من الآلام والاحزان » فاذا شرع في علاجها قدم لها أحد عشاقها سيجاراً تناولته منه باسمه محبة ، فيزيد ذلك في امتعاض الطبيب وإذا انتهى من العلاج ضمد جراحها ثم ربطها برباط طويل الى عنقها ، ولا يكاد ينتهي من عمله حتى يجد على أسارير وجهها ألف معنى من معاني المغازلة ويتبين ما ترمى اليه تلك النظرات الفاتنة فينظر اليها عابساً وهو يقول . « يجدر بك أن تقلعي عن هذه المساخر وأن تضعي حداً حاملاً لسيرك المعوج ، فلا يكون لها من جواب على هذا

القول إلا أن تسرع إلى احتساء كأس مترعة من الخمر وهي تهيب بأصحابها — : اسمعوا يا سادة ، ها إنى أشرب تلك للكأس تجب نصيحة طبيبي الثمينة ، ويجذبها إلى ناحيته أحد عشاقها فتبدأ معه الرقص كأنما تريد بذلك أن تهتاج نفس الطبيب أو تحرك فيها شيئاً من لواعج الحب أو تثير منه مكنأ من مكامن الغيرة ، ويحاول عاشقها تقييلها فلا تمنع في ذلك ممانعة جدية لتزيد بذلك إهاجة الطبيب ، على أنها تهيج بذلك عاشقاً آخر من عشاقها المدلهين ، فيتصدى لصاحبه ويريد المحامى أن يطرد الجميع من البيت الذى أصبح فى حوزته بحكم القانون ، وفى هذه الأثناء تنطلق رصاصة طائشة من يد عاشق آخر فينسبون الهرج والمرج ويملك الذعر نفس سيرسيه فتأخذها رعدة ، ويلتفت الطبيب إلى الحاضرين فزعاً ناقما منهم هذه الاعمال الوحشية التى تبرأ منها الانسانية . نادباً انحطاط الأخلاق وارتكاس الآداب . ولا يكاد يخرج من هذه الحفلة السافلة . حتى يلتقى بها فى الحديقة فينظر إليها محتقراً ثم يسألهام قريعاً — وهو يغذ السير إلى داره — : « ألا تشعرين بمسؤوليتك الجسيمة أزاء ما تقترفينه من هذه الشنع ؟ » ولا ينتظر منها جواباً . بل يواصل سيره مسرعاً ، يجلس الطبيب فى غرفته مفكراً فيما مر به من الحوادث العجيبة فى تلك الليلة النكراء : وانه ليجيل فكره فى ذلك غارقاً فى تأمله . إذ يفتح باب غرفته فجأة وتدخل منه سيرسيه . ولا يكاد يرفع بصره إليها حتى تبدره قائلة — : « ماذا تنقم منى يا سيدى الطبيب ؟ »

ثق أنك واهم فى ظنونك ؟ فانى لست . وايم الحق . ملومة على ما آتته ، بل ليست لى يد فى كل ما حدث بسببى . لقد كوتنتى الظروف القاسية تكويناً لم يكن لى فيه أى خيار ، وألقت به فى هذا الخضم المائج بلا عتاد ، فلم أربدا من السباحة فى تياره حتى لا يغرقنى إلى قراره . ولقد رأيت الناس لا يحبون إلا هذا النوع السمج من الحياة الفاسدة فلم أحجم عن مشاركتهم فيما يحبون ! » فيجيبها الطبيب قائلاً : « بل أنت واهمة فى تبرير عملك مخطئة أشنع الخطأ فى كل ما تلمسينه لنفسك من الأعذار التى تحاولين بها تبرير ما تقترفين من إثم وفى إقناع نفسك بأنك غير مسئولة عما تجنيه يداك من الجرائم الشنعاء . لا فلتعلمي أيتها السيدة أن أمثالك من النساء قوى هائلة فى هذا الوجود مدمرات كل ما يحيط بهن بلا رحمة ولا شفقة ، وها أنت ذى لا تفتئين دائبة على إيقاظ أسفل الغرائر الانسانية ، وأحققر النزعات البشرية فى نفوس خلطائك . ولو أن هذه القوى الهائلة قد وجهت إلى الخير لأنت بأحمد النتائج الباهرة

فتجيبه سيرسيه ضارعة

« آه ياسيدى الطيب لشد ما أخطأت فهمى وأسرفت فى إساءة الظن بى — وماذا يعنيك، إن كنت قد أصبت أو أخطأت؟ وليس هذا بضائك . يا الله ! ألم تظن بعد إلى ما يجنيه لك ، قلبى بماذا — آه من الحب ، نعم من الحب ، ثق أنتى أحبك ، أحبك ، أحبك ! »

فإذا سمع منها الطيب هذه المناجاة لم يعابها وكأنما كانت نجواها إلى سواه، فأشعل سيجارته والتفت إليها التفاته الهادى وأجابها ساخراً — وهو يتباطأ فى كلامه —: « أنت تحبينى؟ هذا هراء ، هذا مالا أعتقده ، فإن مثلك لا يعرف الحب، فلا تدعه سريسه يتأدى فى هذه النعمة المؤلمة من القول ، بل تسرع فجأة إلى يده الممدودة إلى جانبه فتختطفها اختطافاً وتدنيها إلى فيها مختلسة منها قبلة حارة، ثم تفر راجعة أدراجها بمثل سرعة البرق، فيجرى وراءها يحاول اللحاق بها بلا جدوى ، حتى إذا ينس من إدراكها عاد إلى غرفته وقد بدأ يساوره الفكر والقلق على مصيرها وأحس أول نيران الحب تضطرم فى قلبه اضطراباً !

تعود « سيرسيه » إلى بيتها منهوكة القوى مشغولة الفكر، فيقابلها عشيقها المحامى باسم مظهر أ لها استعداد تام للنزاع عن كل شئ — إذا شاءت — فلا تعباً ولا تلتفت إلى ما يقول فيمسك بيدها محاولاً تقيلها أو ضمها إلى صدره فتجذبها عابسة وتدفعه عنها مغضبة فتشتعل فى قلبه نار الغيرة والحقد ويسألها : ما معنى هذا التقطيب وهو صاحب الثروة ومالك البيت والمتصرف فى كل ما تملك، فلا تجيب بشئ، فإذا رآها لا تحير جواباً وأدرك من أساريرها أنها منهمكة غارقة فى بحار أفكارها السوداء بادرها بقوله : لعلك فى شغل شاغل عني بحب ذلك الطيب . . . فتقاطعه صارخة : « صه أيها الخبيث ! فأنت غير جدير أن تنطق حتى باسمه : آه لبس ماجنيته من صحبة أمثالك من خلطاء السوء ورفقاء الشر الذين أوصلتنى مصادقتهم إلى هذه العاقبة السوأى ، وأسلمتنى صحتهم إلى فقدان كل أمل فى الحياة الفاضلة » وهكذا يسدل الستار على هذا المنظر الرائع :

ونعود إلى الطيب فنراه جالساً جلسة المضطجع على إحدى أرائكه غارقاً فى تأملاته. مر سلافكره فى جمال سيرسه والتعلل من حسننها، وقد دفعه الفكر إلى تمثيل كثير من الأحلام والأمانى اللذيذة عنها فقد بدأ يتمثلها أمامه الآن ملكاً كريماً . لا بشراً سويّاً، واستعاد فى ذاكرته تلك القبلية.

المختلصة التي اختطفها من يده اختطافاً فأحس كأن نار الحب يسرى ضرامها من مكان تلك القبلة إلى كل ناحية من أنحاء جسمه ، وطاف بذهنه كل مامر أمامه من حب سيرسيه وشدة تعلقها به ووجدوها الذي أثبتت الحوادث صدقه، وطفق يحلل كل مآثته من الأعمال فيزيده ذلك بها شغفاً وهياماً . وتنجلي له البواعث الحقيقة التي دفعت بها إلى كل ما فعلته ويتكشف له أخلاصها وحسن طواياها ونبل مقاصدها .

لقد أدرك أخيراً أن سيرسيه محبة صادقة في حبها . ولو أنها بمن يمازقه الحب لما أبهت له ولا شغلت بالها به إلى مثل هذا الحد ولا انصرفت إلى عشاقها الكثيرين الذين لا يترددون لحظة واحدة في تلبية أشارتها وانفاذ رغباتها ، وذكر أنه لم يقدم لها هدية ولا هو غنى فيطيبيها غناه وتستميلها ثروته . وهكذا تضافر كل شيء وتكانفت كل ظواهر الأمور وبواطنها على تفسير حبها أياه بمعناه الصحيح الذي كان جديراً أن يفهمه من قبل على حقيقته ، ولقد ظهرت له سيرسيه في أحلامه ملكاً باطناً من السماء مرة ثم صاعداً إليها مرة أخرى ، وبما رأى هذا الملك السماوي جائماً بين يديه أو طائر أبيض أجواز الفضاء أو مخلقاً معه في أجواء السعادة والهناء وربما خيل إليه أن حبالاً من حبال الأمل قد تدلى به من السماء وأنه متعلق به وحببته سيرسيه ، وقد بدأ يرتفع بهما وهما صاعدان حتى بلغا ذروة الرجاء وأشرقا على عالم بهيج تغنى فيه الطيور الجميلة . وتسطع في سماواته شمس السعادة وتنمو فيه أزهار الحب ناضرة فرحة وربما أحس كأنما يدها البيضاء الناعمة تلمس كتفه برفق . فأفاق من سنته متهيئاً لعناقها . فلم ير أمامه أحداً . فأنثني إلى تأملاته مستأنفاً أحلامه السارة من جديد ، ولم تكن سيرسيه تبدو له في ذلك الحين إلا متحلية بأجمل ما يتحلى به الحبيب لحبه من حال الحسن الإضافية وحلل الطهر والعفة والأخلاص ، حتى لقد هم مراراً أن يذهب إلى بيتها جرياً على قدميه ليظفر بلثم وجناتها وينعم بقربه منها . متملياً بحاسنها المتجددة الباهرة ، على أنه لم يلبث أن تملكته هذه الفكرة بعد قليل وامتلات بها نفسه فذهب إلى بيت حبيبته سيرسيه :



ونعود الآن إلى منزل سيرسيه فنرى العم جون واقفاً يسأل الخادم السوداء عن سيدتها سيرسيه فتجيبه محزونة : — لقد غادرت المنزل منذ هنيهة تاركة لك هذه الرسالة . فيسرع العم جون إلى فضاها وقراءتها ، ولا يكاد يأتي على آخرها حتى يملكه الأسى

وينهنه الوجد إذ يقرأ : « بع كل شئ وسدد ديونى ثم خذ ما تبقى لك أما أنا فلا يعينك
أمرى ولا يقلق بالك مصيرى ولشق أنك لن تعثر على مكانى إذا بحث عنه . فلا
تطلب المحال ولا تعال نفسك بباطل الآمال والسلام عليك من الشاكرة لك على
صنيعك المقدره كل بذلته لها من معروف وقدمته من جميل » ظل العم (جون) برهة
حائراً ، يعيد تلاوة الرسالة مثنى وثلاث ورباع وإنه لكذلك إذ حضر الطبيب فاذا
رأى العم (جون) حياه مستفسراً عن سيرسيه فلم يجبه بأكثر من إعطائه رسالتها التي
تركتها مع الخادم منذهنيه ، وشم يحس الطبيب كان شراراً تطاير بين جنبيه ، واسودت
الدنيا في عينه وقد أدرك أن (سيرسيه) قد فرت فرار اليأس بعد أن سد أمامها كل أبواب
الرجاء ، فألقى على نفسه باللائمه وخجل مما أتاه من التصلب والعناد حين كان جديراً
أن يسلك معها سبيل الرفق واللين والكياسة ، وبدأ يتمثل ما يستقبله من الآلام
والاحزان المضيئه ويرى في الأيام القابلة ظلمات كثيفة متراكمة لاتسطع فيها اضواء
الحب ولا تيرها شمس وكأنما أيقن أن نجم سعادته قد أفل فعاد أدراجيه والهم بكاد يصمى
فؤاده ، وطفق والعم جون يبحثان عن (سيرسيه) في كل مكان يظنانها تغشاه زمنا
طويلاً . دون أن يرجعا بطائل ، حتى كاد يخامرهما اليأس : أما سيرسيه فقد علمت أن
الطبيب الذى تقدسه متفانية في حبه قد أخطأ فهمها وأساء الظن بها وعرفت معرفة
اليقين أنه لم يحكم عليها إلا بظاهر أمرها دون أن يعنى نفسه باستكناه حقيقة حالها وطهارة
نفسها ، علمت (سيرسيه) أن الطبيب الذى ناطت به كل أمل في إسعادها يحتقرها
احتقاراً ، وأى شئ أدعى للحسرة وأجلب للآلم من رؤية من لا يعبأ الإنسان بأحد
في العالم إلا به ولا يهمه رضى سواه أو سخطه ، أى شئ أنكى من سخط هذا الحبيب
الذى لا يهم الإنسان أحد سواه في كل هذه الأرض الفسيحة

فليتك تصفو والحياة مريرة وليتك ترضى به والأنام غضاب

إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذى فوق التراب تراب

« »

ولكن ماذا تعمل سيرسيه وقدرأت أن كل من يستوى عندها حبيبهم وسخطهم يهيمون بها هياماً ولا
يترددون في تلبية أية اشارة من اشاراتها . في حين أن معبودها الذى ينير لها حبه طريق
الحياة لا يفكر فيها ولا يهمه من أمرها شئ . لم تجد سيرسيه أمامها وسيلة تلجأ اليها

في الحياة — بعد أن كرهتها وكرهت كل ما فيها . إلا الرجوع إلى أمنيته الأولى التي طالما عجزت عن تحقيقها فذهبت ميممة ملجأ أحداثها ومطمح أحلامها من قبل وهو الدير . فلما بلغته مرت بذكريها طائفة من الذكريات المختلفة ولم تكد تطأ قدماها بابه حتى أيقنت أنها تستقبل عهد الدعة والطمأنينة ومرت الأيام ترى وهي ترتل صلواتها مبتهلة إلى الله مازجة دعاءها وصلواتها بذكر حبیبها الذي يئست منه إلى الأبد ومراراً مشهد الرهبات في ساعة متأخرة من الليل ذاهبات إلى الصلاة . فذكرها ذلك بالمشهد السابق الذي رآته وهي طفلة وتعاقبت الأيام وهي منصرفة إلى العبادة مازجة الصلاة بالحب ، تجلس حولها فتيات صغيرات تعلمن في حديقة الدير باسمات حولها فرحات بما يتلقينه منها مؤنسات بأحاديثها الجميلة

وفي ذات يوم لمحت إحدى تلميذاتها تعدو نحوها مسرعة قائلة هاهي الآنسة (ماري) مقبلة فأسرعت سيرسية إلى لقاءها ولكنها ، ولكنها لم تكد تجتاز باب الحديقة وتخرج من الدير إلى عرض الشارع حتى دهمتها سيارة مسرعة في منتصفه فكسرت ساقها وغابت سيرسية عن الوجود فخملوها وهي فاقدة الرشداً إلى مستشفى الدير حيث بدؤوا يعالجونها .

نعو دلي الطيب العاشق فنراه يعدان بحث فأضناه البحث وفتش عن سيرسية في حينها عن له أن تكون فأعياء الأمر واتابه اليأس من العثور عليها وأيقن أن كل مجهود يبذله في هذا الصدد ضائع وما آله الفشل والخيبة ، كف عن البحث مستشعراً اليأس من لقاءها قانعا بالتمتع بها في عالم الخيال والأحلام بعد أن عجز عن التمتع بها في عالم اليقظة والحقيقة ولكن الدهر أبو العجب وأضيق الأمر إن فكرت - أوسعته ، وكثيراً ما ينبجج صبح الأمل بعد أن يحلوك ليل اليأس ويشدد ظلامه

وقد يجمع الله الشقيتين بعد ما ٥ يظنان كل الظن أن لا تلاقيا فقد خرج الطيب ذات يوم وكلبه يرافقه فلما بلغ مكانا مزدانا بالأزهار والخضرة جلس ولم يكديستقر في الجلوس حتى بدأ يداعب كلبه ولامر ما ألقى إليه عصاه على أبعد مسافة استطاعها فأسرع الكلب يعدو في أثرها باحثاً ولكنه عاد بعد قليل وفي فيه شيء غيرها ، فلما داناه تبين الطيب أنها مذكرات ، ولشد داغمرته الدهشة

حين رأى اسم سيرسية مكتوبا عليها فأقبل على مطالعتها بلهفة المشوق وهو يكاد يلتهمها التهاما وزادته مذكراتها اقتناعا بطهارة نفسها ونبل مقاصدها ، على أنه لم يطل به البحث وهو يقلب صفحاتها فقد رأى في ثناياها عزمها على الذهاب إلى الدير المقدس (أورليان) وما كاد يقع بصره على هذه الجملة حتى طفح وجهه بشرا وامتلات أرجاء نفسه بهذا الاكتشاف الباهر غبطة وأنسا ، حتى خيل إليه أن الكون بأسره باسم له وأن ليس في هذا الوجود الاطلاقة وسرور شامل ولاح له فجر السعادة المنبجج تبدد أضواؤه ظلام اليأس وتفشع سحب الخيبة التي كانت غائمة في نفسه فكر ، راجعا إلى العم (جون) ليخبره بهذا الاكتشاف الرائع الذي هداه اليه حسن طالع

ونرى منظرا آخر فيه راهبات الدير يدعون دعوات حارة صادرة من أعماق قلوبهن مصليات ضارعات إلى الله أن يمن على سيرسية بالشفاء العاجل من تلك الصدمة القاتلة ونرى طبيين في حجرة (سيرسيه) المريضة يتهاوسان فيها مقررين عجزهما عن شفائها وأسهما من انهاضها من كبوتها ولكن أحدهما يقترح على زميله أن يسلكا معها سبيل الإحياء وان ينميا فيها هذا الاعتقاد المتأصل في نفسها . و ثم قال لصاحبه « مادامت بنوهم أنها قادرة على المشي فماذا علينا إذا جاريناها في اعتقادها وأدخلنا في روعها أنها شفيت وأنها تستطيع السير الآن ، لعل ذلك يكون من أسباب شفائها ، وان كان الامل في نجاحنا ضعيفا ، ولكن لتكن هذه هي التجربة النهائية » و ثم يقولان لها وهاء أنت ذى قدرة على المشي فانهمضى أيتها الفتاة ، وتحاول الفتاة تلبية هذا الطلب فتشرع في النهوض مع ما تكبدها تلك المحاولة المتعبة من الجهد وتنفض مشاقلة معتمدة ذراعى الطبيين حتى لا تسقط إلى الارض فاذا تركا ذراعيها القياها لاتماسك بيد أنها تعتصم بالجلد محاولة أن تغالب ضعفها وتأبى قدماها الخائرتان أن تحتملها فتترنح ترنح من يوشك أن يهوى ساقطا الى الارض وانها كذلك إذ يدخل حبيبها الطبيب فلا يكاد يقع بصره عليها حتى يناديها باسمها « هذه هي أنت ياسيرسية »

أى صوت ملكى تسمعه أذناها وأى حلم جميل تراه في يقظتها فلا تكاد تصدق أنه حقيقة واقعة فتتظر إلى حبيبها مشدوهة ولهى مرهفة أذنيها مستجمعة حواسها الضعيفة وقواها الخائرة فتسمع صوته الساحر يناديها ثانية « هلى إلى ياسيرسية هلى إلى ! » فلا يتم هذه الجملة

العذبة الخلابه حتى يتبدد كل شك في نفسها وتوقن أنها يقظة غير حالمه ؛ وتنظر فتجده فاتحا ذراعيه اليها فتمد يديها اليه ، وكأنا نسيت ضعفها وبأس الاطباء من شفائها وعجزها منذ لحظة عن الوقوف على قدميها فضلاعن السير ، وكأنا أنساها الظفر كل شئ، إلا ما تحلم به من ادراك السعادة الوشيكه بقرب حبيبها الذي قطعت الأمل من لقائه فتستمسك في الحال و تتحرك قدماها نحو حبيبها تحركا وئيدا، وتخطو اليه خطوتين فأذارت ذراعيه تستقبلانها ارتمت في أحضانه، وتنطبع على شفاهها قبله فيها كل معاني الحب والجوى ؛ وتمر بهما لحظة تتضال أمامها كل لذات الحياة و مسراتها ، وتريدا (سيرسيه) أن تستيقن مثبتة من أنها في اليقظة فيشتد التصاقها به وتسأله: «أأست حالمه؟ أحقا اني ظفرت بالسعادة بقربك فيضمها حبيبها إلى صدره ضمة الموله المشغوف وهو يقول: «كأأست حالمه بل أنت بين ذراعي وستكونين لي وحدي مدى الحياة» !

« ك . ك . »



اطلب من دار العصور للطبع والنشر

ومن جميع المكاتب المعروفة

مَعْصِيَةُ الْمَلِكِ مُبَارَكُ اللَّهِ

ومفالات أخرى

بقلم

اسماعيل مظهر

في سبيل الفن

بقلم الرسام المصري الشهير الاستاذ شعبان زكي

أعط طفلاً قرطاساً وقلماً فما أسرع ما يبدأ بالتخطيط ، وما أسرع ما يظهر على رسمه وهو فخور . فخور بأن جهده الذي ترى دليل رغبة عنده في التعبير عن غرض له معلوم .

هذه الرغبة الجميلة عند الأطفال مهمة جد الإهمال عند الآباء . فهم يميلون إلى اعتبار أن الوقت المبذول في تعلم الرسم عبث وضياع

كان هذا الاعتبار سائداً في العالم منذ نصف قرن حيث بدأت ظاهرة الفن الايضاحي والفن الاعلاني تظهر في عالمي التأليف والاتجار . ونقول — زيادة في الايضاح — إنه منذ خمسين عاماً لم تكن الصحف لتحتوي صوراً فنية اللهم إلا بعض رسوم ضئيلة في الاسبوعية منها ، كما كانت وسائل النسخ ركيكة باهظة التكاليف إلى حد جعل الناشرين أنفسهم يفقدون الحماسة في هذه السبيل .

أما اليوم فالحاجة ماسة على الدوام إلى الصور والرسوم — في كل فرع من فروع الحياة ولشتى الأغراض — بل إن أسباب هذه الحاجة لتطرد في الزيادة على مر الأيام .

* *

فالطفل الذي يشجعه عائلته على مزاولة الرسم — وهو صغير — واصل حتماً إذا هو ثابر — إلى درجة يجد نفسه قادراً بها على الدخول في مضمار الحياة ، وأنه لمضمار جليل الشأن في هذا الزمان

لقد كان يقال دائماً إن الفنانين كالشعراء يولدون كذلك ولا يهيئون ! على أن الواقع ليس هكذا على الدوام . صحيح أن في الناس كثيرين ينشأون ذوى مواهب فنية تجعلهم بحيث يأتون في الرسم بما لا يستطيعه غيرهم ممن لم يؤثروا مواهبهم — ولكن التجارب قد أثبتت أن الطالب غير الموهوب قد يفوق بالالتفات والجد أولئك الموهوبين — بل وقد يصل — بطول الدرس — إلى حيث يحتل معهم أول الصفوف ، وقد يأخذ فيهم مركز القيادة في بعض الأحيان .

من الجائز المقبول اذن أن يقال : إن لاى طالب أن يتعلم الرسم . وليس يعوزه
في هذا المطلب غير الرغبة في العلم (علم الفن) وأستاذ متمكن يهديه .

ولأن تستطيع أن ترسم أو تصور كل ما يعن لك مما تتخيل أو ترى أو تحس، أمر
محبب كما لو كنت بحيث تستطيع العزف على الكمان أو العود أو المزمار — ولكنك
لن تجد رغباً في سماعك كعازف، إلا حين تكون القادر المجيد على العزف — وكذلك
أنت لن تكون الرسام الكبير ما لم ترج بضاعتك في المعارض — أسواق الفنون

*
*
*

من كان ذا ولم بالموسيقي فواجهه أو واجب أولياء أمره أن يغذوه على الدوام
بعذب النغم، ومن كان مشغوقاً بالرسم والتصوير فعليه أو على ذويه أن يرسلوه بين
الخطوط والألوان، وإن في العالم اليوم لشباباً كثيرين ليسوا من الأعلام المشهورين
لكنهم يربحون — كرسامين موضحين أو مصممين في فن الاعلان مثلاً — من مائتي
جنيه الى ثمانمائة في العام، ومن بين الصفوف التي تضم هؤلاء الشبان يخرج
الجهابذة الأعلام

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

ذلك شأن ناحية من الفن الجميل، وتقصد بها فن الاعلان، وإن مصر المحرومة
كل الحرمان — وحرمانها هذا هو الذي يدعو القادرين المخلصين أن يقوموا بالواجب
مشفقين، وهو الذي يحذوهم أن يقاوموا المحال في هذا السبيل

إن الرواج المحسوس في ميدان الصناعة والتجارة اليوم — ولا نقول في كل
أنحاء الميدان — إنما هو نتيجة مباشرة لفن الاعلان . كما أن فن الاعلان مدين كذلك
لهذا الميدان الذي وسعه بكل ما حوى من خطوط وألوان . وأنا لا ندرى أيهما الأبر
على التمام ! فإن أحدهما — مستقلاً عن الآخر — لا يدر بما يدرانه مشتركين — فالتعاون
بينهما كالتعاون في كل ماعداهما، أصل الخير فيهما والاقبال .

قد يقول البعض إن المادة متلافة لكل فن — فاحتكاك الفن بالمادة في مثل هذا الميدان
يقضى على روح الفن ولو بعد حين ونقول نحن إن في فن الاعلان إعلاناً

تلقن تقرأه الجماهير في يسر وفي كل غدو ورواح ، وفي فن الاعلان تحسن هذه الجماهير
بالجمال والفن قبل أن تدرك منه الهدف المرسوم - يكون فن الاعلان عاملا في ترقية
الاذواق في البيئة التي ينتشر فيها بقدر ما هو عامل في ادخال المسرة بما ينطوي عليه
من بهجة الالوان الى جمال التأليف الى روح الابتكار

تلك المزايا فيه ملازمة له منذ كانت النفوس بطبيعتها ميالة الى الرسم ، ولزامها
من يجعله أداة صالحة للرواج على مر الدهور

فاذا التفت الى ذلك الفن الفنانون، و اذا أدرك الممولون منا تلك المزايا الجسم،
فما أيسر أن يوجد بمصر (فن الاعلان) ، وما أسرع ما يصل الرقي أساليب الطباعة
والنشر في قطرنا العظيم ، وما أجل ما يدر من الخير على كثيرين

وبذلك تصبح مصر، وهي لا تقل عن أمم الغرب التي أخذت تدين اليوم بفن
الاعلان، في جميع مرافق الحياة - في الاقتصاد وفي الدين وفي السياسة وفي كل ما يخطر
بالبال ، حتى لقد باتوا يسمون هذا العصر بعصر الاعلان

فهل لفنانينا أن يعملوا معنا على نشر روح الفن من هذا السيل ، وهل لممولينا
أن يدركوا هذا الخير العاجل الوفير ؟

معباه زكي

ضاحية المطرية (القاهرة)

أطلب من دار العصور للطبع والنشر
ومن جميع المكاتب المعروفة كتاب

العقائد



هذى طباع الناس معروضة
تخالطوا العالم أو فارقوا ،
« أبو العلاء »

ذاع في فجر نهضة أوروبا أسماء ثلاثة من أساطين الكتاب ، عدوا — بحق —
من أكبر مجددي عصر الآداب ، وهم « دانتى » ، خالق اللغة الإيطالية ، و « بترارك » ،
و « بوكاتشو » .

قد اشتهر دانتى بكتابه المرسوم برسالة الغفران La Comedie Diuine وهو الذى
احتذى فيه نهج أبى العلاء فى رسالته المعروفة بهذا الاسم ! واشتهر « بترارك » بشعره
ونثره الذائعين وهما — عند الايطاليين — فى أعلى طبقات البلاغة ! .

أما « بوكاتشو » فقد اذاع صيته ، وخلد ذكره . كتابه الفذ ، « ديكرون » وهو
مجموعة قصص خالدة ، جمعت إلى رشاقة الأسلوب أفتان الزوائى وبراعة الساحر ،
وكان لها أكبر أثر فى كتابة قادة الفكر فى أوروبا ، أمثال « مولير » و « فولتير » ،
و « جوتيه » وغيرهم — وهم كثيرون — فترسموا خطاه وجعلوا من بعض هذه
القصص ، نواة لمؤلفات رائعة كتب لها الخلود

العجوز وتقويمه السنوي

كان فى مدينة « بيزا » قاض مشهود له بالذكاء والكفاية ، ولكنه — رغم ذلك —
على جانب عظيم من الضعف وخور العزيمة ، وكان بالغاً من الغنى أقصى حد ، واسمه

« ريشارد دي كوينزيكا » Rehard de Quinzica وكان يظن أن سعادته لا ينقصها سوى الزواج ، حاسباً أن طبيعة جسمه لا تزال قادرة على أداء ما يتطلبه من فروض ، كما يؤدي عمل القضاء الذي يزاوله بحذق وكفاية ، فجاء في طلب الزواج باحثاً عن زوج حائزة مزيى الجمال والشباب ، وقد كان — على العكس من ذلك — جديراً أن يبتعد جهده عن هاتين المزيين لو عقل (١) !

اهتدى إلى طلبته ووجد الفتاة التي كان يتخيلها وهي « بارتلومي » ابنة السيد « لوتوجالندي » وكانت على الحقيقة

من أجمل نساء « بيزا » وكان
وجهها — انقسامته وصباحته —
أجمل وجه في عالم الحسن :

تمت حفلة العرس ، ودخل
القاضي العجوز على الأنسة
الشابة ، وبدأ معها التمرين
المحبوب ولم يكبد ينتهي منه حتى
خارت قوادو وبلغ ضعفه أقصاها



أجهده وأنهك جسمه تمرين واحد ، فما العمل إذن ؟ حاول في الغد أن يعوض ما فقد من قواه المنهوكه فتهاقت على شرب النيد وغيره من الأشرية التي تقوى الجسم . فلم يجده شيء من ذلك

وثمة بدت له حتمية أمره وعرف مدى ضعفه وعجزه عن الوفاء بحقوق زوجته الفتاة ، فطلق يلمس الحل للخروج من هذا المأزق الحرج ويعمل فكره وذكاءه للوصول إلى طريقة يستر بها ضعفه وعجزه عن زوجته . فاهتدى إلى طريقة فذة هي أن يدخل في روعها أن في السنة أياماً خاصة لا يجوز للزوجين فيها أن ينعما بلذات الزواج . وعثر

(١) ما أجمل قول المعري في هذا المعنى :

إذا كانت لك امرأة عجوز فلا تأخذ بها أبداً كما
فإن كانت أقل بها وجه فأجدر أن تكون أقل عاباً

على « تقويم » قديم من تلك التقاويم المطبوعة لتدريب الأطفال على القراءة، وزاد على تلك الأيام أياماً حتى كاد يجعل العام كله أعياداً ومواسم لا يجوز فيها للزوج أن يدنو من زوجته، حتى لا يقعا في إثم أو يرتكباً خطيئة. فقد أضاف إليها أيام الذكرى وأيام الصيام وأصوام الفصول الأربعة وأيام الآحاد الخ الخ .

حرمت زوجته من لذات الزواج فضاقت صدرها وضوعف سخطها ونقمتها ولم ينس الزوج أن يرفه عنها بوسائل مختلفة فكان — بين حين وآخر — يخرج معها إلى حقوله « في الجبل الأسود » ويتنزهان معاً على شاطئ البحر .

وفي ذات يوم ابتكر نزهة لطيفة ليملاً قلبها سروراً وفرحاً . فاصطحبها معه إلى البحر لصيد السمك بعد أن أعد لهذا الأمر عدته — وأحضر سفينتين كبيرتين أحدهما له ولأصدقائه الأعزاء والآخرى لزوجته وصواحبها، وشرعوا في الصيد وطاب الهواء وأبحرت السفينتان مسافة بعيدة وصفا الوقت وعم الحبور فلم يشعروا أنهم أوغلوا في البحر وبعثوا عن الشاطئ كثيراً . وأنهم كذلك إذ دهمهم قرصان معروف في ذلك الزمان بسطوته وشدة بطشه اسمه « باجامين دي مونيغوى » فقطع عليهم هذا السرور .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

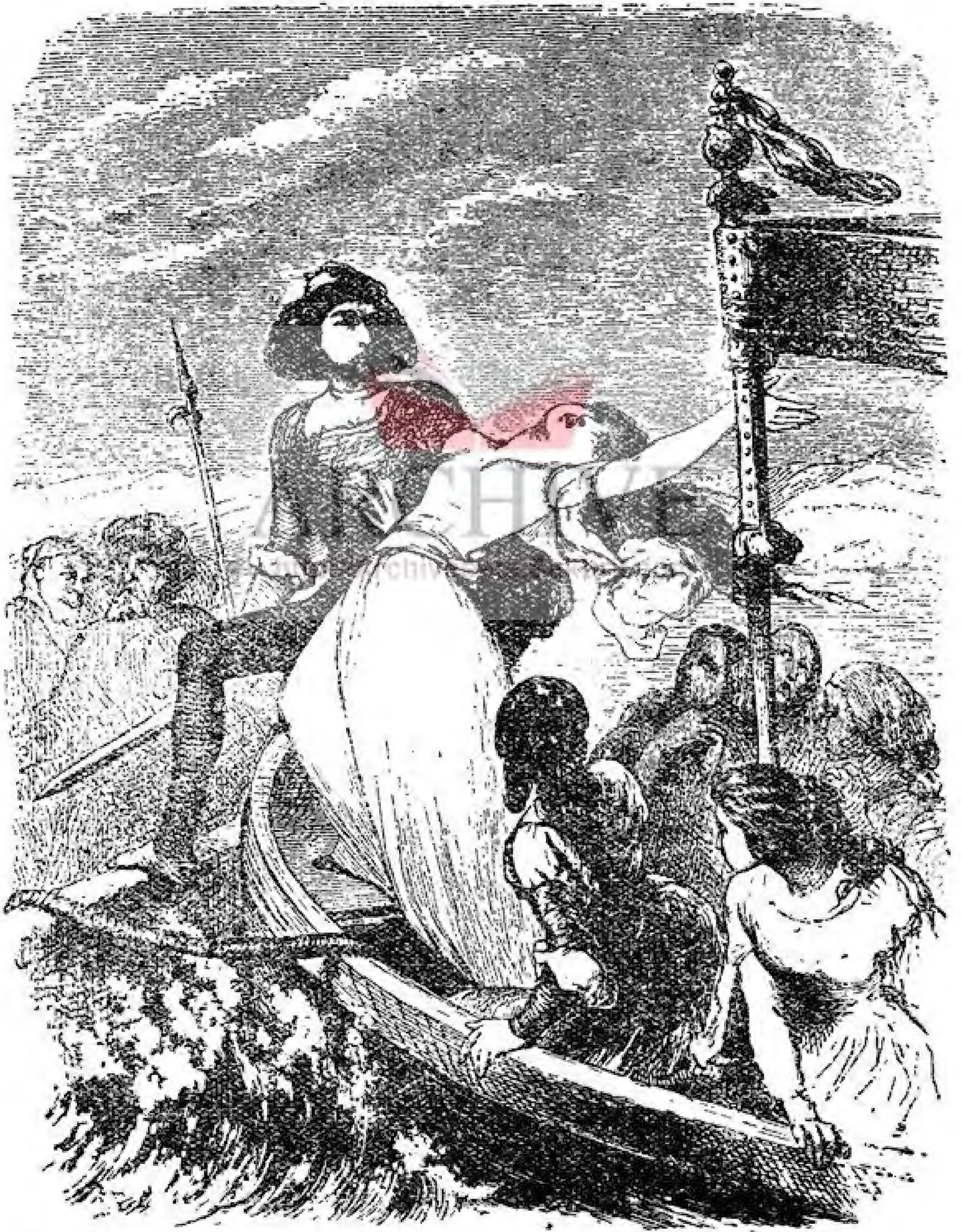
قصد القرصان إلى سفينة النساء وأجال بصره فيهم فلم يجد أجمل ولا أبدع من زوج القاضى، فأسرع إليها واختطفها (١) — على مرأى من الجميع — ثم عاد أدراجه فرحاً بظفره دون أن يتصدى له أحد .

صرخ النساء وولول الشيخ القاضى وبلغ به الأسى والغم من هذه الكارثة مبلغاً لا يوصف . حاول بعد ذلك أن يهتدى إلى مقر زوجته المخطوكة فلم يفلح .

أما « باجامين » فقد بهره جمال الفتاة وسلب لبه، فحمد الله على ظفرة بهذا الكنز النادر المثال وسهر عليها يرعاها ويطمئن قلبها ويستعطفها عليه ويبتها وجدده وهيامه بها ويغريها عن زوجها الشيخ، حتى أقبلت عليه .

ولم يكد يحن الليل حتى قلب عليها جميع لذات الزواج — على اختلافها — ومرت

الأيام فلم ترمه اهتماماً بسبت ولا أحد ولا جمعة ولا عيد، رأت كل الأيام والشهور عنده سواء
لأنها كلها صالحة لأداء التمارين المحبوبة، لأنه لا يعرف بقويم زوجها السنوي ولا يدين بمثل
تلك الترهات !



فزاد حبها ، حين علمت أنها ارتاحت — إلى الأبد — من ذلك الكابوس الثقيل الذي طالما لجأ إليه زوجها ليتخلص به منها ، وزاد هيامها بالقرصان حتى نسيت كل شيء سواه — فأصبحت لا تذكر « الشيخ » إذا مر بخاطرها — إلا مزدريّة ناقمة .

أما القاضي الشيخ ، فقد واصل البحث عنها دائماً غير وان ولا يأس من العثور عليها ، حتى اهتدى إلى مقرها بعد جهد . ولم يصل إليه إلا في المساء ، ورأته الفتاة — مصادفة وهي مع عشيقها — فأخبرته بمجيء زوجها ورسمت له الخطة التي يتبعها معه ، وزادها ذلك شغفاً واثبالاً . قضيا ليلة بهيجة ناعمين بالضم والعناق والتقبيل إلى الصباح .

فلما جاء زوجها إلى منزل القرصان — في اليوم التالي — قابله القرصان هاشا باشا وسأله عما يريد ، فأخبره بقصته كلها ، وختمها متوسلاً ضارعا إليه أن يرد له زوجته المحبوبة التي لا يستطيع السلو عنها . ووعده بأعطائه فوراً كل ما يريد من مال لاقتدائها — بالغة ما بلغت تلك القديّة —

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

فالتفت إليه القرصان ضاحكاً وقال — :

« إنني أرحب بك ياسيدي ولا أكتفك أن عندي امرأة شابة ، ولكنني أجهل أنها زوجك فلم يسبق لي شرف التعرف بك ولا بها ، مذ جاءت إلي — وبما أنني أرى من ملامحك وسياك دلائل الشرف والنبل ، فاني أقدم لك ما أستطيعه من صنيع . فأسمح لك برؤيتها . ولا شك أنها ستعرفك من النظرة الأولى إن كنت زوجها حقاً . ومتى اعترفت بذلك ورضيت بالعودة معك ، سمحت لك بها عن طيبة خاطر ، تاركاً لك حينئذ تقدير القديّة التي تسمح بها . وإنما يدفعني إلى ذلك ما ألمح على وجهك من دلائل الشرف .

ولكنها إذا لم تعترف بأنك زوجها ، أو اعترفت بذلك ثم رفضت الذهاب معك ، فانك حينئذ ترتكب أشنع الخطأ إذا أصررت على أخذها قسراً . على أنني لن أسمح لك بذلك ، فهي شابة جميلة ، ولشباب والجمال حكمهما النافذ ، وليس في قدرتي أن أفرط فيها أو أرغمها على شيء لا ترضاه !»

فقاطعه « ريشار » قائلاً — :

كن على يقين أنها زوجي ، ومتى جمعتني بها ، ظهرت لك حقيقة ما أقول واضحة ،
وسترى كيف ترتبى على معانقة مقبلة متشبثة بعنقي وذراعي . أنى على ثقة من ذلك
ولذلك ترانى لا أتردد لحظة فى قبول هذا الشرط
فقال القرصان — :

هذا حسن ، فاتبعنى لتراها إذن!

وثمة أدخله القرصان فى حجرة ثانية ونادى السيدة فحضرت كالكوكب المؤتلق
من الحجرة المجاورة ، وأشرق جمالها فملاً الحجرة نوراً وبهجة . ثم حيت زوجها
تحية فاترة ، كأنها لم تعرفه ولا رأتة من قبل ، وكأنه لا يستحق أن تخاطبه بكلمة واحدة!
ولا تسلم عما أصاب زوجها القاضى من الدهشة والحيرة من هذا البرود العجيب
الذى قابلته به ، وما كان يدور بخلد لحظة واحدة أن يصدر مثله من مثلها —
على أنه لم يلبث أن تلمس لنفسه بعض العزاء فقال — : « لعل الآلام والأحزان
التي لازمتنى منذ اختطفك منى إلى اليوم قد غيرت شكلى تغييراً تاماً ، فلم تعد تعرفنى ،
وبعد أن مر بخاطره هذا الهاجس . التفت إليها قائلاً — :

« آه يا صاحبتى العزيزة ! »

« كم كلفتنى تلك النزهة التي أعددتها لك لادخل بها السرور على قلبك حين تتمتعين
بالصيد فى البحر ! »

كم كلفتنى تلك النزهة من ثمن فادح من الحزن والألم منذ تلك اللحظة المروعة التي
فقدتك فيها . آه ! كم كنت قاسية ممعنة فى القسوة ، إذ ترينى بعد هذا الغياب الطويل
فتصمتين ولا تنبسين بحرف واحد ، كأنك ما عرفتني فى حياتك قط ؟ ، ألا ترجين
بزواجك « ريشارد » الذى جاء اليك ليرجعك معه إلى « يزا » بعد أن يدفع عنك الفدية
إلى ذلك الرجل الأمين ، الذى أبت عليه طيبة نفسه إلا أن يترك تقديرها كما أشاء ! »

نظرت إليه « بارتلومي » وعلى شفيتها ابتسامة خفيفة ، ثم قالت له — :

« أيعنني حضرة السيد المحترم بهذا الكلام ؟ أنعم النظر في جيداً ، فلا شك أنك واهم في حسابك ، ولعلك قد خلطت بيني وبين زوجك ، فاني لا أذكر أنني رأيتك مرة واحدة قبل الآن !

فكرمليا يا عزيزي فيما تقول . ثبت من رؤيتي جيداً فأنت — إن فعلت — تحققت أنني لست صاحبك التي تعنيها !
معذرة ياسيدي إذا لم أنعم النظر فيك حين دخولي . فقد كانت النظرة الأولى كافية للثبت من أنك لست زوجي ! »

حار القاضي المسكين أمام هذا الإنكار الجريء ، وأطرق اطراقة قصيرة ، ثم عن له أنها لا تكلم هذا الكلام إلا أنها في حضرة « باجامين » ، القرصان ، اتقاء شره فطلب اليه راجياً أن يسمح له بالبقاء معها في حجرة خاصة ، لينال من الحرية في القول قسطاً أوفر .

وما كادا يدخلان الغرفة التالية حتى جلسا ، وبدأ الشيخ الطيب القلب يخاطب زوجه ، وعينه شاخصتان إلى وجهها ، وهي دائمة النظر إلى الأرض — :
« هيه ياملكة قلبي ، يا حبيبتي ، يا زوجي المخلصة ، يا أملي الحلو ، ألا تزالين جاهلة صاحبك « ريشارد » الذي يفديك بنفسه . خبريني كيف نسييتي بهذه السرعة ؟ هل وصل بي تغير الملاح إلى حد أن تجهليني ؟

ثبتت من رؤيتي مستثبة ، فاني على ثقة من أنك تعرفيني بأدنى نظر .

لم تكذ السيدة تسمع قوله حتي أغرقت في الضحك ، ولم تدع له فرصة لمواصلة حديثه ، بل قاطعته قائلة — :

« إنك لتكون بالغاً من السذاجة أقصى حدودها إن حسبت أن ذاكرتي قد وصل بها الضعف إلى حد أن أنساك ، فلا أعرف من أول وهلة أنك زوجي « ريشارد دي كوينتسيكا » . على أنني إذا أغضيت عنك وتجاهلتك فلست حقيقاً أن تشكروني ذلك ، وأنت الذي تجاهلني طوال تلك المدة التي قضيتها معك !

ولو أنك تحبني حقاً — كما تحاول أن تقنعني بذلك — أولو أنك تؤثرني كما تزعم — إذن لعاملتني ،
المعاملة الجديرة بزواج يحب زوجه — وهي فتية في ميعة الشباب وضرته ، تحب أن
تال حظها من متاع الحياة ولذاتها .

أفكنت تجهل إذن أن فتاتك في حاجة الى أمر يمنعها أن تطلبه منك حياؤها
الطبيعي المركب في بنات جنسها جميعا ؟

أنسيت تلك الطريقة المضحكة التي طالما لجأت إليها لتخلص بها دائماً من حاجاتي
التي لم تقضها ؟ فإذا كنت تفضل تعاليم القانون ونصوصه — على المرأة ، فقد كنت
خليقاً أن لا تقدم على الزواج !

ولكن ، كيف أقول ؟

اني ما اعتبرتك قاضياً قط ، بل « خالق احتفالات ومواسم وأعياد » فقد ظهرت
لي براعتك وخبرتك الواسعة بأيام الصوم ومواقيت العبادة !

ألا فلتعلم ياسيدي أن دسا كرك وعمالك لو ظفروا منك بمقدار ما تجود به على من
أيام الراحة ، أو لو أنك هجرت دسكرك كما هجرت حديقتي الصغيرة دون أن تعيدها
بالزرع ، لما استطعت أن تظفر في نهاية العام بحبة واحدة من القمح !

ولكن الله أكرم من أن يترك أرضي بلا حرث ، لهذا شاءت ارادته — سبحانه —
أن يتيح لي فرصة الوقوع بين يدي السيد « باجامين » الذي لا يعرف شيئاً مما تعرفه
من الأعياد والمواسم ولا يعنيه من أمرها شيء . أما أنت فقد رأيتك تواظب على
الاحتفاء بها والبطالة لاجلها بحماسة وغيره لم أجدهما في اتقى الاتقياء والزهاد ؛ وتأتي
إلا أن تنسك فيها مفضلاً حقوقها على حقوق

أما هذا فليس يعرف جمعة ولا سبأ ولا عشية عيد ولا شيئاً من أصوام الفصول
الأربعة ولا أي عيد من أعيادك التي لا تنتهي ، بل هو دائب ليل نهار يحرق أرضي
بلامل غير مقصر ولا وان ، وقد قضينا في هذه الليلة قسطاً من القمرين المحبوب . إذن
فلا تنقم مني ان تراني راغبة في الإقامة طول حياتي مع هذا العامل المجد ! فان لي ذوقاً
في الحياة وقد صممت على أن أكون عاملة مجدة مادمت شابة ، مرجئة أمر الأعياد

والمواسم الى زمن الشيخوخة ! ألا إن خير ما تفعله الآن هو أن تعود ياسيدى
أدراجك على جناح السرعة !

فلترحل بلا وناء ، ولنصحبك سلامة الله في عودتك فانك لن تحتاجنى في الاحتفال
بأعيادك ومواسمك التي تبتهج بها، كما أننى لن أحتاجك في أيام العمل التي انعم بها كذلك!

صعقت هذه الصراحة الجريئة قلب « ريشارد » المسكين ، ولقد حدثته
نفسه — مائة مرة أن يقاطع كلامها فمنعه عن ذلك أنه في منزل أجنبي ، في منزل قرصان.
فراى من الحتم عليه أن يعتصم بالصبر ، فلما انتهت من خطبتها قال لها بلهجة المحب
العانى — :

« ماذا تقولين يا زوجى المحبوبة ، وكيف تحكمين ؟

خبرينى كيف نطقت بهذا الكلام الجرىء ؟

هل نسيت شرفك وشرف أسرتك ؟

أفى حدود الامكان أنك تفضلين الإقامة مع هذا الرجل وتكونين له خلية؟

وتعيشين طول عمرك فى أرجاس الخطيئة ، مؤثرة ذلك على أن تعودى إلى « بيز »

حيث تعيشين مع زوجك امرأة شريفة ؟

فكرى أنت أن « باجامين » اذا زهد فيك لم يتردد فى طردك من بيته ، أما أنا

ف سأظل وقيامك لا أتحوّل عن حبك ما حيت متى رجعت معى الى « بيز »

فاذا حان موتى فستظلين ربة البيت وسيدة من فيه ! أفيجدر بك أن تنسيك اذن

رغبة جامحة ولذة شائنة مجرمة شرفك وزوجك الذى يحبك أشد الحب ؟

كلا يا حبيبة قلبى، يجب أن تكفى عن ذلك العزم الشائن وأن لا تترددى لحظة واحدة

فى العودة معى ، وأنى لأعدك — بعد أن عرفت رأيك الآن — أن أعمل على اشباع

نهمتك وفق ماتشتين . سأهجر « تقويمى السنوى » الى الأبد مادام فى هجرة مرضاتك

فهل تقبلين ضراعتى اليك ياربة الحسن ، وهل تقلعين عن عزمك وتذهبين مع

زوجك الذى لم ينسك منذ اللحظة التي اختطفوك فيها منه فأصبح نهب الاحزان

والآلام والضجر !

فأجابته الزوج — :

« آلا — وبعد فوات الوقت — جئت تحدثني عن الشرف ، وقد كان على أبوي أن يعنيا بأمره من قبل ، حينما شرعا في تزويجي منك دون أن يستشيراني في ذلك ؟ فإذا كانا لم يعنيا بأمرى حينذاك فلست أعنى بأمرهما الآن !

أما أنت فهدى روعك ولا تشغل بالك بأمرى ولا بأمر أهلى، على أنى مضطرة الى مصارحتك بالحقيقة كاملة :

اعلم أنى أشعر الآن كأننى زوج القرصان الشرعية، وقد كنت أشعر وأنا معك فى « يزا » شعورا صادقا أنى لست لك إلا « خلية »، أو أنى امرأة لم تضعها فى بيتك إلا للزينة ، كنت أشعر أنك تحتقرنى وتفعم قلبى بالآلام بلا شفقة باعراضك عنى .

أما « باجامين » فهو رجل آخر ، هولى الزوج الحق ، إنه ليضمنى طول الليل بين ذراعيه ضما شديدا ويلاعبنى بألف طريقة، فاحكم بنفسك أىمكن أن أندم بعد على فراق مثلك وتقول —: « إنك سبذل جهدك فى تلبية رغباتى، فما أكثر شوقى الى تعرف ذلك السر الذى اهديت اليه فأصبحت قادرا على الوفاء بهذا الوعد؟ هل أحوالك المصادفات

الحارقة — بعد أن غبت عن عينك — من شيخ فان الى جبار قى :

اذهب لطيتك واعمل بما أقول لك ، ولا تفكر إلا فى الأيام القليلة الباقية لك فى هذا العالم ، حتى يواريك القبر فيريحك من ضعفك واصفرارك وهزالك !

بقى لى أن أقول لك — مطمئنة الى تقرير ما أقول — : إن « باجامين » إذا طردنى فلن يكون بيتك مأوى الذى اتطلع للعودة إليه ، فان من العبث أن يجدفك الفاحص — بعد أن تعصر — قطرة واحدة من ماء الحياة تجرى فى جسمك كله — كما أثبتت لى التجربة التى اتاحت لى فرصة بممارستها شقاوتى وتعسى ، إذن ، فاطرد من ذهنك كل فكرة من هذا النوع ، وأيقن أنى سأبحث عن ضالتي فى كل مكان إلا مكانك، على أنى لا أخشى أن ينصرف عنى قلب « باجامين » فأنى عارفة بعواطفه وحقيقه شعوره نحوى . وأنى لا كررك القول مرة أخرى أن فراقى قد بت فى أمره : وأنى جديرة أن أعيش هنا . حيث لا نعرف للاعياد والمواسم وأيام الصوم معنى .

فارحل إذن ولا تضع من وقتك أكثر مما أضعت ، وإلا فاني أخرج مستعدياً عليك
القرصان ؛ قائلة له إنك تريد أن تقسرنى على الذهاب معك !!! ،

ولما رأى السيد ريشارد « ما لحقه من إساءة » بارتلومي « أدرك خطأه الذى وقع فيه
إذ تزوج من فتاة صغيرة لا يتناسب سنهما مطلقاً مع سنه ، وتفرق بينهما هاوية سحيقة هائلة
نخرج من الحجرة خجلاً مستخزياً ، يفعم اليأس قلبه
ولما شيعه « باجامين » التفت صاحبنا متمماً بكلمات تدل على أنه قد وعى هذا الدرس
القاسى وأدرك شناعة الخطأ الذى وقع فيه .

وهكذا خرج « ريشارد » الطيب القلب ، بعد أن رأى فشل خطته وانتهزاه في
التأثير على نفس زوجته ، ولم كان يود أنه لم يضع في هذا البيت قدماً .

قصد إلى « ميز » مسرعاً بلا ونام ، وقلبه مملوء باليأس والحسرة لما منى به من الفشل
في سفرته ، ولم يلبث أن أنهك جسمه الحزن والألم اللذان سببتهما له خيانة زوجته !!!
أما مواطنوه فقد كانوا أبعد الناس عن الرثاء لما أصابه فاتخذوا من السخرية وسيلة
إلى العبث به والضحك عليه ، فكانوا يشيعونه — في حينما ذهب — بقولهم — :

« الغراخيث » « السيد القاضى لا يريد الآن اعياداً »

وقد زادته هذه السخرية آلاماً على آلامه فلم يعيش إلا أياماً قليلة انتهت بموته !

ولم يعلم صاحبنا « باجامين » بموت القاضى ، حتى تزوج من تلك السيدة التى كان
يقدر لها عطفها وإخلاصها ، ولم يغير عقد الزواج الشرعى من طريقة عيشهما شيئاً . فقد
واصل العمل في تعهد الحديقة الصغيرة وحرث أرضها بكل ما أوتيا من قوة ، وظلا
عائشين معاً طول عمرهما ، لا يعرفان شيئاً من أيام الصيام والاعتياد ولياليها !!!

تمت

أبو شادي شاعرا

-١-

قبل اليوم وقفنا من أبي شادي موقفا تاريخيا موضوعيا حين عرضنا الديوان المشهور « الشفق الباكي »، أوحين عرض هو لاذاعة هذا الديوان ونشره في الجمهور، واطننا استطعنا هناك أن نظهر الجمهور على شيء من العوامل التي لا بست حياته وطبعت شعره طابعه الخاص سواء في الموضوعات أو الأساليب أو النزعة التجديدية القوية... ولكن يظهر أن تلك الوقفة لم تقنعني كما لم تقنع كثيرا من قرائه المعجبين به والذين يحبون استظهار الفكر الرئيسية التي تسيطر على نفس هذا الشاعر وتسود شعره... فكان لابد من الإلمام به المامة—وان تكن عجي—فلقد يكون فيها بيان موقفه في هذه النهضة الحديثة. نهضة الأدب العربي عامة والشعر خاصة، ولا أتنبأ بنتيجة هذا البحث وما قد يكون فيه من الخير أو الشر للشاعر أو الشعر نفسه، فتلك مسألة لأحب التفرد بالحكم فيها وبحسبي أن أحاول شرح ما أراه، والناس أحرار فيما يرون ماداموا معتمدين على دراسات ووبراهين. <http://Archivebeta.Sakhril.com>

مسألان أحب أن أقدم بهما هذا البحث أما أحدهما فميزة الشعر من ناحيته الفنية وأما الثانية فعلاقة الشعر بعصره وبروح هذا العصر من حيث الثقافة والنزعة العالمية حقا إن النظرية الانجليزية هي أن الأدب نقد الحياة ومعرفة الإنسان نفسه وما حوله، وسواء أكانت هذه النظرية من مستحدثات هذا العصر أم هي بعينها نظرية القدماء من فلاسفة اليونان الذين يقولون « اعرف نفسك قبل كل شيء ».. فأنها من غير شك تفيدنا في هاتين المسألتين، إذ يقولون أيضا إن مهمة الشاعر—مثلا—ليست فقط فهم المعاني والاحاطة بموضوع مسأله وفقها، وإنما المهمة العظمى هي السبيل التي يتخذها لأداء رسالته، ومعنى هذا—بالتعبير الاصطلاحي—أن مهمة الشاعر هي في فهمه وما يسدله على الحقائق والموضوعات من دقة التصور وحسن الخيال والتصرف في الحقائق بما يجعلها سائغة جميلة تمتاز في الشعر عنها في النثر. وهنا نقول لا بأس على الشعر أن يكون مستقر الحقائق مهما تكن، ولكن من الناحية الفنية فقط، حتى يكسبها الشعر جمالا

يزيل جفاءها ويتحامي براهينها ومنطقها الرسمي لتسود حلوة حارة صادقة. وهنا تسقط أول شبهة لأولئك الذين يعيرون على أبي شادي تناوله المسائل العلمية حين يشعر متأثراً بنفسه أو بدراسات بعض الأدباء الغربيين ، ولو أن أبا شادي كان عالماً فقط ينظم لنا المسائل العلمية الخالصة لكنا أسبق الناس إلى الثورة في وجهه ورفض شعره ، أما وهو يشعر في ضوء العلم ويتخذ من ثقافته العلمية مصفاة للشعر من السخافات وملهمة لكثير من التصورات والفكر فليس في ذلك من عار ولا عاب ... ولست أغلو ، بل أقول أن علم أبي شادي قد يطغى على عاطفته . وقد يكون ذلك لسرعة اتجاها أولاً نحن متأثرون بنزعات شعرية خاصة تجعل مثل هذا الشعر في بعض الأحيان غريباً عنا أو سابقاً لأوانه ، وسأعرض لذلك مرة ثانية في هذا المقال

وأنت بعد هذا تستطيع أن تجد في شعر أبي شادي وغيره صوراً شتى لقيمة هذا هذا الفن الشعري في تحميل الحقائق والتأثير في النفوس واجتذابها مصداقاً لرأي أنا تول فرانس الذي يرى أن الفنون تسرع ، وعليها أن تجذبنا إليها بما فيها من سحر البلاغة وقوة الأداء — خبرني ما الذي راعك في قول ابن الجهم لما صلب :

إن يتبدل فالبدر لا يزرى به أن كان ليلة تممة مبدولا
معا به أن يز عنه ثوبه فالسيف أهول ما يرى مصقولا

هل تجد في هذا الشعر إذا صفيته أكثر من محاولته رد الشبهة في عريه وابتداله بأسلوب لو قسناه بمقياس الحقيقة الخالصة لسقط وكان صفراً ، فأين حاله من السيف المنصبت بل من البدر المكتمل ؟ .. ولكن انظر كيف حاول الرجل اقناع عواطفنا — وأخشى أن أقول وفكرنا — بأن ما حدث له إنما هو أمر عادي بل جميل مقبول ينال البدر فيكون جليلاً والسيف فيكون مهيباً مخوفاً

واقعد ذكرت لك هذا المثل لتعرف قيمة الفن في الأداء ومقدار صلته بالحقائق العلمية وغيرها ، ولو كان الديوان أمامي الآن لأظهرتك على شيء كثير منه

وهناك مسألة أخرى تتصل بالنقطة الفنية اتصالاً وثيقاً هي أسلوب هذا الشاعر ، أما أنا فكما ذكرت ذلك — في غير هذا الموضع — أرى أن الدكتور أبا شادي قادر على

الجزالة وقوة الأسلوب، وشعره شاهد بذلك، ولكنه يحاول أن يكون مصرياً ويتعصب للبهاء زهير ويرى في أسلوبه اللغة المصرية المناسبة غير مبال رأى المفتونين بالموسيقى اللفظية الرنانة المقلدة، ويعنى جل العناية بالثقافة الموضوعية والمعنوية — والحق — سواء أَرْضَى أم غَضِبَ — أن في أسلوب الشاعر تفاوتاً واضحاً، فبينما تراه جزلاً — في سلاسة — إذ تراه سهلاً مهلهلاً. وأنت واجد مثل الحال الأولى في مثل رثاء صروف وثروت والبيئة. وللحالة الأخيرة أمثلة في ديوانه. ولا شك أن المتأثرين بالشعر القديم لا يرضون إلا بالشعر فخماً رناناً غير معنيين بروح العصر وما استلزم من استحالة لفظية. أذكر ذلك لأنى رأيت جماعة من المتأدبين يذهبون في هذا الشاعر مذهبين متناقضين، فمنكر عليه، متطرف ومتعصب له غال، ونرجوا ألا نكون من أحد الطرفين. ولا أذكر مذاهب اللفظية في الشعر من حيث الوزن فذلك قد وفته في غير هذا المكان.

- ٢ -

المسألة الثانية وهى هامة قوية. صلة الشاعر ونوع رسالته ومقدار الصلة بينه وبين ما تتطلب الحياة من جهد شعري.. فالإنسانية وخيرها، والتعاون العالمى، والتفاؤل التام، أظنها تلخص رسالة أبى شادى تلخيصاً مقبولاً.. ولكن أين تلك من مهمة الشاعر. وهل من وظيفة الشاعر أن يكون، رجل إصلاح وداعية خير مع أنه رجل فن يبعث في النفوس إعجاباً بأدائه مهما يكن لونه؟

وهذه المسألة تتحوجنا الى استعراض التاريخ لفكرة الشاعرية فقد كان الشعر قديماً مظهراً للفردية يظنه صاحبه — والناس معه — نوعاً من الفكاهة والتندر لا ييغنون من الشاعر زعامة أو نبوة وإصلاحاً، فعاش الشعر بسيطاً سقيماً يعبر عن عاطفة صاحبه فقط وهذا ما يميل إليه بعض المتأدبين اليوم الذين ينكرون علينا صلة الشعر بعصره الاجتماعى والسياسى والعقلى... ولكن الشعر نفسه أخذ بتوالى الزمن وتنبه الشعراء يسيطر على الناحية المعنوية للحياة الدنيا كما تسيطر الكهرباء مثلاً على مادتها، وصار بعد حين صورة للأمم والشعوب في فترات تاريخية تطول وتقصّر مع جهد الشاعر واحاطته، وآخر الأمر كان الشعر في الدنيا روحها حين كان العلم مادتها وجسمها. فانظر إذن قيمة الشعر والأدب وتعاونهما — مع العلم والمال — في بناء الحياة وتقويمها؟ وكان عهد.

الناس بالشاعر مادحا فاذا به اليوم ممدود حلاله ملك وزعيم، ولأنه صاحب دعوة
ورسالة، ولأنه مرب ومهذب وعليه قسط كبير في تكوين العقل البشرى وتوجيهه الى
صلاحه .. فهل بعد هذا تنكر على أبى شادى أن يكون صاحب فكرة الخير والتفاؤل
والتعاون العالمى والميل الى سيادة الانسانية؟! نعم ان الشاعر كالفنان له أن يعرض
لمظاهر الشر أو الرذيلة ولكن كيف ذلك؟ أيغرى بها الناس ويحملها بفنه ليردى في
حماتها الاغرار أو الشبان فتكون العاقبة وخيمة خاسرة؟ أم يحللها ويبين عواقبها وما
ينبت فيها من شرور وضلال فيكون ذلك على الاقل انصافا للحق بله تبصير الناس
وصرفهم الى الطهر والكمال .. لتكن الغاية العالمية للكون مجهولة أو معروفة ولتكن
الطبيعة صريحة أو مغرية تسوقنا لخدمة غايتها و تخلق الوسائل لحمل الناس على التثبت
بمبادئها والنزول على ارادتها المعتدلة .. أليس الأجدر بالناهين كما يرى رينان أن يساعدوا
الطبيعة فى مهمتها الخيرة وان يعرضوا على الناس صورا وضاءة للحياة مادام التشاؤم
لا يجدى غير البؤس والتبرم وسوء المصير؟!

أما أنا فلن أقنع من الشاعر أن يقف عند حد التعبير دون أن يوحى الينا برسالة
تؤثر فى الحياة الدنيا والاكان الشعر والأدب مهزلة تضحك العلماء، ولا أبغى من الشاعر
أن يعرض للحكم والخطابة والوعظ وإنما أرجو منه أن يبعث بروحه ومبدئه فى
ثنايا قوله ممثلا وواصفا وقاصا وموريا .. ومثله مثل المصور الماهر أو الرسام لاتعنيه
الالوان والالوان إلا بمقدار ما يبنى من شرح عاطفة أو تمثيل مشهد أو تحليل نفسيات،
ولا أدري إذا كنت هنا أشير لشعره التصويرى وكيف فتح بابه ووفق فيه؟

- ٣ -

لفكرة الانسانية والتعاون العالمى والتفاؤل مظاهر شتى فى خلق هذا الشاعر وفى
شعره . وفى موقفه من سائر الشعراء . بل وفى ناحية أخرى لا أخجل من ذكرها هى
ناحيته الغرامية وليس سرا ذكر ذلك فان المة رخين كثيرا ما يتلفون لاستكناه مثل
هذه النواحي يستعينون بها على تفسير كثير من الآثار الفنية والأدبية لرجال الفنون
والاداب

اذكر أن أبى شادى كتب كثيراً من المقالات والقصائد حول التعاون الأدبى العالمى

في مناسبات شتى، وأوقن أن روح شعره تنطق في صراحة قوية - بهذه الفكرة وكثيرا ما تمنى تكوين جماعات أدبية من الشعراء والكتاب والمتأديين لهم ناد أو أدبية خاصة فيها يتعارفون تعارفا عمليا ويتعاونون على نهضة أدبية شعرية يقومون بها روح هذه اللغة ويصلونها باللاغات الحية ويسيطرون بهذا الأدب العربي على الحياة المعنوية بل والمادية أيضاً . . أذكر ذلك والعهد قريب برابطة الأدب الجديد التي بدأها في الاسكندرية ويحييها في القاهرة وينفق من الجهد والمال كثيراً ليعث فيها حياة وقوة

يحب أبو شادي الحياة، ويحبها بسامة، بل لا يود أن يفهمها الاضاحكة، هازئاً في سبيل ذلك بعقبات مالية وأزمات مصلحية، ويمقت أولئك الذين يصرفون أنفسهم إلى الناحية السوداء وينالون الكون بالنقمة والسخط على ما فيه مما لا يوافق أمر جنتهم . . حقاً إن الدنيا لا تخلو من شر، بل ربما كان الشر ضرورياً لصالحها وحركتها: وإذا كانت غاية الشر إنما هي صلاح الحياة فلم لا يكون وسيلة لازمة غايتها ذلك المثل الأعلى الذي تسير الدنيا إلى تحقيقه؟ والنهاية هي الخير على كل حال، وهب الشر أصيلاً أو غاية. وهب تلك الغاية لا بد لها من دعاة . فهل من الحتم أن يكون شاعرنا داعية سخط لا تقع عينه إلا على مصارع الفضيلة وظلام الكون؟

وهل من الحق أن ندعى على أبي شادي التقليد في ذلك وما رأينا شاذاً عنه مرة؟ وهل نشك في هذه الرسالة ونحن نراه في شعره وحديثه أيضاً يعرف لكل شاعر ميزته وجماله في حين التنافر والتباغض مستحكم الحلقات بين جماعة الشعراء . نراه كالنحلة تتفجع بكل لذية من كل زهرة وترى السكال مودعا في جهات الكون وفي عقول الناس، واذن نخير للفرد أن يكون عادلاً معتدلاً يتلقى الخير والجمال أثنى عشر به، لا يعميه الوهم عن الحق، ولا يفتنه الشغف فيتعامى عن الهنات : . وأحسبك ترى في شعره هذه الصفة واضحة جليلة في غير قصيدة .

والناحية الغرامية؟ هذه موضع العجب، وربما كانت موضع الخلاف بيننا أيضاً، ولا أقول هنا الآن الدكتور يري في المرأة ملهمة للشعر ومثالاً لناحية فنية يتخذها نموذجاً (Model) ويستوحىها أزوع الخيال وأسمى التصور . . وينفر كثيراً من الناحية الغريزية

أو الحيوانية فيذهب إلى أنها متلفة لحرارة الشعر مذهب لروعة الفن متدلية به إلى أخط الدرجات .. لا بأس في ذلك بل ربما كان هذا هو الحق .

وغرام شاعرنا حق لاصناعة فيه يقوم على حرقه ألت به منذ الصبا وكان لها في حياته آثار سيئة — أوحسنة كما تشاء — ولكن نتائجها للشعر كانت حسنة من غير شك ، أترك تفصيل ذلك لغير هذه الفرصة ، وإنما أقرر هنا أن أبا شادى فى هذه اللحظة الزمانية يشرف على (مثاله) أو يشرف عليه مثاله .. ولا يزال مع هذا يقول الغزل الصادق .. فكيف هنا؟ ولأوضح ذلك — أرى أن الغزل الحار يكون مع الحرمان فينتج الشكوى الصادقة وحرقة الجوى التى تكاد تأكل الألفاظ أطلا . فإذا كان لقاء ووصل فليس بعد هذا إلا الشعر القصصى الذى ينم عن اطمئنان وسرور ووصف اللقاء واللهو .. ويدعى أبو شادى أنه فى هذه اللحظة يقول غزلا حارا — وهو محق فى ذلك — مع أنه على كسب من (فينوسه) وهنا نفترق فأزعم أنا أنه فى هذا الاقتراب أبعد ما يكون بل أشد حرمانا واحتراقا لأنه متأثر كما قلت لك بالوقوف عند درجة الفن فحسب لا يحب ان يتجاوز ذلك إلى ما وراءه بما يمتقته ، ولأن غرامه مشوب بمصارع ومأسيات سيكشف عنها النار ينخ فى الوقت المناسب ، فلنترك صاحبنا هذا يحترق ما يشاء ويشدو ما أراد ولننظر فى غير ذلك .



أين أبو شادى من هذا العصر؟ الحكم فى ذلك يتطلب منا تفهم العصر نفسه وما قد يمتاز به أدبه وشعره! فلقد بدأت الحياة الأدبية الحديثة فى هذه البلاد بأحياء القديم وكان البارودى مثال هذه الخطوة الأولى فى الشعر ، فشعره صورة من الأقدمين المعروفين . وهذه الخطوة لازمة إذ لا يمكن بناء الجديد على غير هذا الأساس ، ولقد حاول الشعر الاتصال بالحياة الحديثة فى الشرق ، بل والتأثر بالغرب ، فتيسر لاسماعيل صبرى مع مدرسته أن يفيض على آثاره روحا رفيقه فرنسية فيها خيال خصب جميل رائع ولكن الأدب عامة قد أتجه بعد الحرب العالمية الأخيرة إلى ناحية فلسفية علمية ولم يعد الناس يقنعون من الأدب بالآفاكية يتدربها دون فهمها أو تحليلها ، كذلك الحواعلى المنشئين أن يكونوا صورة صادقة لعصورهم فنشأت بذلك طبقة فى مصر مالت بالشعر إلى تلك الناحية العلمية

الفلسفة ونشرت كثيرا من أنواع المديح والآطراء التي بليت بانقضاء أيامها، فهل يجوز أن يكون الشعر علما وفلسفة؟

أما ان الشعر يصبح منظومات علمية أو فلسفية تعرض لتقدير الحقائق الخالصة والنظريات المجردة فشرع انتهى الناس من انكاره وقصروه على نظم المتون التي تسهل على الطلاب حفظ المسائل واستظهارها، على أن تحصيل العلوم بهذا الأسلوب صار ثقيلًا ممقوتًا.

ولكن الشعر الذي يعيش في ضوء العلم والفلسفة هو الشعر القويم البريء من الخسف فترى الفن الشعري إذا مسته الفلسفة بروحها يزداد روعة وخواودا، وقد ذكر الناس لذلك قصيدة المعري المشهورة في الرثاء... وشاعرنا هذا له في ذلك مواقف معروفة.

فأبو شادي مثقف ثقافة علمية فلسفية لا أظن أنها توافرت لكثير غيره ولا سيما من الشعراء، وثقافته هذه تظهر في نثره إلى درجة رائعة معجزة، وتتمس شعره مساخفيا أحيانا وأويا في بعض القصائد حتى لتكاد تشعر أن صاحبنا عالم يملئ على الناس (المراسيم) التي لا مرد لها — على حد تعبير صديقنا الأديب العبقري الأستاذ كامل كيلاني... — وهما يتعثر بعض القراء فيرون في ذلك مبالغة في تحميل الشعر ما لا يطيق، أو في سبق الزمن... وأبو شادي يريد أن يجعل للشعر سلطانا على مظاهر الحياة فيستوعبها سواء أكانت علمًا أم فناً أم أدبا — لا يحجم عن ذلك بل قد يغلو، ولا شك أن المنصفين الواقفون إلى درجة تآثر الشعر بالرسالة العالمية التي تشمل فيما انتهى إليه الزمن من التقدم العلمي والفني أو الفلسفي، فتكون تلك عصارات تنتهي إلى روح الشاعر فيبرزها لتجدهور فنا جميلا خالصا يغذي حاج النفوس ويقرأ فيه الناس أرواحهم وما يشعرون.

نتيجة ذلك كله أن أباشادي الآن يقف عند نهاية الطريق التي يحاول الشعر أن يصل إلى غايتها في هذا العصر... ولكن موقفه ليس المثل الأعلى — كما يصفه أنصاره المخلصون، كما أنه ليس مقصرا — كما قد يلاحظ ذلك بعض ناقديه، وإنما موقفه موقف الشاعر العصري الفاتح الذي يبدأ الجهد ويبقى الكمال!

القاهرة

أحمد الشايب

غوتفريد ويلهلم ليبنتز

ولد هذا الفيلسوف في أول يوليو سنة ١٦٤٦ في « لينبرغ » ، أى قبل موت الفيلسوف « ديكارت » بأربع سنوات، ومات أبوه لما كان له من العمر ست سنوات، وكان أستاذ الفلسفة الادبية في جامعة تلك المدينة وكانها ، قال عنه « فونتائل » — إنه لم يظهر في حياته ميلا للعلوم والدرس ولما كان أبوه قد ترك له مكتبة محتوية على القليل من الكتب فانه ابتداء — بعد أن درس اللاتينية واليونانية — يحفظ الشعر ويطالع خطب الخطباء مع درسه التاريخ والفقه والفلسفة والرياضيات واللاهوت. إلا أنه كان يشعر بحاجة للمعاضدة من الغير، فذهب يفتش على الحكماء في بلده كيما يساعدونه على تفهم العلوم وقد اضطر إلى ترك « لينبرغ » لهذا السبب — وفي سنة ١٦٦١ تابع درس منهاج تعليم الجامعة ودرس الفلسفة القديمة على الأستاذ « جاكوب توماسيوس » واطلع على فلسفة أرسطوطاليس وقال عن نفسه — فيما بعد — انى عندما كنت ادرس المبادئ الاولى في العلوم كنت أتساءل: مم تتركب هذه العلوم وكيف تتحكم في العقل والفكر، وكنت لاحظ أنها على شيء من الاهمية، قد قرأت فلسفة القرون الوسطى بتمعن حسبما أمرنى معلمى، وحفظت ما تركز عليه من الآراء الغريبة التى تظهر عويصة فى مبادئ الذاتية من جهة تركيب المعلولات أم من جهة الله . ولكن كنت اشك فيما القن ولا اقبل من الآراء إلا ما يطمئن اليه فكرى ويزيد على هذا بقوله إنه بعد تركه المدرسة الابتدائية اطلع على آراء الفلاسفة الذين عاصروه، ويذكر أنه عندما كان فى الخامسة عشر من عمره كان يتنزه وحده بالقرب من « لينبرغ » فى غابة صغيرة تدعى « روزنتال » ، ، كان يقضى الوقت الطويل فى تأمل عميق لادراك العلة الاولى الجوهرية. وكانت الميكانيكات أول ما استرعى انتباهه . ولهذا ابتداء بدرس الرياضيات العالية وتفهم أسرارها — وقوله هذا يطابق ما ذهب اليه الفيلسوف الفرنسى « أوغست كونت » فى الفلسفة اليقينية من حيث أن المرء ينتبه أولاً إلى الطبيعة من، ناحية رياضية صرفة. فمظهر السرعة وناموس الأثقال والابعاد وماشا كلها تسترعى الاهتمام بدأة، ومنها يتدرج الانسان الى تفهم بقية العلوم ، وفى «ينا» تابع درس منهاج الرياضى « ارهارد فايجل، ولكنه

لم تعمق فيه بل اكتفى بالتحليل الابتدائي وعندما كبر قال عن نفسه: «لو أني كنت «كباسكال» صرفت أيام شباني في «باريس» فلربما كنت وجدت سهولة أكثر في حفظ العلوم - .

في سنة ١٦٧٤ كتب أن «باكون» و«غاسندي» أول من أثرا فيه، فأسلوبهما الاعتيادي الشائع كان يطابق نزعتهم تمام المطابقة. وقال - مع إنني كنت قد اطلعت على آراء «غاليليه» و«ديكارت»، إلا أني لم أكن يومذاك مهندساً فلم أهتم بما ذهبوا إليه - وكان ثبت وجود الفراغ والجواهر الفردة التي نعرفها بداهة اليوم، ولكنها كانت في عصره من أصعب المسائل، وفي سنة ١٦٦٦ أي عندما كان دون العشرين من عمره ألف كتاباً قيماً في الفنون، ورفض أن يكون واعظاً حياً في متابعة درسه العميق مفضلاً الابتعاد عن رجال السياسة والعلم، قال «فونتابل» - عندما أحرز «ليينز» شهادة الدكتوراه في الحقوق وذهب إلى «نيرمبورج» ليواجه العلماء علم أن في تلك المدينة جمهورية من الشبان يشتغلون في الكيمياء يفتشون على حجر الفلاسفة وتدعى بالصليب الوردي نسبة لاسم مؤسسها «Rosenkrantz» سنة ١٦٧٨ فأحب أن يغتنم الفرصة ويصير كيميارياً باكتشافه شيئاً من عالم الغيب، فاشترى كتاباً في الكيمياء وبعد تعب شديد كتب تحريراً منهما إلى رئيس تلك الجمعية يطلب منه أن ينته جيداً إلى البراهين التي يقدمها والتي تدل على سعة معارفه، إلا أن هذا عندما تسلم التحرير أرسل في طلبه، ولما حضر ذهب معه إلى مقابلة وكيل منتخب مقاطعة «منز» وهذا طلب منه أن يذهب إلى «فرنكفورت» فذهب وهناك تعرف إلى العلماء والادباء ومن جعلتهم القس «سبنر» الذي كان قد أسس الفرقة المعروفة بالصلاح الكهنوتي «Piétisme» وحيداً تعاليمها فيما بعد الفياسوف «كانت» ونشر فيها كتاباً في الحقوق أهداه إلى المنتخب، وبحث فيه فلسفة الحقوق وقواعد الحقوق والمراسلات الحقوقية، فلما أطلع المنتخب على هذا الكتاب دعاه إلى مجلسه وكلفه أن يعاون الاستاذ «لاسر» في بحثه التشريعي، وفي سنة ١٦٧٠ عينه وكيلاً في المجلس الأعلى في دائرته

وقد نشر في تلك السنة كتاباً قيماً للمصلح الإيطالي «ماريوس نيزوليوس» الذي عاش في القرن السادس عشر عنوانه - ضد البرابرة - بحث فيه عادات البرابرة ولغتهم، وفي سنة ١٦٧١ ألف كتاباً سياسياً بحث فيه مسألة اتفاقية السلام العام بين الدول على هذه الشروط :

١ - الوحدة الجرمانية

سيبيريا

٢ - اسوج و بولونيا عندهما للاستعمار

أميركا الشمالية

٣ - انكلترا والدانمارك عندهما للاستعمار

أميركا الجنوبية

٤ - اسبانيا عندهما للاستعمار

الهند الشرقية

٥ - هولندا « »

افريقيا التي تقابل مصر

٦ - فرنسا « »

الا انه قد عدل هذه الشروط — بعد أن دخل لويس الرابع عشر اللورين فقال :
اذا كان ملك فرنسا يحتل الاستانة ومصر وكل أجزاء السلطنة العثمانية فيكون
قد قضى — بأمر الله — على الاباحية المنتشرة فيها — ولما جاء الى « باريس » عام ١٦٧٢
قابل لويس الرابع عشر وبين له عظم الفوائد من احتلاله مصر وقدم له كتاباً كان
قد ألفه بهذا الخصوص ظهر فيه أنه كان مطلعاً تمام الاطلاع على مجرى الاحوال في
مصر، يعرف قوى الجيش فيها وماليتها وطرقها الداخلية ومواقع حصونها وعناصر
أهلها بالنسبة إلى المصير التركي، ومن جملة آرائه أن هولندا يهبها في الدرجة الاولى —
أن تكون مواسلاتها مع المهندسين طريق مصر، إلا أن كتابه لم يؤثر التأثير المطلوب،
لأن الحرب كانت قد أعلنت بين فرنسا وهولندا

وقد عرف في « باريس » « أر نولد » أحد اتباع « ديكارت » و « هويجنس »
الرياضي الهولندي الذائع الصيت و « تشيرنهوس » الرياضي الالماني وصديق « سينيوزا »
وفي ذهابه الى « لوندره » تعرف إلى علماء الانجليز الذين عاصروه

عندما أتى إلى « باريس » لم يكن بارعاً في الهندسة ، ولكن احتكاكه بعلمائها جعله
يكشف بعد أربع سنوات أسلوب الحساب الذي اكتشفه بذات الوقت
العلامة « نيوتن » ، ففي سنة ١٦٨٤ نشر كتاباً تحت عنوان — القواعد الجديدة في
الاكثرية والاقلية — بين فيه طريقة الحساب الذي اكتشفه ، وفي سنة ١٦٨٧ نشر
« نيوتن » كتاباً عنوانه — مبادئ الرياضيات للفلسفة العمومية — أوضح فيه نفس
ما أوضحه « لينز » ، قال « فورتانل » إن قوة الفكر المتعادلة هي التي دعت الواحد أن يكشف
ما اكتشفه الآخر بدون أن يكونا على اتفاق في البحث. إذ أن ما أسماه « نيوتن » « Fluxion » دعاه

« ليبنز » ، « Difference » ، وكانت القاعدة التي قال عنها ليبنز انها صغيرة لا نهائية مطابقة إلى ما ذهب اليه « نيوتن » ، لهذاهم مذهب « ليبنز » العالم عدا انكثرا لانها كانت قد اكتفت برجلها الفذ وعالمها الاوحد

ان مسألة ذاتية الشيء لم تكن ذات أهمية إلا سنة ١٦٩٩ حيث بحثها « فوثير » تلميذ « نيوتن » وفي سنة ١٧١١ أثبتها « كاييل » تحت اسم آخر وبشكل جديد ، فحساب التفاضل الذي قال به « نيوتن » والذي يعد كاساس لهذه المسألة كان قد عرضه « ليبنز » في الجمعية الملوكية في لندن ، حيث كانت هذه الجمعية حكما لفحص تعاليم الرياضيين القدماء ، وعما إذا كانت تطابق الحساب الجديد ، وقد تبين لها أن « ليبنز » لم يكن مطلقا على ما ذهب اليه « نيوتن » كما يتضح من مراجعة ملف الأوراق المحفوظ فيها منذ سنة ١٧١٢ ، وليس هذا فقط بل أن أسبقية « ليبنز » في اعلان قاعدة الحساب المختلف لم يشك بها أحد من أعظم الرياضيين مثل « أولر » و « لاجرانج » و « لابلاس » و « بواسون » و « بيور » وغيرهم ، وقد كتب في سنة ١٧١٦ أي قبيل وفاته كتاباً تحت عنوان — تاريخ وأصل الحساب المختلف — قال فيه: ان هذه القاعدة لم تعرف في العالم إلا عند ما خطها بيده على أوراقه الخاصة

والذي يطلع على هذه القاعدة يعرف أن عليها تأسست الاعمال الرياضية العالية التي تظهر متعادلة باستخدام الحروف الهجائية كواسطة وهمية. وقد اكتشف عدا هذه القاعدة قاعدة حساب الجسم المحدودب بشكل أفقي وتظهر هكذا :

١	١	١	١	١	١
١	٢	٣	٤	٥	٦
١	٣	٦	١٠	١٥	٢١
١	٤	١٠	٢٠	٣٥	٥٦
١	٥	١٥	٣٥	٧٠	١٢٦

أي أن كل عدد في الخط يجمع مع ما يقابل الذي بعده في الخط الاسبق ، وعندما ذهب الى انجلترا سنة ١٦٧٣ وشاهد الرياضي « بل » وحدثه عن رأيه في اختلاف الاعداد، عرف منه أن هذا الرأي ليس جديداً لان « مراكثور » كان قد أعلنه منذ مدة

سبقت ذلك التاريخ. فابتدأ بدرس «مركاثور» ولم يكن قد تعرف بعد الى «كولن» و أولند، بورج الذي كان يرأسلانه مع «نيوتن» من حين لآخر ورجع من انكاثرا إلى فرنسا وحضر مجلس العلامة «هويجنس»، ومن ذلك الحين ابتدأ بدرس «ديكارت»، وبقية العلماء الذين مزجوا العلوم بالفلسفة وخرجوا على يئتهم «تقاليدها» ولهذا كتب فيما بعد: «اني احترم «ديكارت» كل الاحترام لان فلسفته تؤثر في الفكر تأثيرا عميقا لا يمحي مدى العمر — وفي ذلك الحين بلغه موت منتخب «منز» ووكيله، فقطعت علاقته بمجلس ادارة المنتخب إلا أن الدوق «جان فريدريك» عينه وكيلا للكتبة العمومية في «هانوفر» فقبل، وقبل أن يذهب الى محل وظيفته. رجع إلى انجلترا ومكث فيها أسبوعا شاهدا في اثنائه «كوني» صديق «نيوتن» وذهب من هناك الى هولندا حيث زار «سينوزا» الفيلسوف الكبير وقال عنه — قد حادثته مرارا عديدة فوجدت فيه شخصية خارقة للعادة، أما من جهة المبادئ التي يدين بها أو من جهة العلوم التي يحيط بها فهو في أكثر آرائه متفق معي — وقد مات «سينوزا» بعد زيارته ببضعة أشهر، أي في ٢١ فبراير سنة ١٦٧٧ وله من العمر ٤٤ عاما.

و بعد أن وصل إلى «هانوفر» كتب عدة كتب في العلوم والتاريخ، منها ما يختص بأصل سلالة أمراء «برنسويك» الذين عطفوا عليه كل العطف وأكرموا مشواه، وفي سنة ١٦٨٦ نشر كتابه الكبير — قواعد اللاهوت — الذي رمي فيه إلى اتحاد الكاثوليك والبروتستانت، وقد أظهر فيه براعة تستحق الاعجاب إذ أنه تكلم عن كل الفرق والاديان وبين ما يجب على المرء أن يعمل تجاه هذه كلها فرتب صلاة خصوصية نشرها وهذه ترجمتها :

أيها الآله الأحد الكائن في كل مكان والذى لا يشارك في ملكه ، أنا مخلوقك البائس التجيء اليك وأؤمن بك ، أحبك أكثر من الكل وأرجو مساعدتي، أشكر على عطايك وأهبك نفسي ؛ سامحنى على خطاياى وأعطينى كما تعطى الآخرين ما تسمح به ارادتك وكما استحق من التجارب ؛ آمين »

فلما اطلع «ارنولد» عليها كتب اليه قائلا — ان هذه الصلاة

لا تفيد شيئاً لأنه لا يوجد فيها إسم المسيح ، فأجابه — : ان الصلاة مذكورة في العهد القديم وفي أخبار الرسل وبقية أجزاء الكتاب المقدس — فلم يقتنع ، أرنولد ، بهذا الجواب ، بل أشاع أنه لينز ، أراد بها تشويش الأفكار لا غير ، وفي هذه الاثناء حدث أن الدوق « جان فريدريك » اعتنق المذهب الكاثوليكي فأثار باعتناقه هذا المذهب جدالاً قوياً بين البروتستانت والكاثوليك فما كان من « لينز » إلا أن انزوى في مكتبته وأخذ يطالع المجادلات الدينية التي ثارت بين « لوثر » و « ايراسيموس » وغيرهما ، وبعد أن عرف أخطاء الجميع كتب كتباً في اللاهوت كانت فاضحة لسخافات الجهتين فزادت نيران الجدل اضطراباً حتى أعلن أن غيبياته ليست سوى رياضيات لا تركز إلا على المعقولات ، وأن الرياضى أسهل عليه كثيراً أن يصير فيلسوفاً من أن يصبح فيلسوفاً رياضياً ، وأن الفلسفة واللاهوت من أصل واحد وقد يتفقان في القصد اذا بحثا بحثاً مدققاً وما مظهر التعاليم السكولاستيكية — القديمة — سوى مظهر ممسوخ من الفلسفة واللاهوت ، فأنه والنفس موجودان ولكن عقول الناس قاصرة عن ادراكهما ادراكاً تاماً ، فالديانة يجب أن تركز على العقل وإلا كانت فاسدة ، وذهب في هذا البحث مذهباً طبع بطابعه فهم لم يرض الكاثوليك ولا البروتستانت ، وإنما أرضى نزعته وعبر عن آرائه بصراحة تامة وقال : ان البروتستانت ينظرون إلى اخطاء الكاثوليك وحدها والكاثوليك إلى اخطاء البروتستانت كذلك ، وأنا أنظر إلى اخطاء الاثنين وصوابهما وأستنتج منها حقيقة لا تقبل الشك وهي — عند ما يصير البروتستانت كالكاثوليك يصبح الكاثوليك بروتستانت ، لأن التحوير لا بد من أن يلحق أحدهما ، وبهذا يسكن النزاع — وقد راسل بهذا الخصوص « بوسيه » في سنة ١٦٨٧ إنما لم يتفق وإياه على رأى من الآراء وبعد موت الدوق « جان فريدريك » جرب اليسوعيون أن يستميلوا إلى مذهبهم متتجة « براندبورج » وكانوا يأملون أن « لينز » يعضدهم في تشتيت البروتستانت من ألمانيا الشمالية ، فلم ينحجوا لأنهم يكن من رأيهم .

وفي السنين الأخيرة التي أمضاها في « هانوفر » — وتبلغ الأربعين — تتبع مجرى الأحوال السياسية في أوروبا ونشر في سنة ١٦٨٤ كتاباً سياسياً قباحاً طعن فيه في لويس الرابع عشر ، ، وفي سنة ١٧٠١ أعلن برلمان انكلترا أنه بعد موت الملكة

حنة - وكانت أرملة - يصبح التاج البريطاني من حقوق منتخبة «هانوفر» «صوفي» أصغر بنات جاك الأول، وفي حين مخالفتها بعض الشرائع الانكليزية يسقط حقها منه ويصير محصوراً في أولادهما وكانت منتخبة «هانوفر» أخت «اليزابت» أميرة بوهيميا المشهورة بتلذذتها على «ديكارت» وصديقة «لينز» ولما كانت ترغب أن يكون أخوها جاك الكاثوليكي ملكاً على الإنكليز أرسلت إلى أختها ترحبها أن يكون «لينز» صديقها الواسطة بينها وبين سياسي إنكليزي، فاهتم «لينز» بالأمر وراسل رجال السياسة من الإنكليز غير أنه لم يفلح فيما ذهب إليه، وكانت ابنة منتخبة «هانوفر» واسمها «صوفي شارلوت» قد تزوجت في سنة ١٦٨٩ منتخبة بواند بورج، فريدريك الثالث الذي صار فيما بعد ملكاً على البروسيين ولقب فريدريك الأول، تعطف كل العطف عليه، لأنها تربت على يده ومالت إلى المبادئ التي يمتنعها، ولما أعلن رأيه في الاختيار منذ الأزل وحرية الإنسان، أرسلت إليه تطلب منه أن يوضح لها بحثه في هاتين النقطتين فأجابها جواباً لم يكن مقنعاً حتى أن ابنها فريدريك الثاني لما كان على فراش الموت قال لأحدى نساء البلاط - لا تبكي علي إذا مت لأنني أريد أن أتحقق بنفسى ما عجز «لينز» عن إظهاره لي من جهة الفضاء واللا نهاية والعلة الأولى واللا شيء.

وكان يأمل أن يؤسس وحدة فكرية جرمانية ترقى اللغة الألمانية وتنشر العلوم المجردة وتساعد على نمو الصناعة والتجارة وانشأ لهذه الفكرة الجمعيات العلمية في أنحاء ألمانيا ومنها جمعية «درسدن» وجمعية «فيينا» إلا أنه عدل عن رأيه هذا أخيراً وقال بضرورة تأليف وحدة فكرية أوروبية تعم الشعوب المسيحية كلها.

ومع أن فلسفته لم تبلغ الشأو الذي بلغته فاسفة نده «نيوتن» فإنها كانت ذات أثر فعال في رقي الفكر الأوروبي في القرن السابع عشر ونستطيع أن نقول إن «لينز» من أولئك الأفراد القلائل الذين تبخل بهم الطبيعة فيظفرون في فترات مختلفة يقبلون فيها نظام العلوم والفلسفة ويقضون على الأوهام السائدة على العقول

بيئتنا

وقالوا: لنا في (مصر) أكرمُ بيئَةٍ
وما عرفوا أنَّ العظيمَ — وإن سَمَا —
وكم من عظيمٍ في شعورٍ ومُهَجَةٍ
يُحَفُّ به الحسادُ من كلِّ جانبٍ
فإن صدَّقوا فالصدقُ في عكسِ ظنِّهم
وقد تخلقُ الأحرانُ إشراً لآلٍ
وكم غارقٍ حولي ببِحْرِ من الآسِ
يُنْ عليه الأدعياءُ نلند لهم
وما دام أهلُ الرأى أنسرى عبادةً
فأى رجاءٍ يُرْتَجى من فتونهم
ألا لا دواءٌ قبلَ تهذيبِ رُوحنا
يضحي بأسمى نَفْسِهِ — وهو مُنْقَذٌ
فبُشُوا إِذْنَ في النَّشْءِ ديناً قِوَاهُ
فيَعْرِفُ كلُّ أنَّ أكرمَ عِزَّةٍ
فإن صحَّ هذا فاذكروا بعدُ أنتمَا
والآءُ نخلونا بحسرةٍ صابِرٍ

إذا ما أعتلى الباني فليست تَعَوُّهُ
فبالرَّغمِ منها أن تُنالَ ، حقوقهُ
يموت بها موتين: جوعاً وحرقةً
ويأتونَ حتى رؤيةَ المجدِ مينةً
فقد تدفعُ الأسقامُ للبرِّ أحيانا
كما حركَ الجلهودُ للفكرِ إنسانا !
وفي الناس من قد عدَّه فيه ساجداً
منه ، فهل لآقى المنيةَ راجحاً ؟ !
لأنهم بالحقِّ ، لا المثلِ العالى
ومن رأيهم بالحقِّ والخلقِ البالى ؟
ولا خيرَ في فنِّ لغيرِ أريبٍ
سواه — لكيَّ يحيا حياةً أديبٍ
محبةً فنِّ في إخاءٍ وفي حُمدٍ
حياةُ الفقى للكلِّ ، والكلُّ للفردِ
نعيشُ بحقٍّ بين أكرمِ بيئَةٍ
على ما نلأفى من صُرُوفِ دنيئَةٍ !

أبو سارى

شريد الواجب

« وقع الفتى » دافيد ليفى ، المتطوع بجمعية الاسعاف شهيدا في ميدان الشرف
عند ما كان يؤدي مهمته الانسانية في انقاذ جريح بالحوامدية فكان باعثا للشاعر
على نظم هذه القصيدة »

ما اعتيد من جمعية الاسعاف أثر البطولة فيه ليس يخافى
أندى وجوه البراهم أعضاؤها هذى صحيفتهم بدون غلاف
يطفؤ ويرسب ماتراه، وفعلهم أبدأ على السطح المشاهد طافى
ياربما شبيت مروءة غيرهم أما مروءتهم فبيع صافى
للغير قد وقفوا النفوس ولا أرى شيئا يحل كهذه الأوقاف
ما سال جرح من نتيجة حادث إلا له منهم بنان شافى
ومصيبة غشت سماوة أهلها باليأس زالت منهم بتلافى
يترسمون خطى المصاب كأنما وقفوا على مأتاه من عراف
وكأنما كانت أمام عيونهم أستاره من جوهر شفاف
لا النار تنهيم ولا أشباهها مما يضم عناصر الاتلاف
هم جنة الدنيا اذا اشتد اللظى والماء فى صحراء ذات جفاف
هم رحمة المولى التى أوحى لها بالعطف فى هذا المحيط الجافى
هذا هو الشرف اللباب وأهله الناهجون مناهج الأشراف
أحيوا بما استنوه انسانية شرقت بطائفة من الأجلاف
الطاعنينا فى صميم فؤادها بالشح آونة وبالأسراف
أو بالمسلذات التى جعلتهم فى حالة أدنى الى الإسفاف
لهم صفاة لا تضن بقطرة وتسيل فى الشهوات بالآلاف

دافيد ! لا تبعد فان بلادنا محرومة من هذه الأصناف
الدر مثلك ان مضى عنا فما نحتاج بعد الدر للأصناف

أيدى الردى الموتور من اسعافكم سدت عليك منافذ الاسعاف
 ما إن أبالى أن يتقابلنى امرؤ لرثاء دافيد بالاستخفاف
 هذا أبر يدا وأطهر سيرة وأحق من ندبته ذات قوافى
 يكفى الإشارة بالكبير وقدروا رمز البطولة يا أولى الانصاف
 عرى الكبير من المروءة واتنى منها الصغير عليه ثوب ضافى

محمد صادق عرنوس

القاهرة



السهم النسائي المصرى

وشهيرات نجومه

لاغنى عن هذا التأليف الأدبى القيم فى مدارس البنات—سواء فى مصر أو فى غيرها من الأقطار العربية—وهو إلى جانب كونه كتاباً مدرسياً فريداً فى بابهِ جدير كذلك بالمطالعة الأدبية العامة لأنه زبدة دراسات كثيرة وخلاصة مؤلفات أدبية شتى.

ثمن العدد ثلاثون مليماً وأجرة البريد نصف قرش، ويطلب فرادى من جميع المكاتب الشهيرة، وبالجملة من (مكتبة الوفد) يباب اللوق بالقاهرة.

والمكتبة ترسل قائمتها لكل من يطلبها مجاناً

الثقافة والساميون

« للعصور مهمتان رئيسيتان : الأولى : تحرير الفكر ، والثانية : العمل على خلق صورة جديدة من الحضارة الشرقية الصحيحة ، تخرج من روح الأمم الشرقية مجتمعة ، فالجمع بين مناحي الثقافة المتناثرة في أنحاء العالم العربي ، ونشر مختلف الآراء والتعبير عن متباين المنازع التي تقوم في عقلية الشعوب الشرقية ، من الأشياء الجوهرية التي تعني بها العصور في أول ما تعني به من الخدمات الأدبية . واليوم نقدم للقراء هذا الفصل الذي أرسل إلينا به أديب مراكشي معروف . وهذه المناسبة تعبط هيئة تحرير العصور بأن تعلن بأنها ترحب بكل الاتجاهات والمنتجات الأدبية التي يتفضل بها الأدباء في أنحاء العالم العربي . »



لا يعزب عنك أن المسائل المشكلة المتداولة بين أبناء جيلنا الحاضر في فلسفة الاجتماع والتاريخ والسياسة تلخص في الكلمتين المشهورتين ، أي الشرق والغرب ، وعندى أن محورها ما تمكن تسميته بالمسألة السامية . ألا ترى أن برجسن (Bergson) وإينشتاين (Einstein) وفرويد (Freud) وكوري (Curie) وهرتز (Hertz) وماركس (Marx) ، وهم ساميو أوربا ، هم الألى نسجوا لهيئة حياتنا حلتها الفضفاضة ، وألقوا بها في زعازع الحرق والقلق ، حاملين ألوية جلائل التصورات للسعادة الانسانية ، نعم إن الأمة السامية لفي دورها العائد نوراً واستيقاظاً ، أنظر الى بيت المقدس فهو نيرها العتيق . وانكفيء إلى الأندلس نيرها الأكبر ، تلك الروضة الغناء ، تلك الغزالة العجماء ، غرناطة العرب ، التي ملؤها الوفاء ، وشعارها الاخلاص ، إذ أرواحهم الكريمة تم عنها حتى أيامنا هذه ، مع نفحات الذكر الخالد ، والمجد العائد فهي خليفة بأن تكون أيضاً مقر الأنبياء !

واليوم فلنضع — نحن الأندلسيين — ما بين شتى القوى الفكرية المأنوسة لدى المتورين ، ، إمبراطوريتنا ، الأندلسية مارحة بين ضرب من التصوف ونوع من

الهزل الرقيق كي تمثل هكذا (السامية) التي تقيم للحياة وزن العظمة والاجلال ،
متدرة بالتقوى ومباينة لمذهب ألوهية الكائنات . فالسامى لا متيامن ولا متشائم ،
بل تائق إلى قضاء ساعاته في الهدوء والطمأنينة ، فهو محب طاهر ، يحب الله تعالى ،
والنوع البشرى بعيداً عن الغيرة الحيوانية .

وهذا الكتاب ، فذلكه موجزة مقدمة لأعمال تأتى متالية ، إنما هو كقانون
تمهيدى لدرس مسألة جديدة ، طريفة تعالج أولاً استخراج أسرار الوثام الكامن
بين روح الأفكار الحالية وروح (السامية) الخالدة ، التي طالما تألفت بنوع
خاص فى الأندلس مع الفيلسوف الاسلامى ابن رشد ، والمفكر الكبير الاسرائيلى
القرطبي موسى بن ميمون (Maimonides) ، وسينكا (Senique) ، وابن حزم ،
وابن العربى ، وأخيراً باخطاء وخفوت مع المفكر الأندلسى كانقاط (Ganivet) (١) .
بافتخاره أنه سليل العرب ، وثانياً تحاول توحيداً أدبياً بين شذبية إيبيريا الجنوبية وأختها
الناشئة السامية الناهضة اليوم من طنجة إلى فلسطين . ومن لبنان الكاثوليكي إلى
مكة الاسلامية .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ولو سمحت لى بتحكيم مخيلتى . لقلت : إن الذى ضم بين دفتي الكتاب : أشبه باصلاح
عود قبل العزف والاتيان بالنغمة المطربة ، أو كشبوب نار القرى بين إخوان فى
أم القرى ، أو مثلاً بجواب من إفريقيا الشجاعة إلى رودريق التقى نعم إن
منهاج الحق لو اوضح حيث استوت الأندلس قائمة بإسان التوسط والموضوطة إزاء
اضطراب العالم ، أعنى انحطاط شعوب أوربا البالية والتهديد المريع الآتى من آسيا
الصفراء . . . يستمد المسلمون والاسرائيليون والكاثوليك الساميون ، ضد
اللا دينية واليهودية ونفاق المجددين العصريين . إذ الروح السامية ، ابنة التوراة هي
المنقذة الفذة للانسانية !

(١) أنجيل كانقاط (Angel Ganivet) كاتب غرناطى مبرز وسياسى حاذق . ولد سنة ١٨٦٧ م . فى
غرناطة وكانت له شخصية عجيبة واهتمام عظيم بأصله وأجداده الاندلسيين حتى أفضى به إلى أفكار جنسيته
الانسانية قائلاً إنه عربى وأن الاندلسيين عرب أكثر منهم أسبان عاش فى نكد دائم ورسائله مشهورة من
هذا القبيل ، نفس حساسة متأثرة عظيمة ، انتحر وهو ابن ثلاثة وعشرين سنة .

الفصل الاول

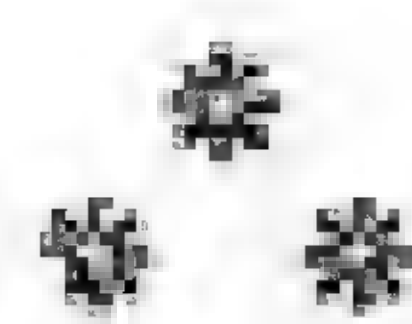
1 — ظهور العالم الجنوبي — ما هو الشرق ؟ ما هو الغرب ؟ سؤالان ذوا خطورة مروعة وغموض كابتسام أبي الهول هائل ! تدور حولها وحدانية وعقلية العالم أجمع : سبنغلر (Spengler) ، كيزرلنغ (Keyserling) ، والس (Wells) ، فريرو (Ferrero) ، ميترلنك (Maeterlink) ، رومان رولان (Romain Rolland) ، سوكولوف (Sokolov) ، جابطنسكى (Jabotinsky) ، ويزمان (Weizman) ، طاغور (Tagore) ، غندى (Ghandi) ، محمد على ، شوكت على ، حبيب اسطيفانو (Habib Estefano) ، ديستوسكى (Doiestowsky) ، رديارد كبلنج (Rudyard Kipling) ، اينشتاين (Einstein) ؛ أوكا كرا - كا كوزو (Okakura-Kakuzo) ، لينين (Lénine) ، موسولينى (Mussolini) ، مصطفى كمال ، زغلول باشا ، رضاخان ، وفي إسبانيا : أرطيكاس كاسيط (Ortega Gasset) ، أسورين (Azorin) ؛ ريكاردو ليون (Ricardo Leon)

كل المبرزين فى شعبة من شعاب الحياة النظرية أو العملية يحسون هذه المسألة العويصة. تتردد فى أنفسهم الحصرة المغمومة. على أن الأمر خدعة سراب ، تتحقق للرأى عند الاقتراب ، إذ لو كنت باليابان لاعتبرت أمريكا لك شرقا والصين غرباً ، ولو سافرت إلى صحراء إفريقيا ليمت شرقا ، أو إلى مستعمرة الكاب فى القارة ذاتها لأمسيت بالغرب . لكن ما شأن روسيا ؟ ما شأن العنصر الأسود ؟ ما شأن الاسرائيليين ؟ .

فالأمركا رأيت اعتبارى كسفسطة حزبى اليمين واليسار أو حكمى الجمهورية والاستبداد . فما يستلفت همنا إلى تلك القارة الآسيوية العظيمة مع عناصرها ذات العدد القديمة . فأوربا إنما هى تابعة لها وملحقة بها ، أما نحن الناظرون اليوم إلى تأثير الأصل فى الفرع وجذب ذاك لهذا فى حين أخذه لجواهره ومزاياه . فآسيا من جهة تختطف رويداً تلك المزايا لتتقوى بها وتتور ، ومن جهة أخرى تتكون روح شرقية فى طبقات الأوربيين تشاهد منها افتخار بعض الألمان يوذيتهم وازدهاء اليابانيين

سروميتهم . . . وهاك جل أقسام سفسطائية السياسية فيما يتعلق بالفريقين :

الشرق : محس بأمورية ينجزها ، الغرب : شاعر بحياة موقوفة على العمل بلا فتور ، الشرق : مطبوع على مذهب المعرفة بالتصور الخيالي ، الغرب : مجبول على مذهب التحقيق الحسى الإيجابى ، الشرق : عتيق ، يقبل سلطة الآباء الأولين ، الغرب : ميكانيكى ، الشرق : خيالى ، الغرب : عملى ، شرق : نوم ، غرب : قلق ، شرق : روح أثوية ، غرب : روح ذكرية ، شرق : على نمط واحد ، ، غرب : تنوع ، الأول : كتلة ، الثانى : سلطة ، واحد : مقاومة ، آخر : تجدد ، وهذا ، اعتبارات أولى النظر أما أقوال العامة فهى كثيرة منها : الشرقى : لباسه واسع مزيل . الغربى : ثيابه لائقة بحيطه بجسمه . الأول : ذولحية كثة وشعر رأسه ضاف . الثانى : مخلوق اللحية قصير شعر الرأس . واحد زوجته طائعة ، آخر قرينته حرة . منية الواحد : شجرة ، عين ماء ، زريبة . بغية الآخر : التنافس الحيوى . الشرق عناصر ملونة ، الغرب عنصر واحد أبيض ! كل هذه أغلاط على أغلاط ، ومنافاة على منافاة للصواب والعقل ! وما كنت لأزعم أنى جئت بحل نهائى لأصعب مسألة من المسائل الراهنة ، أو أنتصر لأحد الفريقين . لكن أروم إبراز ركن ثالث من طى الخفاء قائماً حقيقة وحيّاً فعالاً فى ميدان الحياة الاجتماعية ، ألا وهو عالم الجنوب المتوقد الزموع ولو تكروه إنكار اليهود ليسوع !



إن العنصرين الأسمر والأسود مضغوطان بين إفريقيا الجنوبية والساحل الجنوبي للبحر المتوسط الأبيض ، ومن الأندلس إلى بحر الجنجس ، ويتآلفان من الفرس والساميين والحاميين ، والدب الايبرومى واليونان والسودان . خلق مولد من الكلدان والآشوريين وأوسع منهما . غاية ما رقيت اليه الثقافة الصحراوية فاجتمعوا حول العالم السحرى (سبنغلر) شعوباً جنوبية محضة متسلسلة من الاقليم الأندلسى والمغرب الأقصى إلى إيران ، ومتناسلة من رعايا الخلافة العربية ، تخومها أرخبيل الروم إلى مقدونيا وإيطاليا والأندلس إلى بلنسية وطوليدو ، والأفغان إلى شمال الهندستان ، ولهذا الخلق أيضاً منطقة فى إفريقيا السوداء قابلة للتوسع والنمو ، حيث

المسلمون السودانيون وأدلة السيارات الجزائريون والطائفة السنوسية ، والمصريون والحبشة يتقدمون دائماً بمسيرة الثلاثين مليوناً من المسلمين السود وبمساعدة النخوة الهندية والإسلامية في الأفغان، فدارهم الأبوية ومصدرهم الدولي بمجموع الأراضي المعروفة بالامة المختصة بالبحر المتوسط ، تضم أقطاراً عربية ومستعربة ، أعنى بالاولى العراق ، البحرين ، الحجاز ، نجد ، اليمن ، عسير ، حضرموت ، عدن ، الشرق الأدنى ، الشام بمناطقه السياسية ، مصر ، السودان ، تونس ، ليبيا . وبالثانية : ألبانيا واليونان وجزيرة قبرس . ثم إن هناك عصيات وطنية بدون مقر ثابت ، تتألف من الاسرائيليين والارمن وقوقازي كرج وزرکش .

هذا هو الشرق الأدنى ، مهد كل ثقافة وكل دين ، تطب الإنسانية ، معمورة ذات الآلاف من العنين التي يلحقونها بقارة آسيا خطأ ويعدونها كالرجل الهجين شيئاً وسطاً . كلا إنها لأرض شريفة تطالب بحق زعامتها على رأس الجنوب وإفريقيا الجنوبية (عدا الكاب) وشمال غرب الهند وما البارز الحاد من هذه الكتلة إلا الأندلس التي تنجلي فيها خواص الجنوب ومزايا أهله وهيئة حياتهم ، وقوة مدافعهم للشرقية والغربية .

والآن يجب على القول بأن هذا الترتيب ليس بالصرف المطابق ، إذ الكلمات الثلاث لا تنبئ عن مجموعة شعوب فحسب ، بل هي عبارات عن قوى روحية سائدة في أنحاء العالم مع وجود مناطق المزج والتضاد في شعب أو شعوب ، كما في الدولة الألمانية التي هي بين الشرق والغرب (سياسياً) ، أو كاسبانيا التي هي بين الغرب والجنوب ، أو كالهند التي بين جنوبها الإسلامي وشرقها البرهمي .

2 — خواص الأقسام الثلاثة — وتمحيص الحقيقة أن الشرقيين (١) يتصورون الكون تصوراً أجوف ، أي ذا قوة متجهة إلى « داخل » فيرونه إلهاً . ومبدأهم يتلخص في ضمير الغائب ، ضمير المجردات : هو . يخضعون أمام الكائنات ويضعون العيش شيئاً اعتبارياً لا حقيقة له ، شاكين فيه وفي أنفسهم (الانانية الممقوتة عند البوذ) الطبيعة كعبادة عبادتهم أينما وجدوا فيها . فهناك وطن لهم ، يعمل فيهم الماضي

(١) يعنى المؤلف بالشرق هنا الذي لم تنفذه التعاليم الإسلامية أو الملة الاسرائيلية

والفضاء والغريزة . حقيقته أن لا يقبلوا حقيقة مطلقاً ، فيقولون ، كل شيء إله ،
أو أنا إله .

ولهذا المذهب مجريان يلتقيان وية كاملان :

١ . إخاء مع الكون وتقان في محبته (تأمل أديان وفلسفات الصين واليابان)

٢ . ازدهاء بكل حياة وبكل طبيعة (نرفانا البوذ وعدمية Nihilisme الروس والتار) . يقول الرجل الشرقي :

إن خليقتنا إلهية إذ يجتمع فينا الخالق والمخلوق ، البسيط والمركب ، المبدأ
والنتيجة ، المعنوي والحسي . الحياة خط دائر مسدود سره سرمد البحار وجزرها
دون أن تخرج من مآثرها أو تنقص ، ليست غايةنا عز الحقيقة ولا عن الخير ، إذ ليس
العقل والارادة والوحي الخ . إلا كلمات جوفاء لا طائل تحتها . إن الرجل العارف
بأنه جزء من الاله لا يحتاج إلى حقيقة ، لأنها في نفسه ، وما عليه أن يجد ويكد
في اعمال فكرته . وإمعان نظراته ، ليجلب على نفسه بلائل يستوجب مضضها فيكون
كالباحث عن حقه بظافه ، أو كالجادع مارن أنفه بكفه . . . ويقول :

كل حي ميت وكل موجود مفقود ، كل شيء كالأضغاث يلتف بعضها على بعض ،
أو يتسرب ليتغلغل في مهاوى المبهمات . . . إن الحياة عارض غروري في سلسلة
التكون اللانهائي ، مرحلة من مراحل الاستحالة الحيوية (مذهب التناسخ) نموت
لتنفك مركباتنا وتعود إلى بساط ، فندخل في الله لدى هو الدهر أو البعثرة الكونية .
إن الشرقي لا يعرف حدوده ، تثب نفسه في الفضاء لتفسخ وتندمج في الطبيعة .
فغايته كما رأيت هي الاعتراف بأنه لا توجد حقيقة . وأنه — هو — مجموع مركبات
مستحيلات لا أحد فيها ، يتصور المادة كتجسم نفوذ غريب غير حائل ؛ يصير
التراب نباتاً ، كذلك ، والنبات حيواناً ، والانسان تراباً الخ . . . أنظر رمز التين
الصيني إلى القوى المسببة الولاجة في الأشياء ، بطرق شتى مناسبة لأغراضها ، دون
أن تبرز لنا في أوصافها (اللانهائية) . وهي — أي الحياة — في نظره عارض ألمي
مأسوف على وجوده ، فيدع نفسه تناء لكل تيار المعيشة ، فلا يبدى إرادة ، ولا
يهتم بمعاده .

ثم ينفذ عملياً النظرية الآتية الذكر بتلقين الوسائل الموصلة إلى إفراغ الأدمغة من كل شيء خارجي (نرفانا) وباعتبار نفسه مساوية مثلاً لشجرة أو الكرسي وباعتقاده من جهة أخرى أن العيش ألم والألم يتولد من الطمع ؛ فميت هذا بقتل الأنانية فيه ومطامحها ، ويطرح عنه ملغياً كل ائتلاف معان وكل انفعال من خير وشر ، أي الأمور التي تدافع أو تتجاذب كما في حياة الافراد ، لا مقدس ولا مذنس في نظره ، لا روحى ولا حسى ، بل كل الكون نقي فارغ . « قل إن حياتنا السرمدية لا تتوقف ولا تتوطد على أعمالنا ولا اجتهدنا ، الامر الذى إن اعتمدنا عليه نظل بعيدين عن إنقاذ أرواحنا » . . « العالم يذهب مع ذهاب روح الانسان » . . من عرف نفسه عرف العالم ، . . . إن خير العلم جهل كل علم ، . . . « ضع اهتمامك في ظفر خنصرك » (طولسطوى)

هذا هو الشرق أرض الغريزة والتقليد ، والبعثة والجاهير ، وعدم الانانية . هذا هو الشرق بقوة الادبية الثلاثية : روسيا — الهند — الصين ، وأعلامها المتآزرين : غندى — ديسطوفسكى . طاغور — طولسطوى . بوذا — لينين ، شرق البوذ الاحمر والصقلبية المضادة للغرب ، ويابانية طاكونوبو — Morobuse وأوكا كراكازو Okakura-Kakuzo .

أما الغرب ، فتصوره للوجود تصور مقبب — أى قوة حركته متجهة إلى « خارج » ، — . مذهبه يتلخص في ضمير المتكلم (أنا) فلا تسيطر عليه الطبيعة ولا الحياة إذ يعتبر نفسه سيدهما بمزية التقدم والارتقاء اللانهائى . هو مطلق العنان ، يذهب حيثما شاء ، وكيفما شاء ، واثقاً بعقله وقوة إدراكه ، فكعبته الانانية المطلقة المغرب ، أراض تختار فيها الاوطان ، ويهتم سكانها بالمستقبل والزمان والادراك العقلى (مقابلة الماضى ، والمكان ، والغريزة في الشرق)

إن حقيقة الغرب تنافس دائم بين ما يعتقد فعله وما يفعل حقيقة ، ثم شوق مضطرب إلى الوصول الى ما وراء الكون ، ثم ثقافة حائدة عن الاهتمام بالحياة غير إنها لا تكون مفازتها ، ثقافة منتقلة حيث يغلب التصور الذهني غير مقيد

والذى لا غاية بعده . أعني أن الغربى يجد الحقيقة لنفسها لغرض عمل أو كسب . شعاره . . . انحلال العلم فى منتظم تناسبات نوعية كنغمة موسيقية لا نهائية للفضاء الفلكى ، كل نشوء يقاس على قدر القوة المجدثة له بكمية من العمل المحقق من حيث هو نفوذ مخزون ، . . . هذا تحديد العلامة سبنغلر (Spengler) فى حق الروح القوسية فنطلقه هنا على الثقافة الغربية . « إن كمية مفروضة من قوة نفوذية هى ناموس انتشارى مفعول ومستقل عن كل حاسة اللمس أو البصر ، ولا معنى فيه للصورة أو للهيئة » .

يرى فى الروح الغربية اهتمامان رئيسيان : ١ — استعداد لطلب فى حرص ، ابتغاء نيل إدارة وقوة . تولى الى التفوق والتحول ، ومطابقة الجديد المستحدث يخيل اليهم أن غايتهم تباعدت كلما اقتربوا منها . يطلبون الزيادة ويحتقرونها اذا أدركوها . ربهم علم الجبر . لا تنافس ومناظرة فى مسائل العقل والارادة . استئثار بالفهم والشهامة والنشاط . طرد كل بسيط وكل لا تائق لأول وهلة ، غاية فى العمل . غاية فى الطموح غاية فى حب القوة والسيطرة .

واذا سمعتم يتحدثون عن عظيم من عظمائهم تلقيت هذه الكلمة : « قد تفوق » لا يحس ويطرب الغربى إلا للفضاء ولمضى الرجل فى اللانهاية إما بسلاح العقل وإما بدرع الخيال . إن روح (Faust) سائدة فى الدول الغربية بثقيفها للضمير الخلقى وبنظرها فى الماضى وتحليقها فى الفضاء « ليبت قوته المطلقة »

هذا هو الغرب بشعوره لأغلاطه وقائضه مع اعتقاده الصميم أن لا حد لقدرة الانسان وعقله .

يشتمل الغرب جغرافياً و تاريخياً على إيطاليا (رومة أم الغرب) وفرنسا وألمانيا (الموجسة خيفة من آسيا القريبة منها) والنمسا وروسيا والبروج والعالم الانجلوسكوفى والعالم الاسيرى الأمريكى ، وسويسرا وبلجيكا وهولاندا والبلقان . تحووه ومناظره مقاطعتا كطالونيا وجليقة باسبانيا ، وأميركا الفتاة .

أما الجنوب ، فشكل تصوره للحياة منبسط — أى اتجاه قوة حركته مستدير ، أو إهليلجى — مبدأه يتلخص فى ضمير المخاطب (أنت) تغلب عليه الفكرة

التجريدية الدينية . والميل الى المواخاة على النمط الاعتقادي ، فروحه مباينة لميكانيكية الغرب المحقوقة وبدعوة الشرق الدليلة ، أناية فردية : تصوره للعيش فتان الحياة سلسلة مراتب مودع في كل منها روح تقوم بواجبها ليعد هذا جزءاً مقضياً ومنجزاً من مأمورية عظيمة دائرة .

الجنوب أراض حيث الوطن يتصور وينبئ ، وحيث أهمية (اليوم) غير محدودة ، والأمس نسبة اليه طاعن في القدم وسابق للآزمنة التاريخية ، وحيث المستقبل مستمر لزمان الحال الى الأمام ، وحيث النشاط له قيمة ، و الإدراك البدهي سيادة .

وهنا تسبح الى النهضة لأني بعجز كل متصد لهذا العمل عن الايمان برمة حقيقة الجنوب في نهارها الجلي بين الفكرات المبددة أثناء هذا الكتاب العديم النظير اللائق التصانيف الاجتماعية الضافية ، إذ لا غرو أن عملاً كإبراز حقيقة اجتماعية عظيمة يستغرق عمر الانسان ، فتجليتها وإمالة الستار عنها ، يجعلني اذا مضحياً عملي في سبيلها طيلة حياتي ، والآن أكتفى بأن أقول إن الجنوب يروم تحقيق المثل الآري . يعمل أني فأنسج على منواله فهو مباين للشرق والغرب باعتقاده أن الله ليس بقوة النواميس (١) الطبيعية ولا هو بالفضاء اللانهائي ، وإنما هو رب العالمين المهيمن الذي يصرف عباده بالخامه الى مقاومة القوى الهولولة وتأثيرها فيهم بافسادها مواهبهم الشريفة السامية . ومن خواص خلقه الرجل الجنوبي أنه لا يملك نفسه إلا حيناً وأحياناً ، فملكه غفارة حركاته ، وأنه يعلى قيمة السطاحيات لمقاومة نفوذ المادة . ويتأتى لنا كشف سره بتحليل اشاراته وإيمانه ووقفته وطبعه . وقبل أن ألتفت اليه ألزم بأن أقول — بكل صراحة — لا شرق ولا غرب . فما النور الآتي من الشرق إلا ذاك الذي ينسحب ويتقلص عن أوربا مجتازاً بأميركا ومعيداً دورته ، لتتقل السنة والسنون . . أما اذا أردنا ذاك الشرق البعيد ، الشرق الذهبي الموصوف في أقاصيصنا القومية ، فأنطلبه بوصوله كركطو Cocteau الذي يقترح علينا الفحص عن اللؤلؤة الشرقية في لونها وهيئتها الخ . وإلا فما الشرق سوى هوس في قلوبنا يجعلنا نصبو دائماً إلى الأشياء الغربية السحرية .

«الكلام بقية»

الأزهر

« تنشر هذه القصيدة المملوءة بالدعابة . في وصف الأزهر من قبل بمناسبة النهضة
الحالية التي اكتسحت ذلك الجمود الذي طالما خيم على الأزهر القديم . ليعرف الناس
الفرق بين الحالين »

وسائل « ما الأزهر الشريف وما حديث قومه الطريف
ماذا يقول الوصف في صحراء جدباء لم تطلب الأنداء
أحل فيها كل نجم أزهر وضل فيها كل نجم أنورا
وسايرتها رحل بداء عشيم ليس له غداة
ترطمهم دجنة في أخرى ويبلغ الوعر سراهم وعرا
حتي اذا ماسثموا كلالا ووزن العي لهم وكالا
ظلوا تجاه التراب واللحود ليعبدوا مراقم الجدود
اذا دعا داعي الهدى لم يسمعوا لا يسمع الصم اذا الصم دعوا
ماذا يفيد الرشد من أقوام لم يعكفوا الا على أصنام
أيستحبون العمى على الهدى ويحسبون النصح لهوا وورا
ويتركرون داعي المجد سدى ويلبسون بين آل وعدا
تقدم الدهر وهم جمود وانتبه الكون وهم هجود
ياسائلي عن القرون الحالية وما بها من الرسوم البالية
وسائلي عن جهلها المكنون وموتها المديج المصون
تعرف الأزهر وادرس قومه وادرس — بحق — كتبه وعلمه
أنت إذن من الزمان الأول فاقراً لنا حديثه ورتل
ماذا يفيد العلم من « خبيصي » ومن عقائد ومن تلخيص
ومن « يقول الشيخ لكن أعترض » ومن « اذا كان كذا » ومن « فرض »

« وعبر الشيخ ياء دون لام وفيه أشكال وما وفي المقام »

يا أيها السائل عنهم وعني مايفعل الجسم اذا الروح قى
يدخله الأيفع والنضير ويخرج العي والكسير
يقول « قطنى قد علمت العلما حتى قتلت كل سفر فهما »
وهل درى ما قاله الحكيم « ان السليم عقله السليم »
ثم يسير فاذا به كبا لأول الخطو فيلوى آيا
يصدر مثلاً « سنار » صدر لكن سنار درى الخير وبر
متى يحسون بوخز الداء ويعرفون موطن الدواء
ويتركون للقديم القداما ويصعدون للحياة سلباً
ويشهدون العلم إذ يحيا به من كان قبل اليوم في تراه
أتى الأولى سموهمو كفارا ما انهر الدهر له انهارا
وعلموا الجماد حتى النطقا وذلوا الآفاق أفقا أفقا
وكلوا — وهم بأعلى — الصين من كان منهم فوق أرض السين
ورفعوا الأرض الى السماء وساقوا الحيتان في الدماء
وفجروا وسجروا البحارا وحيروا العالم حتى حارا
ماذا تفيد الناس من مقام ومن لحي كوبر الأنعام
وعمم كالتقبب الفواشى وجيب طويلة الحواشى
وخلق كالخرة الرمضاء ومنطق مرقع الأثناء
وكتب كنصب معبودة وأمم ككبههم مقودة
ان الحياة بعد خمسة عشر ح ولا بسجن الجهل من أحدى الكبر
أؤخذ الذكى بالغى ويترك الفتى للعي
يارب إن اليوم غير أمسه فانتشل العلم لهم من رسمه
وميز الغث من السمين واقشع دجى الوهم عن اليقين

ما للحياة طعمها مرير وشرها على مستطير
سجنت روحى فى الشقاء يدي وضل جدى فى الأنام بددي

أسير في الأزهر كالسواني ثم أعد العمر بالثواني
 وأنظر الأسفار بابا بابا فأقرأ العجائب العجائب
 مالي وما للأزهر المعمور وما لحسن الظلل المستور
 أجلس تلقاء تماثيل خوت أقرأ فيهن أساليب عفت
 شقيت حتى ملئ الشقاء وطوحتني للردى أرزاء
 كيف أجشم الزمان الماضي بدارسيه أن يعود ثانيا
 لاهم بين لي يانا حاسما في آجلي كيلا أسير هائما
 لبس لكل زمن لبوساً ولا ترد طاسمه المطموسا
 ودر مع الزمان حيث دارا ولا تقف وتلم الاقدار
 كل امرئ بسعده مفتون وهو بما يكسبه مرهون
 وإنما شعبت الطرائق واختلفت في نهجها الخلائق
 والعقل إن لم ترعه التجارب ضلت به الإثوار والسباب
 والناس إما ناهج وعقله أو تابع نهج الذين قبله
 ماخلق المرء لكي يقاداً ويروي الصلاح والفسادا

م . ت . ا

العجز

إذا تأملت مجهودي وقد طمحت
 سخرت منه ومن نفسي متى منعت
 وكنت أبكي على عمر مضي تلفاً
 صغرت عن حشرات كنت أصغرهما
 نفسي إلى بذل أقصى جهديها الفنى
 به ، وأسرفت في تقدري وفي طعن
 فصرت أهلاً به للغمر واللّمز
 فليمتني من يساوي دودة القز
 أبوشادي

الوعظ القصصى^(١)

تلخيص الأستاذ سيد ابراهيم

قال لى صاحبي و هو يحاورنى

«لقد نكبتنا و زارة الأوقاف حين احتكمت علينا أن نؤلف خطباً و نسجلها فى الدفاتر!»

قلت : «لقد أسدت إليكم معروفاً أى معروف !»

قال : «أنى مقدورى أن أعظ وأن أخطب،

قلت : «ولم لا؟»

قال : — «إنى لأعجز عن تسجيع جملتين اثنتين فى يوم واحد؟»

قلت : — «و ما شأن هذا بالخطابة؟»

قال : — «و كيف تكون خطابة بلا سجع؟»

قلت : — «بل كيف يكون سجع وخطابة؟»

قال : — «أمر كعجيب!»

قلت : — «أمر كعجيب؟» <http://Archivebeta.Sakhril.com>

قال : — «دع المزاح جانباً وخذ فى الجد،

قلت : — «انى لأمزح، وهل تسمى الصدق مزاحاً؟ إنك تصور الخطابة

تصوراً فاسداً خاطئاً، وهذا التصور وحده هو علة عجزك عن القيام بها، إن الوعظ

أيسر مما تظن بكثير

إن كل أمر بالمعروف و كل نهى عن المنكر هو وعظ له قيمته وخطره

فاذا سرت فى الطريق و رأيت حادثاً من الحوادث — خيراً كان أو شراً — فقصصته

على مستمعيك شيئاً على جانب الخير مندداً بالجانب المرذول حاثاً الناس على الاقتداء

بالأول محذراً إياهم من الوقوع فى الثانى، فقد أحسنت وأجدت و كنت الخطيب المغوه

والواعظ المرشد الأمين

(١) خلاصة المحاضرة التى ألقاها الأستاذ كامل كيلانى فيها بجمعية مكارم الاخلاق

الاسلامية

و بهذا تكون قد قدمت للناس أمثلة يقتدون بها وأمثلة يحذرون الوقوع فيها ،
 ووعظتهم بما حدث لسواهم من خير وشر
 « والسعيد من وعظ بغيره والشقي من وعظ بنفسه »
 قال : —

« ما كنت أحسب الوعظ بهذه السهولة »

قلت : —

« إن سوء فهم كثير من الخطباء معنى الوعظ هو علة تخبطهم فيه وعجزهم عن القيام به »

قالوا: إن مربية أولاد لويس الرابع عشر طلبت إلى أحدهم — وكان صغير السن — أن يكتب كتاباً إلى أبيه — وكان بعيداً عنه

فقال لها مدهوشاً : —

أنى قدرتى أنا أن أكتب كتاباً

فقلت له : — <http://Archivebeta.Sakhril.com>

هب أباك حضر فماذا أنت قائل له ؟

قال : —

أقول له لقد أوحشتنا واشتقنا لرؤيتك !

قالت : —

فاكتب له هذا .

ثم قالت له : —

قل له إن البيت يحترق !

فقال لها : —

هذا كذب !

قالت : —

« قل له إذن إن الخادم تنظف غرفة الاستقبال »

قال : —

« وهذا خبر تافه . »

قالت : —

لقد عرفت الآن كيف تكتب الكتاب ، فليس يكلفك ذلك أكثر من ان
تكتب ما تشعر به مبتعداً عن الكذب وعن الحقائق التافهة !
وهذه أيها السادة هي وظيفة الخطيب تماماً

وفي إحدى روايات «مولير» نرى أحد المولعين بالدرس — على كبر — يشرح
له معلمه النظم والنثر، فيقول له: —

النظم هو الكلام الموزون المقفى

فيسأله : وما النثر ؟ فيقول له : —

هو ما تتكلمه الآن

فيقول : « وا عجباً ، إذن فأنا أتكلم النثرار بعين سنقوانا لا أدري ! »

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ولعل أكثرهم سيدهش أيضاً حين أقول له إنك كثيراً ما تكون خطيباً — عن
غير قصد منك — و إنك تكون واعظاً بليغاً كلما قصصت على اخوانك أو أهلك أو
طلبتك قصة بليغة ذات مغزى حكيم !

ولعل أيسر وأبلغ طريقة يتبعها الواعظ في بيته وطريقه وعلى منبره ، هي ضرب
الأمثال ورواية القصص .

ولقد فرغ رجال التريّة من التدليل على أهمية الأمثال والقصص ، وقد سبقهم القرآن
الكريم الى ذلك ، فقال :

« وتلك الأمثال نضربها للناس »

وقال « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت
من قبله لمن الغافلين »

ولقد بلغ ولوع بعض الناس بالأسلوب القصصي حداً عجيباً

أذكر لكم ان مدرساً فاضلاً من مدرسى العربية كان يدرس لنا — فى مدرسة أم عباس الابتدائية — وكانت نتائجه أبهر النتائج وتلاميذه أقوى التلاميذ ، وكان السر فى ذلك هو اسرافه فى حب القصص ، وقد بلغ به ولعه بالأسلوب القصصى حداً مدهشاً جعله يشرح لنا فى قواعد اللغة ، «أثر كان وأخواتها وأثر إن وأخواتها» بأسلوب قصصى جذاب يحبب فى النحو أزهّد الناس فى النحو .

وكثيراً ما لجأ أبى — فى تربيتى — الى ضرب الامثلة والقصص
أذكر لكم أن بعض أشقياء الصبية أغرا نى بتسلق الترام وأنا صغير ، فرآنى أبى وأنا
أفعل ذلك ، ولم اره

فلما عاد الى المنزل قال لى — :

لقد حدث اليوم يا ولدى امر عجيب ، فقد هوى ولد شقى تحت عجلات الترام فقطعته
شطرين ، وظل الناس يلغونه ويلعنون أهله :

« وهنا ذكرتك يا ولدى فحمدت الله على حسن أدبك وبعذك عن هذه الدنيا ،
أقول لحضراتكم ان الأرض كادت تغوص بى وكان هذا آخر عهدي بهذا
العمل الممقوت .

وفى ذات يوم قلت له — وكنت طفلاً — :

انى لأخشى العفاريت والحشرات المؤذية حين اصعد سلم البيت فى ظلام الليل .
فقال لى — :

من الذى يحرسك وانت نائم

قلت — : هو الله

قال — : اتظن ان من يحرسك نائماً لا يحرسك وانت يقظان ؟

فكان ذلك آخر عهدي بالخوف ايها السادة

ولقد قرألى أبى كثيراً من القصص فى فجر حياتى ، لا أزال مديناً لها — الى الآن —

بما يظنه فى بعض من يحسنون الظن بى من خيال وأدب

ليست وظيفة الواعظ منحصرة في أن يقول « اتقوا الله واخشوا عذابه واحذروا ناره في كل أسبوع بعبارات مختلفة وأن يقول :
« عباد الله ،

أوصيكم وإياي بطاعته ، واحذركم وإياي من عصيانه ومخالفة أمره إلى آخر هذه الكليشيات والعبارات المحفوظة حفظاً والجل المرصوفة رصفاً .

ولكن وظيفته تنحصر في أن يحسن التعبير عما يشعر به من خواج وعواطف صادقة، ولو كنت خطيباً في مسجد ، لما صعب علي أن أهتدي إلى موضعه عـصالحـ كل يوم — فضلاً عن كل أسبوع

أمامي الحياة اليومية أقتبس منها ألف مثل مما أراه في الطرقات وغيرها .
أمامي التاريخ الحافل بالعضات والعبر والمثل العليا

موقعة أحد

أخذ مثلاً على ذلك موقعة أحد
فهى وحدها تصلح موضوعاً لعدة خطب
<http://Archivebeta.Sakhril.com>
(١) عاقبة المخالفة

كان النصر محققاً للمسلمين في بدئها
فلما خالفوا أمر النبي (ص) وانتقلوا من مواضعهم كر عليهم المشركون وقتلوا
منهم عدداً كبيراً فيهم حمزة عم النبي (ص)
واستطاع العدو أن يخلص إلى النبي (ص) فيرميه بالحجارة
قالوا — : ووقع لشقه

فأصيبت ربايعته وشج وجهه وكلت شفاته ، ودخلت حلقتان من حلق المغفر
في وجنته وسقط في إحدى الحفر التي حفرها المشركون ليقع فيها المسلمون الخ
ليس هذا موضوعاً جليلاً يبين لنا عاقبة المخالفة !

(٢) وفاء الصحابة

وفي هذه الموقعة يتجلى لنا مثل عال من امثلة الاخلاص والتفاني في الوفاء . إذ يقبل
الصحابة على النبي مستبسلين يقدونه بأرواحهم

يأخذه على يده
ويرفعه طليحة بن عبيد الله
ويحيط به جماعة من الأتصار والمهاجرين ليقوه السوء بنفوسهم .
وتجلى شجاعة المرأة العربية واضحة فلا تقل عن شجاعة جان دارك التي لا يكاد
يخلو من ذكرها كتاب ، والتي ملأوا الدنيا إعجابا بها
تتحاز أم أم نسيه بنت كعب إلى النبي (ص) وتتفانى في الذود عنه
— وكانت تسقى الماء في أول النهار فلما رأت هزيمة المسلمين ، أسرعت إلى النبي
تفديه بنفسها ، ضاربة بسيفها مرة ورامية عن قوسها أخرى حتى أثخنها الجروح .
أتريدون أمثلة أخرى من هذه الموقعة؟ لو شئتم لما وفت الليلة كلها اذا قصرناها
على هذه الموقعة وحدها ، فلنجزى بذلك فيه الكفاية . أتريدون أمثلة على فضل الصبر

فضل الصبر

صبر الصحابة

كان (النبي) يذكر يوما مالقى من قومه من الجود والشدة ، قال .
« لقد مكثت أياما وصاحبي هذا (يشير إلى أبو بكر) يضع عشرة ليلة مالنا فيها
من طعام إلا البرير (ثمر الأراك) في شعب الجبال ،

وكان عتبة بن غزوان يقول — اذا ذكر البلاء والشدة التي كانوا عليها بمكة —
لقد مكثنا زمانا ، مالنا من طعام الاورق البشام ، أكلناه حتى تقرحت أشداقنا ،
ولقد وجدت يوما تمر ، فجعلتها بيني وبين سعد ، وما منا اليوم الا وهو
مير على كورة

وكانوا يقولون في من وجد تمره فقسمها بينه وبين صاحبه : « إن أسعد الرجلين
من حصلت النواة في قسمه ، ولو كها طول يومه وليته من عدم القوت ،
قال (ص) « لقد رعيت غنيمات أهل مكة لهم بالقراريط ،

أتريدون أمثلة على الاعتداد بالنفس !

جاء (ص) يوما ليدخل الكعبة

فدفعه عثمان بن طلحة العبدري ، — :

فقال — : « لا تفعل يا عثمان ، فكأنك بمفتاحها يدي أضعه حيث شئت ! »

فقال — : « لقد ذلت قريش وقلت

قال — : « بل كثرت وعزت ،

وانظروا الى حوار ه (ص) مع قريش حين قالت له تفاخره — :

« أتباعك من هؤلاء الموالي » كبلال وعمار وصهيب ، خير من قصي بن كلاب

وعبد مناف ، وهاشم ، وعبد شمس ،

فقال — : « نعم ،

والله لئن كانوا قليلا لكثرن ، ولئن كانوا ضعفاء ليشرفن .

حتى يصيروا نجوما يهتدى بهم ويقتدى فيقال — :

« هذا قول فلان ،

« وذكر فلان ،

فلا تفاخروني بأبائكم الذين موتوا في الجاهلية .

فلما يد هذه الجعل بمنخره خير من آبائكم الذين موتوا فيها .

فاتبعوني أجعلكم أنسابا

والذي نفسي بيده ، لتقتسمن كنوز كسرى وقيصر ! »

فقال له عمه أبو طالب — :

« أبق على وعلى نفسك ! »

فظن النبي أنه خاذله فقال :

« يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر

حتى يظهره الله أو أهلك فيه ، ما تركته ، ثم استعبر باكياً ، ثم قام .

فلما ولي ناداه

أقبل يا ابن أخي

فأقبل

فقال : « اذهب وقل ماشئت ، فوالله لأسلمتك لسوء أبدأ ! »

أرأيتم خيراً من هذه الامثلة يسوقها الخطيب يعظ بها قومه ويضرب لهم بها
أعلى الامثال ؟

زعموا أنه كان أسد في أجمة ، وكان معه ابن آوى يأكل من فواضل طعامه ، فأصاب
الأسد جرب ، وضعف شديد وجهه ، فلم يستطع الصيد . فقال له ابن آوى : « ما بالك
يا سيد السباع ، قد تغيرت أحوالك ؟ » قال : « هذا الجرب الذى قد أجهدنى وليس له دواء
إلا قلب حمار وأذناه » قال ابن آوى : « ما أيسر هذا وقد عرفت بمكان كذا حماراً
لقصار يحمل عليه ثيابه ، وأنا آتيك به » ثم دلف إلى الحمار فأتاه وسلم عليه فقال له : « ما لى
أراك مهزولاً ؟ » قال : « ما يطعمنى صاحبي شيئاً فقال له : وكيف ترضى المقام معه على هذا ؟
قال فما لى حيلة فى الهرب منه كلما أتوجه إلى جهة أضربى انسان فكندنى وأجاعنى قال
ابن آوى : فأنا أدلك على مكان معزول عن الناس لا يمر به انسان ، خصيب المرعى ، فيه
قطيع من الحمر لم تر عين مثلها حسناً وسمناً ، قال الحمار : وما يحببنا عنها ؟ فانطلق بابن
آوى نحو الأسد وتقدم ابن آوى ودخل الغابة على الأسد فأخبره بمكان الحمار فخرج
إليه وأراد أن يشب عليه فلم يستطع لضعفه وتخلص الحمار منه فافلت هلعاً على وجهه ،
فلما رأى ابن آوى أن الأسد لم يقدر على الحمار قال له : أعجزت يا سيد السباع إلى هذه الغاية ؟
فقال له : إن جئتني به مرة أخرى . فلن ينجو منى أبداً . فخصى ابن آوى إلى الحمار فقال
له : ما الذى جرى عليك ؟ إن أحد الحمر رآك غريباً فخرج يتلقاتك مرحباً بك ولو
ثبت له لآنسك ومضى بك إلى أصحابه ؟ فلما سمع الحمار كلام ابن آوى — ولم يكن رأى
أسداً قط — صدقه وأخذ طريقه إلى الأسد فسبقه ابن آوى إلى الأسد وأعلمه بمكانه
وقال له استعد له فقد خدعته لك فلا يدركك الضعف فى هذه النوبة فإنه إن أفلت فلن
يعود معى أبداً ، فجاش جأش الأسد لتحريض ابن آوى وخرج إلى موضع الحمار فلما
بصر به عاجله بوثة افترسه بها ثم قال

« قد ذكر الأطباء أنه لا يؤكل إلا بعد الغسل والطهور ، فاحتفظ به حتى أعود

فأكل قلبه وأذنيه وأترك ما سوى ذلك لك قوتا فلما ذهب الأسد ليغتسل ، عمد ابن آوى إلى الحمار فأكل قلبه وأذنيه رجاء أن يتطير الأسد منه فلا يأكل منه شيئا ثم إن الأسد رجع إلى مكانه فقال لابن آوى — :
 أين قلبه وأذناه ؟ فقال له — :
 ألم تعلم أنه لو كان له قلب يفقه به وأذنان يسمع بهما ، لم يرجع إليك بعدما
 نجا من الهلكة (١)

ليست هذه مصداق الحديث لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين «

ثم ذكر المحاضر امثلة أخرى كثيرة ثم ختم محاضراته بقوله :
 فإذا أردت مثل العقوق ومثل الوفاء فأمامك حكاية « أبي صير واني قير » وهي في ألف ليلة
 وإذا أردت مثل القضاء والقدر ، فأمامك حكاية الملك عجيب وهي فيها أيضا
 وإذا أردت مثلا على أن لكل مقام مقالا فاقرأ حكاية العم « عمارة » وهي مشهورة.
 لا حاجة بنا لذكرها
 وجماع القول أن القصص وضرب الأمثلة مهيان إلى نفوس الكبار والصغار معا
 وهما من خير الوسائل التي يلجأ إليها الخطيب لتقرير فكرة أو مبدأ في أذهان سامعيه .
 سيد ابراهيم

قَصُّ نِزْطِفَانِ

بِسْمِ اللَّهِ
 كامل كيسان

أسلوب جديد في التربية — به أكثر من ٣٥ صورة مشوقة عنه ٣ قروش تطاب
 من جميع المكاتب المشهورة ومن عباس افندي عبدالرحمن بشارع خيرت بالقاهرة

أبو دهب

الجمحي

أخبرنا التوزي عن أبي عبيدة ، قال : كان أبو دهب الجمحي جميلاً وضيئاً وكان عفيفاً فخرج إلى الشام فنزل جيرون فجاءته عجوز فقالت له : ان ابنة لي وردها كتاب من حميم لها وليس عندها أحد يقرأه فتدخل اليها في هذا القصر فتقرأه فتحتسب الأجر فيها ، ففعلت فدخل فأغلق الباب دونه ، وإذا امرأة في القصر رآته فأعجبها فدعته إلى نفسها فأبى فأمرت حشمها فسجنوه في منزل من الدار ومنع من الطعام والشراب حتى كاد يهلك ثم أمرت به فأخرج ودعته إلى نفسها فأبى وقال : أما الحرام فلا ، ولكن إن أردت أن أتزوجك فعلت ، فقالت نعم وأحسننت إليه حتى ردت له روحه فنزوجه و منعه من الخروج حتى طال ذلك عليه ثم قال لها ذات يوم قد أثمت في ولدي وأهلي فأذن لي أن أطالعهم وأرجع إليك فقالت : لا أستطيع فراقك فعاهدها ألا يغيب عنها أكثر من ستة أشهر وأعطته مالا كثيراً وغير ذلك ، فخرج حتى قدم على أهله بمكة فوجدهم قد نعي لهم واقتسم ولده ماله وزوجوا بناته ووجد زوجته لم تأخذ من ماله شيئاً وبكت عليه حتى غمضت ، فقال لبيته : أما أتم فحظكم ما أخذتم من مالي وقال لزوجته هذا المال لك فاصنعي به ما شئت وأقام عندها حتى قربت المدة ثم مضى إلى الشام فوجد زوجته الثانية قد ماتت حزناً عليه وأسفاً لفراقه فقال فيها :

صاح حيا الآله حياً ودودا	عند أصل الفتاة من جيرون
عن يسارى إذا دخلت إلى الدا	ر وان كنت خارجاً فيميني
فبتك اغتربت في الشام حتى	ظن أهلي مرجمات الظنون
وهي زهراء مثل لؤلؤة الغو	اص ميزت من جوهر مكنون
واذا ما نسبتها لم تجدها	في سناء من المكارم دون
تجعل المسك واللينجوج واند	صلا لها على الكانون

ثم ماشيتها إلى القبة الخضمراء ثمشي في مرمر مسنون
 قبة من مراجل ضربتها قبل حد الشتاء في قيطون
 ثم فارقتها على خير ما كان قرين مفارقا لقرين
 فبكت خشية التفرق للبين بكاء الحزين أثر الحزين
 فسلى عن تذكرى واطمئنى باياني وان هم عذلونى



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

دار العصور للطبع والنشر

بشارع الخليج المصرى بالظاهر بمصر

على استعداد كامل

لطبعم الكتب عربية وافرنجية

والمجلات فى احسن ثوب مع المحافظة على المواعيد والالتقان التام

وبها جميع الاستعدادات التى تمكنها من تلبية كل الطلبات التى

تطلب منها فى اقرب وقت

(١)

قصيدة ابن زيدون

ما للدمام تديرها عينك فيميل في سكر الصبا عطفك
هلا مزجت لعاشقك سلافها ببرود ظلك ، أو بعذب لمك
بل ما عليك — وقد محضت لك الهوى — في أن أفوز بخطوة المسواك
ناهيك ظلماً أن أضرب في الهوى برحاً ، ونال البرء عود أراك

واماً لعطفك والزمان كأنما صبغت غضارته ببرد صباك
والليل — مهما طال — قصر طوله هاتى — وقد غفل الرقيب — وهاك
ولطالما اعتل النسيم فخلته شكواى رقت . فاقترضت شكواك
إن تألفى سنة النوم خلية فلطالما نافرت في كراك
أو تحتبى بالهجر في نار القلى فلكم حلت إلى الوصال حباك

http://ArchiveBeta.Sakhril.com

أما منى نفسى ، فأنت جميعها يا ليتنى أصبحت بعض مناك
يدنو بوصلك — حين شط مزاره — وهم أكاد به أقبل فاك
ولئن تجنبت الرشاد بخدرة لم يهونى فى السعي غير هواك
فلجهورى أبى الوليد خلائق كالروض أضحكه الغرام الباكي
ملك يسوس الدهر منه مهذب تديره لملك خير ملاك
جارى أباه — بعد ما فات المدى — فتلاه بين القوت والادراك
شمس النهار وبدره ونجومه أنباؤه من فرقده وسماك

(١) طلب الينا أديب كبير أن ندله على قصيدة ابن زيدون التى فيها قوله

أما منى نفسى فأنت جميعها يا ليتنى أصبحت بعض مناك
يدنو بوصلك حين شط مزاره وهم أكاد به أقبل فاك

ونحن نشرها له ولفائدة القراء

يستوضح السارون زهر كواكب منهم تير غياهب الاحلاك
 بشراك يا دنيا، وبشرانا معا هذا الوزير أبو الوليد نثاك
 صنع الضمير إذا أجال بمهرق يمشى في مهل وفي إشاك
 نظم البلاغة في خلال سطورهم نظم اللاآلى التوم في الأسلاك
 نادى مساعيه الزمان منافسا: أحرزت كل فضيلة ، فكفاك
 ما الورد في مجناه سامره الندى متحليا إلا ببعض حلاك
 كلا ولا المسك النوم أريجه متعطر ، إلا بوسم نثاك
 اللهو ذكر ك ، لا غناء مرجع يفتن في الاطلاق والامساك
 طارت اليك بأوليائك هزة تهفو لها أسفا قلوب عداك
 يا أيها القمر الذى لسنا به وسناه تغنو السبع في الأفلاك
 فرح الرياسة—إذ ملكت عنانها— فرح العروس بصحة الاملاك
 من قال إنك لست أوحى فى النهى والصالحات فدان فى الاشراك

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

قلدنى رأى الجميل فانه حسبي ليومى زينة وعراك
 وإذا تحدثت الحوادث بالدنا سرراً إلي ، فقل لها : إياك

□□□□ □□□□

الشفق الباكي

للدكتور أبى ششادى

شعر ، ونقد ، وأدب عام

يقع هذا الديوان العصرى المحافل فى ١٣٣٦ صفحة جامعة
 لمئات القصائد والمقطوعات المتنوعة . وهو مطبوع بالشكل
 أنظر طبع ومزدان بطائفة من الصور والدراسات القيمة ،
 ومجلد بالفماش تجليد أنفيسا . ويطلب من المطبعة السلفية
 بالقاهرة ، ومن جميع المكاتب الشهيرة فى مصر والعالم العربى ، ومن مكتبة
 لوزاك فى لندن . " ثمن العدد عشرين قرنا مصرى فى البريد "

تيوسيديد

المؤرخ العظيم

بقلم الأستاذ أبي « مصطفى »

ولد « تيوسيديد » سنة ٤٦٠ ق . م ، وتوفي سنة ٣٩٥ ق . م ، وهو من أسرة موسرة متصلة بيت الملك في تراقية وقد ورث عن أبيه أملاكاً واسعة ومناجم للذهب في هذا الاقليم وانتخب قائداً في ٤٢٤ ق . م ، وكلف بحماية سواحل تراقية بأسطوله ، ولكنه وصل متأخراً فسقطت في يد القائد الاسبرطى

فاتهموه بالخيانة فاعتزل عمله وهجر البلاد ومكث بعيداً عنها نحو عشرين سنة كتب غضوننا تاريخ حرب البلوبونيز ، وزار بنفسه البلدان التي حدثت فيها الوقائع الهامة وعاد إلى أثينا سنة ٤٠٤ ق . م ، بعد أن استولى عليها الاسبرطيون ، ومات سنة ٣٩٥ ق . م موتاً جنائياً ، وقد يقال بأن جماعة من اللصوص فتكوا به وهو عائد إلى تراقية

أما مؤلفه التاريخ فقد نهج فيه منهجاً فلسفياً لا اعتقاده أن للتاريخ قوانين لا يحد عنها ، فبحث في أسباب الحوادث وتعرف أخلاق الأفراد والشعوب وتكلم في المواضيع الجغرافية ونظام الحكومات وقوة البلاد الحرية وحالتها المالية وفي العلاقة بين ذلك وبين الحوادث التاريخية

واستنتج أن المنفعة كثيراً ما تحدد الناس إلى تخطي الحق وانتهاك حرمة الفضيلة وكان خبيراً بالسياسة عالماً بالحروب ، ويمتاز عن غيره بأنه كان لا يكتب شيئاً إلا بعد أن يتثبت منه ويناقشه بعدل ونزاهة مناقشة خالية من الغرض ، فجاء تاريخه موثق الأخبار صادق الرواية حسن الترتيب

وإذا كان « أكاثيه » أول من فكر بعض التفكير في أن يناقش بعض الحوادث التاريخية فإن « تيوسيديد » أول من عرف كيف يضع لمناقشة الحوادث وتمحيصها قوانين لم يحد عنها قيد شعرة كما أسلفنا ، ووصل يبحثه إلى درجة يشكره عليها كل

مؤرخ منصف، ويرى القارىء خلال حوادثه الطيبة مرئسة خالية من كل تكلف عارية عن كل صقال وزينة، ثم إنك لتجد الأشخاص الذين يسردهم لك فى التاريخ يفصحون عن خواجلهم بوضوح تام فتأثر بأقوالهم كما لو كنت معاصريهم، وتراه يشرح لك بعض الخواج النفسية كالنفاق مثلاً شرحاً يبينه لك مجانساً لما شاهدته فى اخلاق معاصرينا، وهو فضلاً عن ذلك يتدفق يراعه حكمة وانصافاً حين يقص عليك نبأ من الأبناء فتلمح فيه الصدق وصفاء الذهن الفياض مما يجعل أعظم المؤرخين العصريين حقيقاً بدرسه والاستفادة منه !

وإذا شئت فأنى أحيلكم على وصفه للطاعون فى أثينا فيما لا يتعدى الخمس صفحات وما أوضحه فيه من اضطراب النظام وتحليله الفسيولوجى الدقيق الذى يحسده عليه الطبيب الماهر بأسلوب يعلمنا كيف تؤثر الصدق والبساطة فى التعبير على غيرهما، ولقد ترى فى كثير من أوصافه كيف أن طبع الإنسان واحد لم يتغير — رغم اختلاف الأزمان والبقاع والظروف — وكيف أن طباع وغرائز الاثنين فى ذلك الوقت شديدة القرب جداً من طباع ساكنى لندن وباريس اليوم

ويقولون إن «تيوسيديد» سمع «هيرودوت» المؤرخ الشهير يشرح بعض حوادث التاريخ وكان الأول غلاماً فبكى شغفاً بما سمع وهام بالتاريخ هياماً، وقد أخبر «هيرودوت» أبا «تيوسيديد» أن ابنه سيكون مؤرخاً ذاشان، وقد صدقت نبوءته، وكان شغوفاً جداً بهيرودوت المؤرخ

ولقد يذكرنا ذلك بالشاعر «أبى نواس» حين كان صغيراً وكان جد شغوف برؤية «والبه ابن الحباب» الشاعر الذى كان ذائع الصيت فى عصره، حدث أن أبى نواس اضطرت به الحال بعد موت أبيه وهو صغير أن أسلمته أمه إلى عطار، واتفق أن والبه بن الحباب قدم الأهواز فمر بذلك العطار فلقى أبى نواس فتوسم فيه النباهة لصباحة وجهه، ولما جالسه أنس فيه قريحاً وقادة، فقال له: إن فىك مخايل أرى ألا تضيعها وستقول الشعر. وعرفه بنفسه ففرح بمعرفته أبو نواس وكان ما قال والبه

نرى أمثال هذه الحكايات غالباً فى تاريخ حياة النوايع والعظماء، وعندى أن هذا الشغف الذى يلزم الصبي — منذ نشأته — بأى فن من الفنون، هو وحده آية نبوغه

في مستقبل حياته، وأنت تجد النابغ يميل من صغره إلى سماع أقوال العظماء وتقدير أعمال النوابغ أمثاله، ولكنه يفرد بالاجلال والاكبار النوابغ في الفن الذي شغف به

وهذا الشغف الذي بدا على «تيوسيديد» وأبي نواس بما نبغا فيه، هو وحده الدليل الذي استدل به هيرودوت وابن الحباب على مستقبل كل منهما من تلميذيهما !

لقد ملا هيردوت أسفاره بكثير من الأحاديث والكلمات الخالدة التي فاه بها أبطاله فوق مسرح التاريخ أما «تيوسيديد» فكان أول مبتكر لسلاسل الخطب الطويلة الشأن التي عابه عليها المعاصرون ولم يقره عليه بعض القدماء — منذ خضعت أثينا لسلطان روم — فالشأن في الأمم المستعبدة أنها رهن إرادة السيد الأمر، على أن الأمر في الأمم الحرة يرجع إلى قوة الحجة ونصاعة البرهان وأثرهما في أقناع الناس

كانت الخطب التي الشؤون بعصر تيوسيديد فيها استطاع الزعماء أن يسوقوا جموع الأمة إلى أقرارهم على إعلان الحرب وعقد السلم ومد يد المحالفة

وكان لها الأثر الأكبر في إحلال العقاب بالمجرم الأثيم وتسريح المتهم البريء، أما رنينها في مسامع الجند حين يخطبهم قوادهم فكان الأثر الدافع لهم على خوض غمار الحرب، غير هيايين، وكانت أكبر مؤثر في التاريخ، وأنه لحق أن «تيوسيديد» لم ينقل الخطب كاملة كما قبلت، بل نقل ما حصل عليه منها أو على الأقل ما فيها من النقط الهامة، على أنه حين تعذر عليه سماعها ضمن بكرامة فنه أن يقررها في كتابه !

وأنه لجبل ما اهتدى إليه (يرواليانكور) خلال بحثه وملاحظته الصادقين، من بعد نظر «تيوسيديد» في إدخال هذه الشؤون البديعة في تاريخه فقد رفعت قدره ولقد أصاب إذ رأى أن المحاضر يستطيع أن يتبع الفكرة ولا يخطئها لطول الحديث وتعدد مناحيه وكثرة الأفكار، وعجيب أن تعلم رأيه في الحوادث الهامة وفي أبطال تاريخه فقد استشف برأيه الثاقب حقائق كثير من المسائل السياسية الشأن وهذا هو الذي ميزه على كثير من المؤرخين، ولقد اعتبرت خطابات «تيوسيديد» شيئاً تكميلياً لعمله التاريخي لعلها ولا مر ما وسعت كثير من الأشياء التي لا حاجة بها، فإن رغبته في أن يدون كل الآراء التي علم بها قد أرهقت أسلوبه ولم تسع كلماته معانيه

هذه الخطابات الغنية بمعانيها الفقيرة بالفاظها ومبانيها كانت في خفائها وغموضها

بحيث تعذر على كثير تتبع أفكار تيوسيديد واقتفاء أثرها، ولذا لم يكن عجيبا ان شيترون رأى فيها كثيرا من الآراء التي عجز عن ادراكها وتفهمها

وليس السبب في خفاء آرائه راجعا الى الالفاظ فحسب، ولكن للاضطراب في الوضع أيضاً، فقد أوقع بالحجاز الذي أباه كثير من متفقي اللغة في اليونان والذي ذهب بهاء معانيه، ولطالما أوقع باستعمال الأساليب الشعرية الغنائية فتعذر على القارئ أن يتبع رأيه، ولقد تملكه حب استعمال كثير من الكلمات الدفينة واستحداث كثير من التي لم تعرف وادخاله في النثر أساليب الشعر

وان اقتناعه بعظمة الموضوع الذي يكتب فيه قد قاده الى الاغراق في استعمال كثير من الأساليب والتركيب الغامضة، معتقدا أن جمال الشعر ورفعته بما يلائم تمام الملاءمة فخامة موضوع كتابه (صفة لصقة، بنفسه فعلقت بكتابته)

وانه ليراءى في أسلوبه جافا لشدة رغبته في أن يلقى في روع سامعه المعنى الذي يريد، فهو جد مكثر من الكلمات الدالة على النغم، وهو لا يرضى ان يغفل في كتابته رنين الاسلحة وصراخ الجنود وعجيب الجموع الهائلة!

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

« المقارنة بينه وبين هيردوت »

وان هيردوت لم ينل ذلك التفضيل من نفوس كثيرين إلا لأنه يجهد نفسه في امتاع القارئ، على ان الراغبين في اجتهاد رؤسهم في التفكير لا يحجمون عن تفضيل تيوسيديد وان غرام ديموستين بتيوسيديد قد دفعه الى نسخ تاريخه ثمانى مرات بيده اذ رأى أكبر مقتدر على الابانة عما في نفسه بفصاحة عجز الكثيرون عنها

كتب بعضهم في عام ذكره « ليست فصاحة تيوسيديد كما ذهب اليها شيترون في كتابه عنه، جد ملائمة لقضاء دور القضاء ولم تكن لتنال الاثر الكبير في المجامع العامة، ولكنها قدر الخطيب الذي يجد الوسائل المتعددة التي تستمض الفكر وتعين على تحسين قواعد الفن! »

وان تيوسيديد - بين جميع المؤرخين - الرجل المطاع بين رجال الامة الواحدة التي يطمع كل رجل منها أن يكون يوما مديرا لدفة حكومته»

وان مندوب امن كبار نواب الانكليز لم يتردد أن اعلن في غرفة البرلمان أن من العسير

جدا أن يلقي سؤال أو يعرض مشروع على هيئة التشريع لانتزاع فيه شعاعا من نور تيوسيديد

وان شارل كان — أكبر سياسي في عصره — قد درس ترجمة تيوسيديد الفرنسية (ليسييل) واصطاحبه معه في كل رحلاته الحرية ، شأن الاسكندر في اصطحابه ديوان هو ميروس في معامع فتوحاته

ولم يضع مجهود تيوسيديد ولم يعجز معاصروه عن الحصول على مسودة كتبه التي سقطت مصادقة في يد فرد كفء قدير هو (زينوفون) المؤرخ والكاتب الحلو الحديث وان كان يشوبه شيء من الضعف ، على خلاف تيوسيديد ذلك المنافس الخفيف والمناظر المنتصر ولقد كان في وسعه أن يخفي اسم تيوسيديد الى الابد ولكن شيئا من هذه الهواجس لم يداخل نفس (زينوفون) فلقد قنع ان يشيد بناء مجده على نشر قطعة من التاريخ خالدة عجز عن محاکاتها غير أنه رضى بنشرها وتخليدها

واذا نظرنا الى العصر الذي نشأ فيه تيوسيديد عرفنا السبب الذي جعل له هذه المكانة وادركنا ان الجو الذي نشأ فيه كان جو قادة ومفكرين وأن عصره كان عصر نوابغ ، وحسبنا ان نقول انه هو ومن عاصره من النوابغ والعظماء كانوا نتيجة طبيعية لازمة لعصر زاهر كعصر بركليس الذي وصلت فيه ائينا الى ذروة المجد وعلا كعبها في العلوم والمعارف بعد انتصارها الباهر على الأمة الفارسية ، وأشهر معاصري تيوسيديد من العظماء هم : اسخيلوس وسوفكليس وافريديس من الشعراء ، وسقراط الفيلسوف وبقرات الطيب واريستوفانس الكاتب وليسياس الخطيب ، ولكل واحد من هؤلاء أثر في فنه شبيه بآثار الآخر ، ويمكن ان يقال عنهم بالاختصار : ان كل واحد منهم قد ابتكر نوعا هاما في فنه وجاء فيه بشيء جديد لم يكن من قبل وإني الفتكم بإسادة الى أن سقراط هو أول من قلب نظام التفكير والفلسفة في اليونان وأوجد طريقة التفكير فيما يكفل الانسان سعادته الحقة ، طارحا كل ما عني به متقدموه من الترهات

وتيوسيديد هو أول من ابتكر نظاما وقوانين خاصة بالبحث في التاريخ وجعله

خاضعا للنقد والبحث والتمحيص — كما أسلفنا — وهو يمتاز عن هيردوت بأن الثاني يكثر من قصص الحوادث عليك بأسهاب ، بينما نجد تيوسيديد يوجز الإيجاز كله فيما يقول دون ان تفلت منه نقطة هامة وهو يفكر أكثر مما يقول ، فيضطر المطلع على تاريخه الى التفكير أكثر مما يقرأ

وقد كان بودنا ان نعقد مقارنة شاملة بين هيرودت و تيوسيديد ، ولا بأس من تركها الآن ولقد عاب بعض المؤرخين المحدثين على المؤرخ تيوسيديد شيئا واحدا وشاركهم في رأيهم بعض المؤرخين القدماء ، وهو ذكره الخطب أثناء سرد حوادث التاريخ كما أسلفنا ، ويمكن أن يدفع عنه هذا الانتقاد بأن ذكر الخطب التي تقال في عصور الاستبداد والظلم ليس فيه فائدة لأن كلمة واحدة يقولها الحاكم في تلك العصور كفيلة أن ينفذها الشعب المستعبدون تردد أو مقاومة ، فاما في عصور الحرية فان الرأي العام ، رأي الشعب ، يكون دائما صاحب الكلمة النافذة المسموعة ، فلا يمكن أي قائد أو حاكم أن يحرك دقة الشعب أو يهيمن على الجمهور إلا بالخطب البلاغية الملائية بالتأثير الخطابي والسحر ، لذلك كانت أمثال هذه الخطب قيمة باعثة في القارىء نشاطا ، ولا شك أن الخطب التي نقلها الينا تيوسيديد في مؤلفه جاءت مختصرة ملائمة بالمعاني الجليلة والأغراض السامية وهو لم يدونها بحذافيرها كما قد يتوهم بعض الناس ، ولكنه كان يعرف فحواها ثم يعمل على تلخيصها والاتيان بأهم النقط التي يركز عليها الكلام ، ولم يشأ أن يقطع على القارىء سلسلة الحوادث بملاحظاته لعله بأن تتبع الحوادث التاريخية المرتبطة ببعضها أمر طبيعي

أسباب الحرب البلوبونيزية (بأيجاز)

أولا : دسائس الفرس للتفريق بين اليونانيين

ثانياً : غيرة اسبرطة من نهضة أثينا الأدبية والسياسية

ثالثاً : نفور مدن التحالف من أثينا لمعاملتها معاملة السيد للسود

رابعاً : تدمير الدور بين أهل ميغارا وكورثة من تعطيل تجارتهم بمنافسة أثينا

هذا وإذا عرفنا طبيعة الأمة اليونانية الجبلية الميلالة إلى الشغب و علمنا أن السبب القوي

الذي كان يدعوهم إلى التكاثر — وهو حربهم مع الفرس — قد زال ، سهل علينا ادراك

أن شوب تلك الحرب كانت نتيجة طبيعية لهذه المقدمات ، ولا بأس من الكلام قليلا

على النقطة الثانية، وهي غيرة اسبرطة من نهضة أثينا الأدبية والمناقشة السياسية بينهما التي بدأت من سنة ٤٣١ إلى ٤٠٤ ق م

وكان كلاهما يطمع في أن ينفرد بزعامة الأمم الإغريقية، وكان ثمة عدو ثالث شديد الخطر على أثينا، وهو كورثه التي رأت أن مصالح أثينا واتساع تجارتها كانت مرتكزة عليها وعلمت أنها تضحي بثروتها في سبيل انماء ثروة أثينا — وهي لا تنتفع نفسها بهذه التضحية — بينما تجد أثينا فخورة بياهة متغطرسة عليها، وكان أهل طيبة يكرهون الإثنيين أشد الكره ويتحينون كل فرصة للانتفاع بها في القضاء على أثينا التي كان لها أعداء آخرون عديدون ينفسون عليها قوتها ويودون لو سحقوها سحقاً

وأول شرارة بدأت في شبوب هذه الحرب هي المنازعة التي قامت بين أثينا وكورثه وأفضت إلى إرهاب الثانية وتدهيرها فتظلم الكورثيون إلى اسبرطة وعضد الأخيرة كثير من البلوبونيزيين الذين أسرعوا إلى مخالفتها وشنوا جميعاً الغارة على أثينا وكان سبب هذه الشرارة الأولى هو أن كورثه لما همت بتأديب جزيرة كورسيرا مستعمرتها التجأت هذه إلى أثينا لما علمت من قوة كورثه وأدركت أنها لا تستطيع مقاومتها، وأرسلت وفداً يستنجد بأثينا، وخشى الكورثيون أن تحالفها أثينا فبعثوا وفداً آخر ليعارض أقوال وفد كورسيرا

وارتجل كل منهما خطبة — غاية في السلاغة — وعقدت أثينا بعد ذلك جلستين للتحكيم والنظر في ماقاله كل من الفريقين، فحكمت لكورثه في الجلسة الأولى، ثم نقضت حكمها في الجلسة الثانية، ورفضت مخالفتها وأعلنت قبولها محالفة كورسيرا، فاضطرت الثانية للالتجاء إلى اسبرطة التي شدت أزرها وبدأت تلك الحروب الطاحنة التي انتهت بانهاك قوة الإغريق والتي لم تسكد تنتهى حتى أغار على بلاد الإغريق الملك الناض فيليب ملك مقدونيا الناهضة وأبو الاسكندر المقدوني

وانى أتقل الآن إلى هاتين الخطبتين النفيسين، وسترون صدق ذلك حين تسمعنوهما وتجدون كيف كانوا يؤدون المعنى بأسلوب سياسي خلاب يصعب على الناقد البصير أن يجد فرقاً كبيراً بينه وبين الأساليب السياسية الحاضرة وما يسمونه لغة السياسة

اليوم، وهما حافلتان بالنقط الهامة، وإنى أجتزئ. الكلام اجتزاءاً وألفتكم إلى تذكير كورثة لاتينا في خطابتهما أدته اليها من الخدمات الجارية في معاونتها في كثير من الأحيان. على إخضاع مستعمراتها واتحاد شكواهم وتسألها في نظير ذلك أن تطلق لها الحرية في تأديب مستعمرتها كورسيرا كما أطلقت لها الحرية في تأديب مستعمراتها الثائرة من قبل. وإنى أسألكم: اليس هذا هو ما تتبعه الدول القوية دائماً في اتحاد شكوى مستعمراتها — تتغاضى كل واحدة منها عن أعمال الأخرى في نظير أن تتغاضى الثانية عما تأتيه الأولى من الجور والعسف

وهكذا كان يقسم الأقدمون البلاد بنفس الطريقة التي لا يزال يتبعها المتمدينون المعاصرون، ولا غرو فإن الطبائع البشرية لم تختلف عما كانت عليه منذ آلاف السنين وهي لا تزال كما كانت خاضعة للطمع والجشع

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعله لا يظلم
واليكُم مثلاً ما فعله الرومان مع قرطاجنة في إقاله العلامة مونتسكيو في كتابه «عظمة الرومان» وهو لا يختلف عما نجده الآن
يسترون في خطبتها أيضاً تقاضين كلاهما لا تقل عن هذه أهمية في الدفاع عن نفسها فيما اتهمها به الكورسيريون من العسف والظلم، إذ تشهد أولاً على حسن سلوكها وسوء سلوك كورسيرا بأن جميع مستعمراتها على وفاق تام معها. وأنهن يحبينها ولم يندعن ذلك إلا كورسيرا وذلك يدل على سوء سلوكها الشاذ

و تعتذر عن استعمالها القوة مع كورسيرا بأنها وجدت من غطرتها واعتداماتها المتواليات اضطارها إلى ذلك، ثم تقول: «و لو كنا بادئهم ألم يكونوا جديرين بأن يرشدونا بالحسنى والأناة؟ إنهم لو فعلوا ذلك إذن لاضطرونا إلى الاعتذار عن خطئنا» وهاتان النقطتان نجد ههما واضحتين في أعمال الأمم القوية دائماً

أولاً: إذا ثارت مستعمرة على حاميتها تطالب منها الحرية برفق وأناة فأنها لا تصيخ إليها وتستعمل القوة في إخمادها

فإذا اضطرت المستعمرة أيضاً إلى استعمال القوة مع حاميتها وجدت من الأمة الحامية مثل هذا الجواب وهو «لقد كانوا جديرين أن يرشدونا بالحسنى والأناة لا بالعنف والغطرسة

ثانياً حينما تناقشتها الأمة المحمية الحساب أمام آخرين تجد الأمة الحامية تستشهد على حسن سلوكها معها برضاء جميع الأمم الأخرى عنها وحبها إياها وتقول أن هذه شاذة عن بقية المستعمرات ولو ثار سواها من تلك المستعمرات التي تزعم الأمة الحامية أنها ممن يحببها لكان اعتذارها واحداً لا يتغير وهو أن هذه مستعمرة شاذة وهكذا كان شأن كورته قديماً ، شأن كل قوى في الماضي والحاضر

واليكم خطبة الكورسيريين

أيها الأثينيون : إن أمة لم تسد إلى جاراتها خدمة ولم تمنحهن يد المساعدة في الماضي ولم تحالف أحداً منهن قط ولم تسداليهن صنيعاً يمكن أن تذكرهن به حين تستصرخن و تسألن مساعدتها فيرددن إليها الإحسان بالإحسان . إن أمة لم تفعل شيئاً من ذلك جديرة - إذا هي وقفت أمام أحد هؤلاء المستصرخين كما نقف نحن أمامكم الآن نطلب منكم النجدة والمساعدة - أن تبرهن لهم أمرين أساسيين : الأول أن تثبت لهم أن مساعدتهم إياها نافعة ومجدية أو على الأقل غير ضارة بمصالحهم والثاني : أنها ستحفظ لهم بعرفان جميلهم وأنها لن تساهلهم مادام فيها عرق ينبض فإذا أخفقت الأمة المستجدة في تقرير هاتين النقطتين وإثباتهما فلا تحزن إذا خاب ملتسها ورجعت بالفشل

وقد عرف الكورسيريون أنهم - حين يطلبون منكم المساعدة - قادرون على تقرير هاتين النقطتين تقريراً ، وبهذه الثقة أوفدونا إليكم - فنحن نشعر أن سلوكنا الماضي يجب أن يبدو لكم أنه كان منافياً للحزم ويجب أن نحس أن هذه الأزمة الحالية قد جعلته مضاداً لمصالحنا ، فنحن الذين ضنا بمخالفتنا على كل الناس ولما تمنحها أحياناً في الآن وقف أمام غيرنا طالبين منهم المخالفة .

لقد كان ذلك المذهب السياسي الأول الذي كنا نتبعه هو سبب عزلتنا عن الناس في هذه الحرب الحالية ضد كورثة ، وقد بدا لنا جلياً أن إحجامنا عن مشاركتهم غيرنا في حروبهم التي اقتحموها ومساعدتهم في خوض وقائع لاعلاقة لنا بها ولا فائدة لنا منها كان رأياً مافوناً ملؤه الخطل وضعف الرأي

ونحن وإن كنا - منفردين - قد قهرنا الكورثيين بقوانا فحسب ، فانا نراهم
يزدادون زيادة مروعة ويجمعون قوى عديدة مختلفة من أرجاء يلوبونيزيا وباقي
البلاد الاغريقية بحيث لا نستطيع مقاومتهم بقوانا وحدها، وأنها ستكون الطامة
الكبرى إذا فازوا باخضاعنا فاضطرتنا الحاجة الشديدة إلى استصراخهم واستصراخ
كل أمة يونانية أخرى مؤملين منكم الصفع الجميل عن ذلك السلوك الأول المضاد
لسلو كنا الحال والذى نشأ عن خطأ فى الحكم وليس عن سوء نية

فاذا اقتنعتهم بوجوب مساعدتنا فانكم بلا ريب مهتو بعضهم بعضاً للأسباب الآتية
أولاً : أنكم تمدون يد المساعدة لأمة ترزح تحت أعباء الظلم دون ان تقرف إثماً
ثانياً : ان كل ما نملك الآن من قوة وبأس قد أصبح تحت خطر هذه الحرب الحالية
وإنكم إذ اصرختمونا فى مثل هذه الأحوال العصية مكنتم لكم فى قلوبنا شكرا
يبقى أبد الدهر

ثالثاً : انا إذا استئينا قوتكم وجدنا ان قوتنا هي الأولى بعدكم فى «هياس»
قدروا ذلك منصفين ، ألا ترون كم تكون هذه الفرصة قيمة ونادرة الوقوع
وهل ترون أنكى لعدوكم من أن يرى قوتنا الحرية العظيمة النادرة تقدم نفسها
لكم بلا اجر وبدون مقابل طائعة مختارة - ولها مثل هذه العدد الحرية العديدة المروعة ،
وتجعلكم تظهرون امام العالم اجمع بمظهر المنتصر لأمة مهضومة الحق ، والقوى من فاز
فى حرب عظيمة كهذه

نقبوا كل حوادث من مضى بانعام واناة ، نقبوا فان صفحات التاريخ امامكم وانا
الكفيل بانكم لن تستطيعوا العثور على مثل هذه المعاهدة الفائزة التى يكتسب منها
المحالف المساعد من المستنصر به كل هذه المزايا والفخر دون ان يعرض نفسه لخطر
او ينفق شيئاً

ولكن قد يحسب احدكم أن نفع هذه الحرب مقتصر علينا فاذا اعتقد احدكم ذلك فهو
جاهل لا ينظر إلى ابعد من انفه وهو غافل عن ان لسيد من La cedemon ينظر إليكم
بعين ملؤها الحقد والغيرة ، وأن كورثة القوية تطلع اليكم وهى عدوة لدودة وتحاول
ماخضاعنا أولاً ليكون ذلك سيلاً يمد لها اخضاعكم فيما بعد وهى تسعى لذلك

جهدنا وتتخذ طريقة إيقاع العداوة بيننا وبينكم حتى لا تنضم اليكم ثم هي بعد ذلك
شارعة في احد امرين

إما أن تسحق قوتنا سحقاً ثم تشرع في سحق قوتكم بعد ، وإما أن تضمنا
اليها للقضاء عليكم

فواجبنا حينئذ أن تكاتف معاً وأن نسرع برسم الخطط التي يجب علينا اتباعها
أزاء ذلك ، ثم نبدأ بمهاجمتها قبل أن تبدأ هي بمهاجمتنا أولاً ، فنشتغل بالدفاع عن أنفسنا
مضطرين ، فإذا احتجت على تحالفكم معنا بأننا مستعمرة من مستعمراتها وأن ليس لكم
حق التداخل والمخالفة فلتعلم كورثته ان كل مستعمرة تعامل معاملة عادلة تخدم حاميتها
التي تنتمي اليها ، ولكنها إذا عوملت معاملة سيئة فإنها بلاريب تصبح غريبة عنها لعسفها .
فان المستعمرة لم تخلق لتعبد بل لتعامل معاملة النذل للذئب والقرين للقرين وغنى عن البيان ان
كورثة قد أرهقت أرهاقاً فانهم وضعوا أهل أيدمنس تحت الأحكام العرفية عاملين
على إخماد شكواهم بالحرب بدلاً من إخمادها بوضع مخالفة عادلة

ألا وليكن سلوكهم معنا — على ما يتناوب بينهم من قرابة — مثلاً طيباً لكم يمنعكم من
الوثوق بهم والانخداع بكلامهم اللين ، ولتعلموا أنكم كلما ازددتم عنهم بعدا كلما كنتم أقرب
إلى السلامه والأمن ، فإذا اعترض عليكم بأن قبولكم محالفتنا يعد خرقاً للمعاهدة التي
بينكم وبين لسيدمن Lacedaemon فانا نجيب على هذا بأننا أمة محايدة والمعاهدة صريحة
النص على أن لاى أمة محايدة حق الانضمام إلى أى جانب تشاء

وانه لمن الأشياء التي لا تطاق أن يسمح لكورثة ان تضم اليها ما تشاء من قوى
عديدة دون أن تقتصر على قوى حليفاتها فحسب ، بل تتعداها إلى جميع قوى « هيلاس »
فتجمع منهم عدداً عظيماً بينما أتم تحرمون من ضمنا اليكم والاتفاف بقوتنا مع أن نص
المساعدة صريح في جواز تمتعكم بانضمامنا اليكم وانضمام قوى أخرى غيرنا

ولئن رفضتم محالفتنا — نحن المخلصين لكم — وساعدتم الكورثيين أعداءكم الذين يتمنون
تدميركم في أقرب فرصة فسيكون ثم مجال واسع لتألمنا منكم ولنا الحق في ذلك
كيف ؟ ؟ أتحالفونهم ثم لا تقتهرون بعد ذلك على منحهم المخالفة بل تتعدون ذلك إلى

اعطائهم ما يلزمهم من العدد والذخائر التي يطلبونها منكم — وهم أعداؤكم ومحالفو أعدائكم —
وتتخلون عنا نحن الذين لم يسيئوا اليكم قط

لكم منا أن نقسم وأن نثبت لكم محالفتنا إياكم إثباتاً لا يجعل مجالاً لاحتمال الشك.
وإذ بينت لكم الفوائد العديدة التي تكتسبونها بمحالفتنا في أول خطبتنا فاني أزيدكم
وثوقاً بما قلت فأقول : هل تثقون بشيء أكثر من أن نحالفكم محالفة تمحو كل فرق
بيننا فيصبح عدو آثينا وعدونا وتصبح قوتنا على أهبة واستعداد لمحاربة كل خائن ومعاقبة
كل معتد ، إذن فلتعملوا على أن لا تبقوا أية قوة بحرية خلاف قوتكم وقوة من يحالفكم.
فاذا فعلتم ذلك أحرزتم صداقة القوى البحرية العظيمة التي ترغب حينئذ في الانضمام
اليكم حتى لا تمنع من وجودها في البحر — إذا أقررتم ذلك وخاف أحدكم أن يكون
في ذلك خرق للمعاهدة فاني مجيبه على هذه النقطة

تقرير مبدأ «الحق للقوة»

فلائن تحرقوا المعاهدة واقم اقوياء مرهوبين الجانب والسطوة تتحاماكم جميع القوى
خوفا ورعبا خير لكم من أن تتبعوا نصوص المعاهدة دون أن تحيدوا عنها قيد
شعرة واحدة وأنتم ضعفاء لينوا الجانب تطمع فيكم القوى العديدة فيجر ذلك الطمع
الى حربكم وقهركم

ومتي كنا معكم فانكم تكونون اقوياء مرهوبين السطوة، فاذا فقدتمونا فقدتم قوة
عظيمة تجر الى وهنكم، ولا تنسوا ان مصلحتكم في محالفتنا لا تقل عن مصلحة كورسيريا
في محالفتكم ، وانكم لن تكونوا قد فتم لا آثينا بفروض الخدمة والوطن التي يحتملها عليكم
واجبكم إذا لم تتخذونا عدة لكم وعونا تدرؤون به حرباً منتظرة قريبا شوبها وليس
فيكم احد يجهل ولا منا وقوتنا وكفائتنا واستعدادنا لخوض غمار تلك الحرب
معكم ، واني مختصر خطابي بالكلمة النهائية الموجزة لأريكم فيها شدة ما يصل اليه
حق وجهل من يمتدح منكم كورسيريا في هذه الحرب الحالية ، دون ان يستفيع بقوتها.

فلتعملوا علم اليقين ان في هيلاس ثلاث قوى عظيمة وهي آثينا و كورسيريا
وكورنثة فاذا سمحتم لثنتين من هذه القوى ان تجتمعا وضممت كورنثة اليها فانكم

ستواجهون اساطيل عديدة لكورسيريا وييلوبو نيزيا ، اما اذا حالفتمونا فستكون معكم سفتنا تعززكم في المعركة وتصركم على اعدائكم

خطبة الكورثيين

أما والكورسيرون لم يقتصروا على طلب محالفتهم فحسب، بل تعدوا ذلك إلى اتهامنا بالظلم والعسف، وأبدوا لكم أننا أرهقناهم في حرب طاغية مجحفة لاحظ لهم فيها، فإن علينا أن نبدأ في مناقشة هذه التهم بادی. بدء ثم نتطرق إلى ما جئنا بصددته ونوضحه لكم توضيحا حتى تثق من أننا قد كونا لكم فكرة صحيحة وعقيدة ثابتة عنا وعنهم، بحيث لا ترددون لحظة في تخييب ملتئمهم و لكي تكون لكم مندوحة لرفض ما سألوكم فيه — محقين فيما يعملون عادلين في ردهم خائبين — ذلك واجبنا الاول الذي نبدأ بشرحه و تبيانہ . و اليكم برهاننا

أما عن اعتذارهم عن سياستهم **الاولى القديمة التي** اختطوها لأنفسهم من ميلهم لرفض كل تحالف مع غيرهم من الأمم فإنها كانت سياسية ظاهرها الاعتدال والحزم وباطنها الخبث وسوء النية، وذلك لأنهم كانوا لا يعربون عن مخالفة سواهم إلا خشية أن يطالع على ما يرتكبونه من عسف وإرهاق واستبداد مع غيرهم من الأمم المرهقة و حتى لا ينجلهم حلفاؤهم إذارا أو امنهم أمثال تلك الافعال المخزية. والكورسيرون — على منعة موقعهم وحسن مركزهم الذي يكفل لهم الاستقلال بانفسهم عن مساعدة الآخرين ويساعدهم على أن يكونوا الخصم والحكم للأمم المجاورة التي تضطر إلى تحكيمهم في شئونهم إضطرا — تجدهم قلما يبحرون إلى سواهم من الأمم، بينما تدفع الحاجة غيرهم من الأمم بحكم المصادفات ان تعرج عليهم فيزورهم كثيرا من الأمم القريبة عنهم، والآن وقد انتهينا من تقرير أسباب تألمنا وجشع خصومنا وسوء نيتهم وأثبتنا ذلك بالحجة والبرهان، فإن علينا أن نوضح لكم نقطة تعتمد الكورسيرون أن يخطوكم في فهمها مؤولين المعاهدة حسب أهوائهم، نعم إن في إحدى نصوصها ان لكل امة لم يد رج اسمها في القائمة ان تحالف من تشاء وتنضم إلى جانب من تريد، ولكن لا يفهم من ذلك أن تقبلوا مخالفة امة ترمى بانضمامكم اليها الاضرار بأخرى — ذلك شرط خاص بمخالفة لا تؤدي إلى إيذاء الغير وتحدو الامة التي

يلف بها الهوس والحق إلى حد أن تقبل حماية أمة مجرمة إلى الهلاك و توقعها في حرب
ملاحنة ، ذلك مايوول إليه أمركم اذا قبلتم معاهدتهم ولم تصيخوا إلينا ، فلن تستطيعوا
مخالفتهم دون ان تجلبوا على أنفسكم عداوتنا و تشركوهم في جرائمهم و تقع عليكم
طائلة العقاب القريب — كونوا محايدين إن شئتم ، او لا فكونوا مخالفينا ضد
الكورسيرين . فأننا لا نزال حلفاءكم في حين أنهم لم يحالفوكم قط

و احذروا الحذر كله أن تقرر و ابدأ جديدا هو تعضيد الخاطيء و نصر الباطل
و تذكر و انا لم نتعرض لكم و لم نقف في وجهكم حين أردتم تأديب الساميين
على خطئهم ، و قد كانت آراء البلوبونيز متشعبة بما يجب عمله ، فأقنعناهم بوجوب الحيدة
حتى تؤدبهم و تمسكنا بمبدأ ان لكل أمة الحق في تأديب مخالفينا (مستعمراتها)
و قلنا ذلك أمام أعينهم و أنتم تشهدون

فهل تريدون أن تقرر و ابدأ آخر ، هو تعضيد الخاطيء ؟؟؟

لقد صدرت منهم أهانات متعددة و اغاظات متوالية لا تطاق ، و فضلا عن ذلك فانهم كانوا
جديرين إزارأوا منا سوءاً في معاملتنا أن يترفقوا في أرشادنا بالحسنى و الأناة و التفاهم
معا ، لا بأسلوب المتغطرس بل بأسلوب رفيق مخلص — لو أنهم افعلوا ذلك معنا إذن
لأرغمونا على احترامهم و النزول على إرادتهم و لحفظنا لهم و لامهم و نبيل فعلهم
ولما كان في قدرتنا أن نستمر على عداونا و مناوأتنا إياهم ، ولكن ماذا نعمل و قد
أبوا حسن التفاهم كل الآباء و لم يشاؤا إلا أن يعاملونا باحتقار ممض حتى جرهم
احتقارهم إيانا و إساءتنا التي لم تقف عند حد الى ان تدخلوا في ولايتنا (منميمس)
و استخلصوها عنوة ، و لما أدركوا أننا لن نغفر لهم هذه الأهانة و رأوا من قوتنا و بطشنا
ما هائهم و هلمت له قلوبهم ، لجأوا الى طلب التحكيم

متى يطلبون التحكيم ؟؟؟ الآن وفي هذا الوقت الذي رأوا فيه أن القصاص
حائق بهم و العقاب منزل عليهم ؟ كلا لن يكون ذلك بعد فوات الفرصة و قد كان أخرى
بهم أن يلتجئوا اليكم قبل أن يقترفوا الآثام ، لا بعد أن عرفوا اننا محاسبوهم على ما جنوه
حساباً عسيرا ، فلاذوا بأكنافكم غير مكثفين بما اقترفوا من الآثام ، بل تعدوا ذلك
لا الى طالب مخالفتكم فحسب ، بل لتشركوهم في جرائمهم و تقبلوهم . بالرغم من اننا معهم

في حال عداؤهم وحرب — لقد كانوا جديرين بذلك وقت ان كانوا بمأمن من الخطر ، لاني هذه الظروف العصبية التي يسألونكم فيها ان تمنحوهم مخالفة كانوا يرضون بمنحها لاية امة والتي لم يمنحوكم اياها من قبل حين كانوا آمنين

إنهم كما ترون أحوج ما يكونون الى أن لا يحالفوا أحداً يشهد ما يرتكبونه من الآثام والجرائم التي يساعدهم على اقترافها حسن موقعهم ومنعة بلادهم ، وهم كما ترون في حاجة الى أن يكونوا في عزلة تامة تبعدهم عن المهيمن والرقيب ، وهي سياسة لؤم ونفاق وخبث لا يستطيعون التلصص من مغبتها مهما اتحلوا من الاسباب والاعتذارات .

إنهم هنا يدعون الامانة والصالح والاستقامة وينادون بالعدل ويطلبون التحكيم ، ولو أنهم كما يصفون أنفسهم حقيقة لظهرت منهم بوادر ذلك في وقت ان كانوا بنجوة من الخطر ، وبمأمن من المهاجمة ، ولكن شيئاً من ذلك لم يكن لاني معاملة سوانا ولاني معاملة لنا .

يقولون اننا لم نستعمر لنستعبد ونعامل معاملة سيئة ونحن نجيبهم باننا أيضاً لم نستعمرهم لتصلنا منهم اهانات متعددة واغاثات متوالية لانستطيع احتياها ، بل نكون لهم بمنزلة ألس المدبر المحترم ، وتقبل منهم ما يبدونه لنا من شارات الاحترام والولاء . وأكبر دليل على ما نقول أن غيرهم من مستعمراتنا العديدة يحلوننا بل هم يحبوننا حباً جماً ، وطبعي انه اذا أحببتنا جميع مستعمراتنا وشدت واحدة منها مثل كورسيرا ، فان أسباب شذوذها تكون غير معقولة وتكون ناشئة عن سلوكها الخاص لا غير ، لأن أهلهم اهم المنفردون — دون سواهم — بالشكوى من معاملتنا . وبديهي أنه ليس هناك سبب يحملنا على افرادهم بمعاملة خاصة —

وأي شيء يدعوننا الى أن نخصهم بالحرب دون سواهم لو لم تصلنا اهاناتهم ؟ كيف ؟؟ انكم لو قررتم مبدأ تعضيد التأثير المذنب لوجدتم ان الكثيرين من مستعمراتكم قد لجؤا الينا وقت ان تشرعوا في تأديبهم على عصيانهم ، وسيلحق بكم ذلك المبدأ الجديد من الضرر اكثر مما يلحق بنا ، ذلك ما يقوله قانون المعاهدة ونحن ننصح لكم ان تظلوا على ولائكم معنا وتظلوا على تقديركم لصنيعنا اذ

ليس عليكم من خطر من جهتنا، فليس بينكم وبيننا شيء من العداة ولا تزال اواصر
محبتنا وولائنا لكم متينة الاسباب والعرى فاحذروا ان تفصموها في هذه الظروف
ولا تنسوا ان كورثة قد امرت لكم بعشرين سفينة حربية لمساعدتكم في الحرب
قبل الفتح الفارسي، فاذا اضعفتم هذا الصنيع الى ما عملناه مع البلوبونيزيين في مسألة
الساميانين اذ حملناهم على عدم التدخل في شأنكم معهم وعدم ابداء أية مساعدة لهم،
حتى مكناكم من فتح اجنانيا ومعاقبة سامس (Samos) وعلمتم ان هذا كان شأننا
معكم دائماً قدرتم اقوالنا وعرفتم ولائنا

ولا تنسوا انا اسدينا لكم تلك الخدمات في الوقت الذي كنتم جد مشغولين
بمناوأة أعدائكم في تلك الظروف العصيبة التي يشتغل الانسان بها عن كل شيء،
وينسى كل شيء في سبيل الانتصار على العدو وانتم تعلمون ان في تلك الأوقات يعتبر عدواً
خطراً كل من يعترضكم في سبيلكم، ولو كان اصدق ولي لكم مخلص فيما مضى
ويعتبر صديقاً كل من أدى لكم خدمة ما ولو كان ألد أعدائكم فيما مضى. قدروا كل هذه
النتائج منصفين ولينقل شأنكم عن شيوخكم انه «هل جزاء الاحسان إلا الاحسان»
وأضيفوا إلى ذلك ان ما نشير به عليكم ليس هو الأحكم فقط، بل أن الحرب
التي يجعل الكرسيرون منها شعباً مرعباً يخيفونكم به حتى تحالفوهم، ليس لها أصل ما
ولئن كانت، فانها لا تجشمكم أن تتحملوا عداوة كورثة القوية المخلصة

فلا تسيثوا إلينا فاننا لم نسيء إليكم، ولا تنسوا كما قلنا من قبل اننا ساعدناكم في تلك
الظروف التي يتنكب فيها الأخ عن مساعدة أخيه، ونحن الآن في هذا الظرف العسير
وفي تلك الأزمات التي تجعلنا نعد من يقف في سبيل تحقيق رغباتنا عدواً ولو كان
أوفى الناس لنا في الماضي، وختاماً أذكركم التحذير الأخير أن تكونوا حلفاء
الكورسيريين في إجرامهم وآثامهم

فاعلموا، وفقكم الله إلى الرأي الأسد وألهمكم الصواب
اعملوا. فان أملنا فيكم عظيم، ولا تنسوا أن تقرروا ما فيه مصلحتكم ومصلحة
بلادكم والسلام

أنشتين المفهوم

في هذا المقال من المغالطات ما لا يصح السكوت عليه فقد ذكر كاتبه أن العلامة آينشتين لا يفهم «فروض» نظريته التي تحققت بوجوه عديدة وأثبتتها امتحانات أكابر العلماء وهي الآن في نفس الموضع الذي أرادها به إعلانها ولا يمكن أن تنقض لأنها لا تركز على فروض الغيبيات كما ظن حضرة الكاتب، بل على المعادلات الرياضية الصرفة التي لا تقبل الشك، وكيف يكون آينشتين نفسه مععلن نظرية النسبية غير فاهم نظريته بينما يقره عليها، ليس اثنا عشر من العلماء كما توهم، بل جمهور كبير منهم وقد أخذت الجامعات الألمانية تدرس مذهبه بدلاً من مذهبي نيوتن وليبنز؟؟

ان ظن حضرة كاتب هذا المقال فاسد من هذه الجهة فساداً لا يخفى على اللبيب . لأن الفروض الرياضية التي يقول عنها إنها تشبه الإيمان الديني لا محل لها في نظرية آينشتين، وقد يرجع إلى نفسه ويحاسبها على هذه الهفوة لو قرأ كتاب «النسبية مستقلة عن فروض الغيبيات» للأستاذ فاركوليه وكتاب «المادة والنشاط حسب نظرية النسبية ونظرية الكم» للأستاذ لويس روجيه، وكتاب «مرمى نظرية النسبية» للورد هوالدين، وكتاب «مبادئ النسبية» و«ناموس الاثقال» للأستاذ بكرل وغيرها من عشرات الكتب التي تبحث النسبية وتثبتها ولا حاجة لذكر اسمائها هنا : أما إذا كان حضرته لا يقدر أن يحل هذا العمل الرياضي فكيف يحل له أن يكتب عن نظرية أبسط معادلاتها هذه المعادلة:

$$\left\{ \begin{array}{l} X_1 = \frac{X - vT}{\sqrt{1 - \frac{v^2}{c^2}}} \\ T_1 = \frac{T - \frac{v}{c^2} X}{\sqrt{1 - \frac{v^2}{c^2}}} \end{array} \right.$$

بل كيف يستمرى القول انه يلوح له أن مذهب النسبية أصعب من مذهب الجاذبية الذي ينقضه ويفسر الحركات السماوية بتفسير غير تفسيره؟؟ ومن قال له إن نظرية

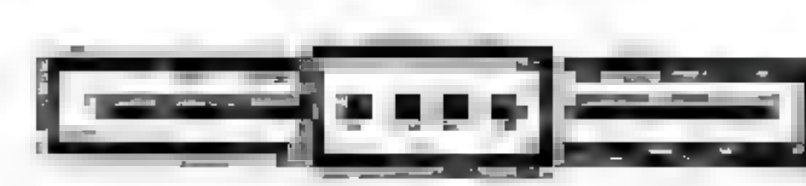
النسبية تنقض مذهب الجاذبية؟؟ .. ان نظرية النسبية لا تنقض مذهب الجاذبية

بل تحوره والنقض شيء والتحويل شيء آخر ، فيوتن قال ان الاجرام تتجذب من بعضها بنسبة أحجامها، ولكنه لم يعرف مصدر الجذب. وآينشتين أكمل ما كان قد ابتدأ بعمله نيوتن وبين أن الجذب يكون حسب الأحجام من حيث أن الحجم تحنى الفضاء ويوجد مجال الجذب، فالأجرام الصغيرة تتجذب من الكبيرة لأن الكبيرة تحنى الفضاء أكثر من الصغيرة وعندما يقترب جسم صغير من حدود مجال جذب جسم كبير ينجذب الى الكبير من جراء احتداد الفضاء الناتج من وجود هذا الجسم. ولما كان سقوطه مقررأ على سطح هذا الأخير، فإن حركة تنتج توجد السرعة التي هي القوة فيبتديء الجرم الصغير في الدوران حول الجرم الكبير .

أما البعد الرابع الذى قال عنه إنه من المجهولات و إن الناس سيألفونه كما ألفوا الجاذبية بدون أن يتعرفوا أسرارها ، فلا دخل له بالجذب مباشرة لأنه يختص بالوقت فالمحسوسات الطبيعية ليست سوى مظهر من مظاهر اعلال الزمان ، والزمان مع الفسحة لا وجود لهما ، لأنهما من صفات المادة فلما بين السنين النورية التي يقطعها النور كما يصل الينامع عظمة المكان الذى تتطلبه ، لا وجود لها لو لم تجد المادة وما يتفاعل على على سطح هذه الكرة بملايين السنين لا ، بحسب شيئاً بالنسبة إلى البعد الشاسع فى الكون وما يتطلب من الوقت.

ابراهيم حداد

بيروت فى ٥ يونيو سنة ١٩٢٩



أطلب من دار العصور للطبع والنشر

بشارع الخليج المصرى : بالظاهر بمصر

الإشتراك

أقوم بمحت فى حقيقة الاشتراكية ومناقشة مبادئها

الوضع العلمى

فى عصر التجديد

لا يعنى الذين يرددون كلمة التجديد فى هذه الايام بأن يبحثوا صور التجديد فى العلم ولا صور التجديد فى الفلسفة ولا صور التجديد فى الفن . هذه ظاهرة لاتفوت كل مطلع على حركة الآداب الحديثة ، مسايرتها فى العقدين الفارطين من السنين . فاذا قيل تجديد انصرفت الازهان الى الأدب واذا قيل نهضة انصرفت الازهان كذلك إلى الأدب ، كأن مرافق الحياة العقلية فى مصر خاصة والشرق عامة ، عبارة عن بناء قائم على الأدب وحدد ، وأنه ليس لشرقى من علاقة ذهنية بغير الادب وصور الأدب.

على أنى لم أجد بجانب هذا أديباً واحداً صرف ذهنه إلى التفكير فى هذه الناحية ، بل انصرف الجميع يقولون التجديد ويشيدون بالتجديد ، وهم فى كل هذا لا يعنون منه إلا حركة الأدب ، كأنه ليس وراء العالم العربى من ماضٍ إلا الأدب ، وأن ليس له فى التاريخ من رجعى يرجع إليها فى الفلسفة أو العلم أو الفن . على أن السبب فى ذلك ظاهر كل الظهور . فان الآداب وفنونها أرواح على النفس واسبق ظهوراً فى نهضات الأمم التى انقطع ما بين حاضرها وماضيتها وفصل بين سلفها وخلفها بقرون من الانحطاط ودهور من الجمود الذهني

لم ينصرف الناس فيما يعنون بالتجديد لسوى الأدب . هذه حقيقة يجب أن نعيها دائماً إذا أردنا أن نكتب فى حركة التجديد الحديثة . ولعل السبب فى هذا راجع إلى أن الحضارة العربية قامت على الأدب وعلى الفن وعلى اللاهوت ، دون العلم والفلسفة . نعم كان للأسلاف فلسفة وقام منهم فلاسفة وكان لهم علم وكان منهم علماء ، ولكن الحقيقة أن الأدب واللاهوت والفن ، وفن البناء على التخصيص ، كانت الدعائم التى قامت عليها المدنية التى ورثنا عنها آدابنا العربية الواضحة

هذا وجه خطر من أوجه التفكير فى حركة التجديد لأن الأدباء والمتأدبين إذا انصرفت أذهانهم إلى التفكير فى التجديد على أنه أدب أو لاهوت ثانى وأنه

علم وفلسفة ثالثاً اصطبلت الحضارة التي نقيم أساسها الآن بصيغة لانرضاهها . ذلك لأننى اعتقد أن الأدب إن كان من الاسس الأدبية فى خلق صورة غير كاملة على كل حال من صفات كل شعب من الشعوب الشرقية فأنى اعتقد أن صور التأمل الفلسفى والانتاج العلى هى لدى الحقيقة الصورة الكاملة التى تصور حقيقة كل شعب من الشعوب وتكون لدى البحث فكرة عامة عن مبلغه من الحضارة الصحيحة

وليس الخطر الحقيقى فى الانصراف الى الادب وإلى فكرة أن التجديد محصور فى الأدب — بل الخطر فى أن نعتقد بان الأدب — على عجزه عن التعبير عن مبلغ الشعوب من الرقى — كاف وحده لان يقيم حضارة تعبر عن حقيقة مؤهلاتنا المدنية . لهذا يجب أن نوازن بين الخطوات التى نخطوها فى هذه السبيل، وان نجعل للتأمل الفلسفى والانتاج العلى أوسع مجال فى تكوين صورة حقة من الحضارة التى نرمى الى تشييدها على اساس ثابت امين .

ولدى على أن الأدب لا يعبر تعبيراً صحيحاً عن حقيقة الامم ومؤهلاتها برهان ينحصر فى ان الادب اكثر ما يكون مقروءاً اذا كان قصة شعبية أو صوراً من صور الصحف الصفراء التى تعنى بجمع اخبار الجرائم والحوادث اليومية، فى حين ان الادب المنتج، اى الادب العلى الفلسفى، لم يجد من الرواج حتى فى أو، وباوأمريكا، ميدانا واسعا أو رواجاً يمكن أن يتخذ اساساً تقاس به درجة الامم من الرقى . فان الادب الراقى لا يزال منحصراً اثره فى طبقات قليلة لا تزيد على الطبقات التى تعنى بالعلم والفلسفة الا قليلاً

والناس يخطئون كل الخطأ اذ يقيسون النهضة بمقياس العدد الذى تخرجه المطابع من المطبوعات أو العدد الذى تصدره الصحف . ذلك لان الحكم على هذه الاشياء لا يرجع الى الكمية بل الى الكيفية . فخريدة تطبع عشرين ألفاً فيها صور بمض المجرمين وطريقتهم فى الاجرام وأساليبهم فى السلب والنهب لا يمكن ان تعد قياساً تقاس به درجة الامة من الرقى، بل على الضد اعتقد انه أصبح مقياس تقاس به درجتها من الانحطاط وفساد الطبع والانصراف عن الجدل الى الهزل وعن الانتاج الى الاسراف وعن الفضيلة الى الاسفاف

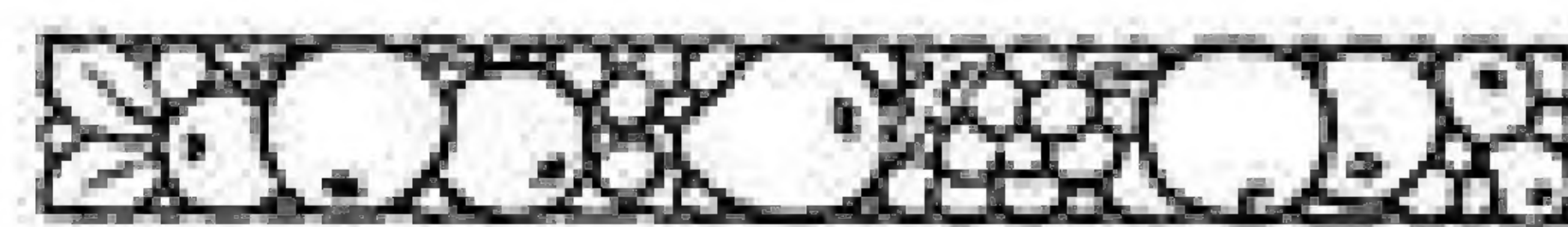
هذا رأينا الصريح ، أما الانصراف عن الادب ؛ وعن الادب الاصفر على الاخص ، الى العلم والتأمل الفلسفى ، فلا يمكن أن نكون مجددين فيه بحق ، الا اذا قام شعور تام بأن العلم والفلسفة من الضروريات لامن الكماليات .
فأن هذا المعتقد وحده كفى بان يخرجنا بنهضة صحيحة وتجديد صحيح تتوازن فيه القوى وتتسق الخطا .

وهذا الاصلاح الصحيح مطلوب رأساً من هيأتين . أولاهما هيئة الجامعة والثانية هيئة الازهر . فاذا استطعنا ان نخلص من مجهود هاتين الهيأتين بهذه النتيجة ، استطعنا أن نقول بحق اننا فزنا بنهضة واننا نجدد تجديداً قيماً صحيحاً .

«فلان»

التعاون طبيعة في الخلق

أفلت من هذا المقال الى آلة الطبع وقد سهى على المصحح أن يقرأه، فوقعت فيه بعض اغلاط مطبعية لا تغير المعنى؛ نعتذر عنها لخضرات القراء ولحضرة كاتبه الأستاذ الجليل.



اطلب من دار العصور للطبع والنشر
ومن جميع المكاتب المعروفة

ماتخ الفكر العربى

فى نسوة وطوره بالترجمة والنقل عن الحضارة اليونانية

قصص الاطفال

فليت ألف ليلة بحياة .. رجعتها له الجهود العنيفة
 « قصة السندباد » دلت تماماً أن باكورة الجهود لطيفه
 كنت قبل اجتلائها لا أسمى مثل تيك الأشياء الاسخيفه
 رغم تقريظ ألف ليلة كانت في اصطلاحى سقيمة وضعيفه
 ملكتنى - ولم أسر في ضياها فكرة نحوها لدى مخيفه
 غير أنى قرأت شيئاً جديداً رد زعمى ولم أتم صحيفه !
 كان من فوقها الجفاف ستاراً تختفى تحته المعانى الطريفه
 سطحها آسن وما هو إلا قشرة تحتها المياه النظيفه
 أى عقل أحال جسماً سويّاً بعد طول الفساد تلك الجيفه
 لم أجد مثل « كامل » عبقرياً في يديه الكتان صار قطيفه !
 هذه اللقطة الثمينه كانت قبل وجدانها لقي في تنوفه
 ما عهدنا من قبل هذا لطفل لغه في خطابه معروفه
 بل رأينا الكثير منا أرادوا عبثاً عن مرادهم تعريفه
 إن ما كان للرجال غريباً صار للطفل عادة مألوفه
 يا أبا مصطفى بأى جهاد أصبحت فى السمان تلك النحيفه ؟
 هات أشباهها فان فعلاء الدين يرجو من فضلكم تثقيفه
 ثم أمطره لنا الكتاب تباعاً نجتليها أطروفة أطروفه

فهرست العدد

ص	
١	— العصور في سنتها الثالثة
٢	— مطالعات في سفر التكوين اسماعيل مظهر
١٦	— شعر التصوير - القصر الحزين ابو شادي
١٨	— على السفود . عباس محمود العقاد . . .
٢٧	— الزباء - زنوبيا . عن غيون أحمد ابراهيم
٣٣	— نظرات في تاريخ الاسلام كامل كيلاني
٤١	— صور تاريخية - البانوقه السندباد
٤٢	— الوعظ الكاذب . البار والقلق كامل كيلاني
٤٣	— مضي الامس — قطعة شعرية عبد الله عبد العزيز
٤٤	— على فراش الموت . عن الشاعر هود الانجليزى سيد ابراهيم
٤٥	— التعاون طبيعة في الخليفة محمود خاطر بك
٤٧	— التحنيط عند قدماء المصريين عبد المجيد سيد احمد
٤٩	— مرمى نظرية النسبية ابراهيم حداد
٥٦	— ابحاث زراعية علمية :
	خاصية قوة امتصاص الارض للماء عبد المجيد سيد احمد
٦٢	— المرأة الساحرة . تلخيص وتعليق . قصة ك . ك
٧٩	— في سبيل الفن الاستاذ شعبان زكى
٨٢	— قصص بوكاتشو . العجوز وتقويمه السنوى
٩٣	— ابو شادي شاعراً أحمد الشايب
	غوكفريد ويلهم لينتز ح . ا
١٠٧	— بيتنا . قطعة شعرية أبو شادي

مايچ الفهرست

ص	
١٠٨ -	شهيد الواجب . قطعة شعرية
١١٠ -	الثقافة والساميون
١١٩ -	الازهر - أرجوزة
١٢١ -	العجز . قطعة شعرية
١٢٢ -	الوعظ القصصى . تلخيص
١٣١ -	أبو دهب الجمحى
١٣٣ -	القاب المشهورين
١٣٤ -	قصيدة ابن زيدون
١٣٦ -	توسديد - المؤرخ العظيم
١٥٢ -	انشتين المفهوم
١٥٤ -	الوضع العلى
١٥٧ -	شاعر يرثى نفسه
١٥٧ -	بغض متبادل
١٥٨ -	قصص الاطفال
محمد صادق عرنوس	
عبد القادر بن عزوز الشط	
م . ت . ا	
ابو شادى	
سيد ابراهيم	
.....	
عن مجلة الاخاء	
.....	
أبى مصطفى	
ابراهيم حداد	
فلان	
.....	
.....	
عرنوس	

